

عرش توت عنخ امون

[ انظر مقالة « العرش في التاريخ » ص ١٠٥ ]



# المقتطف

الجزء الاول من المجلد الحادي والتسعين

٢٢ ربيع الاول سنة ١٣٥٦

١ يونيو سنة ١٩٣٧

## قبل البردى ... بعد الحرير

نلبسه ونقيم في بيوت مصنوعة منه وندون أبناءنا عليه وأدبنا كذلك . بل اتنا نزرده طعاماً ونستقله مطايا وندهن به سياراتنا ونقذف به قنابلنا ؟ فما هو ؟ ان الجواب عن هذا السؤال اسم مادة طالما احدثت وجوهاً من الانقلاب في شؤون الانسان خلال ارتقائه الطويل من الهمجية الى الحضارة . وهي مادة ليس ثمة ما يفوقها كثرة في عالم النبات بل ليس ثمة ما يفوقها اثرأ وفائدة بين المواد التي استندت اليها الانسانية خلال ارتقائها . هي آنا قطن وآنا كتان ، آنا خشب وآنا ورق ، بل هي ايضاً حرير صناعي متين براق

ومع ذلك فان كلمة السلولوس ، وهي المادة الاساسية في القطن والكتان والخشب والورق والحرير الصناعي وغيرها ، ليست من الكلمات المألوفة ، ولكنها لا بد ان تدبج بين المثقفين لانها مادة اساسية في العمران . كانت كذلك في الماضي ، ولا بد ان يزداد شأنها في المستقبل ، لانها الآن عماد طائفة من الصناعات العظيمة

ولما كانت مادة السلولوس قوام كل نبات وشجر ، فالحصول عليها ليسور حيث يكون النبات ، وهي تصنف علاوة على ذلك بصفة النمو والتكاثر ، فلا يمكن ان تنفد ، ومن المعقول ان تميل الصناعات الحديثة الى الاعتماد عليها ما كان ذلك في وسعها

اما وهذا مبلغ انتشار السلولوس في الطبيعة ، فقد كان من الطبيعي ان يكون له شأن عظيم في تاريخ البشر من فجر التاريخ الى عصرنا هذا



فالحضارة في عرف علماء الآثار والتاريخ بدأت حقيقة ، عندما اخترعت بعض الشعوب اساليب للكتابة من نحو عشرة آلاف سنة . ولكن الكتابة كانت على الصلصال الجفف والحجر ، لا على الورق بل ولا على البردي . ولكن لما صنع الانسان الورق ، اصبحت مادة السلولوس ، ناقلة للكلمات المكتوبة اولاً فللكلمات المطبوعة ثانياً ، فكانت من القوى التي وجهت العمران ، لانها مكنت الناس من تدوين المعارف وحفظها ونشرها

وحوالي العهد الذي انتقلت فيه صناعة الورق الى اوربا ، شرع بعضهم يجرب استعمال السلولوس في وجوه شتى كان لها اعظم تأثير في الحضارة . ففي القرن الثالث عشر وصف روجر بايكون « البارود الاسود » . فلما استعمل هذا البارود في البندقيات والمدافع في القرن الرابع عشر ، أتاح للعامة قوة ، كانت من العوامل الاساسية ، في تغيير النظام الاجتماعي . واحدى المواد الاساسية في البارود الاسود ، مادة السلولوس المحروق ، حتى في عصرنا هذا يفضل صانعو البارود ، استعمال الفحم المصنوع من الصفصاف والشرين بالحرق

وقد أجمع المؤرخون الفلاسفة ، على ان البارود من ناحية ، والورق من ناحية أخرى ، كانا من عوامل المساواة في الحضارة الحديثة ، فالبارود أرغم امراء الاقطاعات في القرون الوسطى ، على منح العامة بعض الحقوق ، لان البارود في أيدي هؤلاء ، جعل المعاقل والحصون غير منيعة الجانب على الجموع المهاجمة . والورق رفع من شأن العامة الذهني بنشر ما ينطوي عليه من المعارف المدونة فيه . واذا كان استعمال الورق في تلك العصور قد اقتصر على التدوين ، فانه أصبح شائع الاستعمال في عصرنا حتى بتنا لا نستطيع ان نتصور حياتنا اليوم ، من دون ورق نقرأ فيه أبناءنا ونعلم به أبناءنا وناف به أشياءنا . فقد نف به حذاء قديماً او ندون فيه رسالة تحدث انقلاباً . وقد نطويه على كتاب هيام وشكوى ، او اعلان حرية واستقلال . وقد يكون قطعة من الورق نشعل بها النار في الموقد ، او معاهدة تمزقها فنشعل بها نار حرب

عرف الورق في الصين بضعة قرون قبل التاريخ الميلادي ، ولكن استعماله لم يشع في اوربا الا في القرن الثاني عشر والقرن الثالث عشر . وقد كان للعرب اكبر شأن في ذلك . فقد قيل ان الصينيين هاجموا العرب في سمرقند في اواسط القرن الثامن فردّ العرب أعداءهم على اعقابهم ولكنهم أسروا في من أسروا بعض الصينيين الذين يحميدون صناعة الورق فأخذوا عنهم سرّها . فانتشرت الوراقة في بلاد العرب اي انتشار ، يدل على ذلك المخطوطات العربية المحفوظة الى عهدنا هذا وأقدمها يرتدّ الى سنة ٨٦٦ ميلادية . ويلوح لبعض المؤرخين ان اساليب صناعة الورق اتصلت باليونان عن طريق الاتجار مع آسيا . ولكن العرب أنشأوا صناعته في اسبانيا في اواسط القرن الثاني عشر . ومنها انتشرت الى ايطاليا والمانيا وفرنسا فلما انتصف القرن



الرابع عشر ، حتى كانت صناعة الورق قد رسخت في غرب اوربا وشاع استعماله فحل محل الرقوق ان انواع الورق المستعملة الآن لا تحصى ولكنها جميعها مصنوعة من سلولوس على درجات متفاوتة من النقاء . وكان الورق يصنع اولاً من القطن وخرق الكتان ولكن الخشب حل محلها في القرن الاخير ، وذلك بعد استنباط الوسائل الكيميائية لفصل السلولوس عن سائر المواد الداخلة في تركيب الخشب . ففي سنة ١٩٣٢ استهلك الولايات المتحدة الاميركية وحدها اربعة ملايين طن من رب الخشب المستخرجة من تسعة ملايين طن من الخشب

وليس ثمة ريب في ان استهلاك هذا القدر الكبير ، من مادة توجد في الطبيعة ، حلت البعض على التفكير في نفاذ مصدرها الطبيعي . والرأي عند بعضهم ان الحكومات والشركات الكبيرة يجب ان تعنى بالتحريج ، وعند البعض الآخر بالامتناع عن قطع الاشجار لاستعمال خشبها الا اذا كانت فوق ارتفاع معين . وقد ثبت بالبحث والاحصاء انه اذا حقق الرأيان معاً امكن الاعتماد على كفاية الشجر لصناعة الورق اذا جعلت مدى الدورة بين الغرس والقطع عشرين سنة وهناك فريق ثالث يعتقد انه اذا عجزت اشجار المناطق المعتدلة عن كفاية ما تتطلبه صناعة الورق ، امكن الاعتماد على اشجار المناطق الاستوائية ، فالخيزران في الهند ، يستعمل لصناعة الورق الآن ، والتجارب تجرب في اصناف مختلفة من الاشجار الافريقية ويتنظر ان يكون ما يستخرج من السلولوس من فدان منها في السنة مثل ما يستخرج في المناطق المعتدلة اوا اكثر قليلاً

\*\*\*

ولما كان السلولوس قوام النبات اطلاقاً والحاجة اليه تزايد ، بتنوع وجوه استعماله ، فقد اتجهت الانظار الى المحاصيل الزراعية المنوعة لاستخراج ما يمكن استخراجه منها من السلولوس . فقد اقترح بعضهم استعمال جذوع الذرة لصناعة الورق من نحو مائة سنة ، وحققت الاساليب الكيميائية لذلك من عهد غير قريب . ولكن حل المشكلة من الناحية الاقتصادية ، لم يتم الا في السنوات الاخيرة . ثم ان قصب السكر كان موضوع بحث وافٍ في هذا الصدد ، وقد صنعت من سلولوسه اصناف مختلفة من الورق

ومما يدل على الثروة الكامنة في هذه النفايات الزراعية ، ان وزن جذوع الذرة مجردة من الورق والقوالب يبلغ في الولايات المتحدة كل سنة نحو ٣١ مليوناً من الاطنان ، ويمكن ان يستخرج منها ما يكفي لصنع مقدار من الورق والواح الورق وزنه ٩ ملايين من الاطنان ، وهو اكثر قليلاً مما استعمل من الورق والواح الورق في الولايات المتحدة سنة ١٩٣٢

فقدار السلولوس الذي يمكن استخراجه من جذوع الذرة وقصب السكر كبير جداً ، واذا فرضنا ان استخراج السلولوس منها حل على اوفى وجه من الناحيتين العلمية والاقتصادية ،



فالمصلحة المالية تقتضي ان تستبطن ابواب لاستعمال هذا السلولوس ، حتى يصبح جمع جذوع الذرة وقصب السكر عملاً محدياً

وقد كان للسلولوس شأن كبير في وسائل الانتقال من اقدم العصور . ان الزوارق الاولى التي صنعها الانسان ، صنعها من جذوع الاشجار ، وكذلك مجاذيفها . ثم ان المراكب الشراعية صنعت ولا تزال تصنع من الخشب ، ولم يعدل عنه الى المعدن الا حديثاً في بعض المراكب الخاصة بالسباق ، حتى سفن البحار الفخمة ، لا تستغني عن السلولوس ، في قدد من الخشب تغطي به ظهورها ، وفي ما تحتاج اليه من ملاءات ومناشف واغطية للعوائد وعشرات من الاغراض الاخرى

ولا تقل وسائل الانتقال والنقل في البر حاجة الى السلولوس عن وسائل الانتقال في البحر . فالعربات الاولى صنعت من الخشب ولا يزال جانب كبير من القطارات الحديثة يصنع منه . مع انها في بعض البلدان تصنع من الصلب على الاكثر . بل ان الخطوط التي تسير عليها القطارات كانت خشباً من نحو مائة سنة في بعض البلدان . اما السيارات فقلما يدخل الخشب في صنعها ، ولكن اطارات عجلاتها لا تستغني عن السلولوس ، فيستعمل فيها قطعاً طويل الشعرة

ومن غريب امر الانسان انه وقد اعتمد على السلولوس في اشكاله المتباينة من الوف السنين ظل يستعمله كما يجده في الطبيعة ، من دون ان يعمد الى صنع مواد جديدة منه الا في العهد الاخير ، اذا استثنينا فحم الخشب والورق . ولكن ارتفاع الصناعات الكيماوية كان كفيلاً بتوجيه العناية الى استنباط مواد جديدة من السلولوس . الا ان تقدمه في هذا الميدان كان بطيئاً والغالب ان ذلك يرتد لعجز الانسان عن معرفة تركيبه معرفة دقيقة . ومع ما كشفه العلماء من الحقائق عن تركيب جزيء السلولوس ووزنه وترتيب الذرات فيه ، لا يزال الموضوع في حاجة كبيرة الى الايضاح

كانت المادة الاولى المصنوعة من السلولوس التي فازت بشأن كبير في العالم الحديث مادة النترات . فانك اذا اخذت سلولوساً نقياً وعالجته بمزيج من الحمض النتريك ، والحمض الكبريتيك ، تولدت مركبات جديدة . فما كان منها محتويًا على ١١ في المائة من النتروجين يستعمل لصنع المعجونات الملتهبة (بيروكسيلين : هذا هو اسمها العلمي وهو مركب من لفظين معناها نار وخشب) كالسلولويد الذي تصنع منه شرائط الصور المتحركة . وما كان منها محتويًا على ١٢ في المائة من النتروجين يستعمل لصنع الادهان الزجاجية الالامعة (الورنيش) التي تدهن بها السيارات والجلود وغيرها . وما كان منها محتويًا على اكثر من ١٢ في المائة من النتروجين يستعمل لصنع البارود الذي لا دخان له . وغني عن البيان ما لهذه المواد جميعاً من الشأن في الحضارة



ومما تستعمل له المعجونات الملتزمة التي تصنع منها شرائط الصور المتحركة ، الزجاج الذي لا يتشظى وهو من حسنات الصناعة الحديثة التي تفتح به صناعة السيارات خاصة . فإذا أخذ لوحان من الزجاج ولصقا معاً بطبقة من هذا المعجون ، أمكن استعماله لصنع واجهات الزجاج التي توضع في السيارات امام السائق فاذا حدث اصطدام تشقق هذا الزجاج ولكنه لا يتشظى ولا تتطاير كسره ، وليس ثمة ريب في ان هذا يحول دون اصابات كثيرة في حوادث السيارات منشؤها الشظايا المتطايرة . ثم ان بعضهم صنع زجاجاً من هذا القيل لا يخترقه رصاص البندقيات ، بوضع لوح زجاجي كثافته ثلاثة ارباع البوصة في الوسط ، ثم لصق اربعة الواح به ، لوحين من كل جانب بواسطة طبقات من هذه المعجونات . ومن اهم وجوه استعماله الآن السيارات المصفحة وواجهات الصرافين في البنوك

وللسلولوس خواص غريبة ومتناقضة احياناً . فقد استعمل قديماً في بناء الدور والاكواخ لما يتصف به من قدرة على مقاومة تقلب الجو . ولكنه يتحد بالاكسجين وينحل اذا ارتفعت حرارته الى ما دون حرارة الغليان قليلاً . ثم انه يستعمل قطعاً في نسيج الملابس لانه يقاوم عملية الغسيل وفعل بعض المواد الكيماوية ، ولكن اذا غلي في الماء المقطر ساعتين ثم جفف تغيرت خواصه الكيماوية ولذلك نشأت صناعات جديدة اساسها هذه الخواص الكيماوية المتغيرة في السلولوس . فانك اذا اخذت خيطاً من القطن وعالجته بمحلول من الصودا الكاوية ( ١٨ في المائة ) في مكان بارد ثم جففته وهو مشدود اصبح لامعاً فيستعمل في نسيج الاقطان الحريرية المظهر المعروفة باسم القطن « المصقول »

واذا عولج الورق بالحضض الكبريتيك ( ٧٠ في المائة ) ثم غسل الحمض اصبح الورق شبيهاً بالرق ويعرف باسم « الرق التباقي » . ولما كان الماء يبله ولا يبله اصبح يستعمل بدلاً من المناشف في تجفيف الاطباق المغسولة . فاذا عولجت اصناف خاصة من الورق بالطريقة المتقدمة امكن استعمال الرق لعزل الادوات الكهربائية . واذا عولج بمحلولات مركزة من كلوريد الزنك اصبح شبيهاً بالالياف المعالجة بالمطاط المقسى

\*\*\*

ولا يخفى ان السلولوس استعمل من قديم الزمان ، قطعاً وكتاناً ، لنسيج الملابس . وفي دار الآثار المصرية بالقاهرة بقايا من نسيج كتاني دقيق يرتد الى اقدم العصور . ولكن الحرير كان مفضلاً على الكتان لنعومة ملمسه ولسعائه ، فأقبل عليه النبلاء وخصوه بإيثارهم وكان الانسان ناجي نفسه فقال ان السلولوس تأكله الغنم فتحوله صوفاً ، وتأكل دودة الحرير سلولوس انتوت فتحوله حريراً ، فلماذا لا تسعى ، وللحرير ما له من المقام ، الى كشف سر الدودة



ومع ان الانسان لم يكشف سر الدودة بعد الا ان العلماء توصلوا بعد بحث طويل الى صنع ألياف دقيقة من السلولوس تماثل الحرير في مظهره وملمسه.

كان غرض الباحثين الاول في هذا الميدان ان يصنعوا الحرير الطبيعي بأساليب صناعية . بل قيل ان اطلاق اسم « الحرير الصناعي » على هذه المادة الجديدة المصنوعة من السلولوس بالوسائل الكيميائية ، انما كان بقصد التمييز بين حريرين احدهما تصنعه الطبيعة والاخر يصنعه الانسان . ولكن من المعروف الآن ان اصناف الريون Rayon ( وهو اسم « الحرير الصناعي » ) لا تشبه الحرير شهاً ما من الناحية الكيميائية . و « الريون » اربعة اصناف منها ثلاثة سلولوس اصيل وهي متشابهة مع ان اساليب صنعها من السلولوس متباينة . ولكن الصنف الرابع وهو أحدثها مركب كيميائي من السلولوس والحض الحليك ويعرف باسم « خلاات السلولوس » وهو يختلف في خواصه عن السلولوس وعن اصناف الريون الاخرى

وتقسم الاساليب التي يعتمد عليها في صناعة « الحرير الصناعي » طائفتين ، وأساس الاختلاف بينهما ان الخيط في الواحدة سلولوس عولج معالجة كيميائية خاصة ، والخيط في الثانية مركب من مركبات السلولوس تكلات السلولوس

وللطائفتين قواعد معينة مشتركة خلاصتها تحويل السلولوس الى محلول ، ثم دفع ذلك المحلول في ثقوب دقيقة الى وسط تتجمد فيه . وقد يكون هذا الوسط غازياً او سائلاً وذلك يختلف باختلاف المادة التي حل فيها السلولوس

ففي العهد الاول من صناعة « الحرير الصناعي » كان يحول السلولوس الى نترات السلولوس ثم يحل هذا المركب في مزيج الكحول والايثر ثم يصفى ويدفع في الثقوب الدقيقة الى حجرة فيها هواء حار فيتجمد الخيط فيها بتيخير المادتين التي استعملتا لحل النترات . وتسترد هاتان المادتان لتستعملتا ثانية . اما الخيط فيعالج بطريقة خاصة لنقص قابليته للالتهاب . ولكن هذه الطريقة لا تستعمل الآن الا في مصنع واحد في الولايات المتحدة الاميركية . فاذا حل السلولوس في مركب من النحاس والنشادر جمد الخيط في محلول حامض او محلول قلو

ولكن الاسلوب المستعمل في ٨٠ في المائة من مصانع « الحرير الصناعي » يقوم على معالجة السلولوس التي بالصودا الكاوية ثم بعد فترة معينة يعالج بثاني سلفور الكربون فيتحول الى مركب سلولوسي يمكن حله في الحمض الكبريتيك المخفف

في هذه الاساليب الثلاثة نجد ان المادة المعالجة هي السلولوس نفسه . ولكن الاسلوب الصناعي الجديد الاخذ في الانتشار الآن قوامه تحويل السلولوس الى خلاات السلولوس ، والخيط الناتج عن هذه العملية هو خلاات السلولوس نفسها وليس بسلولوس صرف . ومن مميزات



هذه الطريقة ان الخيط بعد تجميده لا يحتاج الى معالجة جديدة باي مركب كيميائي ، بل يكون جاهزاً لعملية « القتل » التي تسبق الاستعمال

لما ظهر الحرير الصناعي في السوق اولاً كان خشن الملمس ولكن اتقان الاساليب الصناعية زاد الخيط مائة ونعومة ونقص ثخانتة . ومن اغرب ما ظهر في صناعة الحرير الصناعي زيادة الطلب على نقص لمعانه مع ان الاقبال عليه اولاً كان يباعث هذا اللعان . واغرب من ذلك انه لما ظهر الحرير الصناعي في السوق ألفت لجنة في الولايات المتحدة الاميركية لدراسته فكتبت في بيانها انها لا تتوقع له نجاحاً . ومع ذلك فقد استهلك الولايات المتحدة الاميركية من « الربيون » ( الحرير الصناعي ) مقداراً يفوق ستين في المائة مقدار ما استهلكته من الحرير الطبيعي وقد زاد مقدار المصنوع منه في خلال ١٨ سنة ( ١٩١٠ — ١٩٢٨ ) من ١٠ ملايين رطل الى ١٠٠ مليون رطل وبلغ هذا المقدار ١٤٢ مليون رطل سنة ١٩٣١

ولا يخفى ان من حسنات الحرير الصناعي امكان نسجه مع القطن او الصوف فتصنع كذلك منسوجات متنوعة غاية في المتانة والجمال . وقد صنع من عهد قريب نوع من الربيون ينافس الحرير مظهرأ ومتانة حتى عند ما يكون الخيط مبلولاً ولكن استعماله لم يشع بعد لاسباب صناعية

\*\*\*

وكما استعمل السلولوس قديماً في وسائل المواصلات استعمل حديثاً في احدث هذه الوسائل . ففي الطيارات الاولى كانت هياكل الطيارات ومراوحها Propellers تصنع من الخشب والاجنحة تغطى بنسيج من القطن او الكتان يدهن بنترات السلولوس او بخلاته حتى يصبح مشدوداً ومهما يكن من مستقبل الطيارات المصنوعة من المعدن فان السلولوس كان ولا ريب ذا شأن في ارتقاها حتى الآن

وقد صنع من السلولوس ورق صفيق مقوى تصنع منه علب تستعمل في التجارة ، وورق رقيق شفاف يدعى « السلوفان » . وصناعة هذا الورق الاخير من الناحية الكيميائية لا تختلف عن صناعة الحرير الصناعي ولكن بدلاً من ان يدفع المحلول السلولوسي في ثقب يدفع في شق ضيق جداً فيتحول ورقاً بدلاً من ان يتحول خيطاً

وقد استغني في صناعة الاحذية عن المسامير والخيط في صنع « الكعب » وخفف النعال باستعمال مادة سلولوسية شديدة اللصق فاذا بسطت بين « النعل » واسفل الحذاء التصقا في ٥٠ ثانية فيصعبحان وكأنهما قطعة واحدة والآلة التي تستخدم لهذا الغرض تمكن العامل البارع من انجاز ١٥٨٠ حذاء في ثماني ساعات وربع ساعة من العمل

هذا والعلم لا يزال على عتبة عصر السلولوس :



# العشرة المقدمون

في تاريخ الفكر الانساني

للطبيب ول دورانت

مؤلف «قصة الفلاسفة» و «صروح الفلسفة»

أذعننا في مقتطف مايو الماضي نبأ الجائزة المالية التي جادت بها اريحية صاحب السعادة اسعد باسيلي باشا احتفاءً بذكرى الدكتور يعقوب صروف العاشرة . واقترحنا على الكتاب موضوعاً هو : «العشرة المقدمون في تاريخ الفكر العربي» . اقترحناه ونحن نعلم ان البحث في سيرة كل من هؤلاء الذين يقع عليهم الاختيار ، وتحليل اثره الباقي ، يقتضي مجلداً او اكثر ، ولكننا اقترحناه ونحن نعلم كذلك ان المتغفل في تاريخ الفكر العربي ، المتعمق في فهم تياراته القوية ، يستطيع ان يستشرفها فيلم بمن يحسبهم اعلامها وبما ابدعوا وخلقوا من اثر وكيف وجهوا معاصريهم ومن اتي بعدهم في صفحات معدودات . ووعدنا ان ننشر في مقتطف يونيو مقالاً للكاتب الفيلسوف الاميركي ول دورانت ، نحسبه نموذجاً صالحاً لما نقصد ، مع انه قصر اختياره على الفلاسفة والعلماء ونحن اضفنا اليهم رجال الادب . ولكنه حصر ميدان البحث في اصحاب الاثر الباقي منهم ناظراً الى ما استحدثوه من الآراء والمذاهب وما مدى تأثيرها في عصرها والنصور التي تلتها ، وهل كانت مبتكرة او منقولة ، وشاملة او منحصرة في فرع واحد من فروع الفكر ، وعويصة نفذ بها صاحبها الى جواهر الاشياء او سطحية رقرقة لم تمس الا سطحها

ومقال المستر دورانت رد على سؤال وجه اليه من قبل مجلة اميركية نصه :

« من هم اعظم عشرة مفكرين في التاريخ » . قال بعد ان توطئة : — « المحرر »



## كنفوشيوس

ارى القارىء بهم بالاعتراض قائلاً — كيف نختار كنفوشيوس ونفعل المسيح او بوذا ؟ ان السبب في ذلك ان كنفوشيوس كان فيلسوفاً اديباً لا واعظاً يدعو الناس الى عقيدة دينية جديدة . وان دعوته الناس الى الاخذ باسباب الحياة النبيلة كانت مبنية على بواعث زمنية لا على اعتبارات فوق الطبيعة . انه اقرب من المسيح الى سقراط وفلسفته . ولد سنة ٥٥٢ قبل المسيح في عصر حلت فيه الفوضى في الصين محل مجدها القديم فتمزقت تلك البلاد دويلات دويلات يسودها النزاع والحرب فاخذ على عاتقه ان يعيد اليها النظام والوثام . وهالك فقره من كتاباته توضح لك آراءه قال :

« ان الاقدمين الامجاد كانوا اذا ارادوا ان يوضحوا الفضائل السامية وينشروها في الناس ينظمون احوال ممالكهم . وقبل ان ينظموا احوال ممالكهم كانوا ينظمون احوال اسرهم . وقبل ان ينظموا احوال اسرهم كانوا يهذبون اخلاقهم . وقبل ان يهذبوا اخلاقهم كانوا ينقوا نفوسهم . وقبل ان ينقوا نفوسهم كانوا يحاولون ان يكونوا صادقين ومخلصين في افكارهم وقبلما كانوا يحاولون ان يكونوا صادقين ومخلصين في افكارهم كانوا يوسعون معارفهم . وتوسيع المعرفة كان يحجب عن طريق البحث والمشاهدة . شاهدوا الاشياء فاكتملت معارفهم وحين اكتملت معارفهم خلصت افكارهم وحين خلصت افكارهم تهذبت اخلاقهم وحين تهذبت اخلاقهم تنقّت نفوسهم وانتظمت اسرهم . وحين انتظمت اسرهم انتظمت دولهم ، وحين انتظمت دولهم اصبحت الارض كلها ترح في السعادة والوثام »

هذه فلسفة اديبة سياسية صحيحة في بضعة اسطر . نعم انها فلسفة محافظة ، تعلي كثيراً من شأن العادات الاجتماعية وتستخف بالديمقراطية ولكنها رغمًا عما فيها من اقوال شبيهة بمبادئ المسيحية ، نراها اقرب الى فلسفة الرواقيين منها الى المعتقدات بالمسيحية . ويقال ان لهذباً وجهه سؤالاً الى كنفوشيوس قال فيه « انجازي الشر بالخير » فقال « كيف يجازي اللص اذا ؟ جاز الخير بالخير ، وجاز الشر بالعدل » . ولم يكن يعتقد ان الناس متساوون وان الذكاء هبة عامة لجميع الناس بل كان يعتقد ان اكبر حظ يصيبه شعب من الشعوب هو اقصاء الجهال عن المناصب العامة واحلال الحكماء محالهم . فاخترته مدينة كبيرة من مدن الصين تدعى شنغ تو حاكماً عليها « فحدث اصلاح عجيب على اثر توليته ، في عادات الشعب واخلاقه . فوضع حداً للجرائم ولم يجزؤ الحبس والخداع ان يرفعوا راسيها واصبحت الامانة وحسن النية من ميزات الرجال ، والعفة واللطف من صفات النساء » . اني لا اكاد اصدق ما يقال انه حدث لبعده عن طبائع الناس والراجح انه لم يدم زمناً طويلاً . ولكن اتباع كنفوشيوس ادرکوا عظمة معلمهم حتى في حياته



فدقوه في احتفال مهوب وبني جمهور كبير منهم اكواخاً قرب قبره واقاموا فيها ينوحون على  
فقدته ثلاث سنوات وبقي احدهم واسمه تسي كنع بعد ذلك ثلاث سنوات اخرى  
نجيل الطرف في الحضارات المتعددة التي نشأت ودالت بعد زمن كنفوشوس فلا نجد في  
احداها رجلاً ينهض بفكره فوق بقية الرجال كما ينهض الجيل فوق الآكام التي حوله، انا  
لانجد رجلاً نسمع في صوته صوت الشعب الذي ينتمي اليه، ولا في تعليمه ما اصلاح حالهم او  
احدث فيهم انقلاباً ما. نحن نطوي الهند والعراق والشام وآسيا الصغرى، فنقع فيها على بعض  
المشرعين الدينيين، ولكننا لانقع على عالم عالي ولا على فيلسوف عالمي. ثم نستعرض الدول  
المصرية فينبؤنا التاريخ عن مئات من الفراعنة وآثار خالدة من الفن، ولكننا لا نجد اسم رجل  
جمع في عقله حكمة الماضي وطبع شعبه بطابعه الفكري الخاص. فنصرف النظر عن كل هؤلاء  
الشعوب وتوجه الى بلاد اليونان في عصرها الذهبي — عصر بركليس

### افلاطون

اتصور القاريء يهيم بالاعتراض ثانية ولسان حاله يقول كيف نختار افلاطون ونصرف  
النظر عن معلمه سقراط اب الفلسفة واعظم شهدائها. عسى ان لا يضطرب القاريء اذا قلت له  
ان نصف ما يذكر عن سقراط حديث خرافة. فقد اثبت المسيو دوبريل احد كتاب فرنسا في  
كتاب دعاه «الخرافة السقراطية» ان سقراط من طبقة اخلص وأديوس ورومولس وغيرهم  
من الاشخاص الذين تحجب حقيقة الخرافات والاساطير. ولا ريب في ان جانباً كبيراً من  
شهرة سقراط عائد الى ذلك تلميذه افلاطون وألمعيته. ولا نعلم ما في كتابات افلاطون من آراء  
سقراط حقيقة وما فيها مما ابتكره افلاطون نفسه فليكن اسم افلاطون رمزاً لكيهما  
من يداخله اقل ريبة في اثر افلاطون. انظر الى الاكاديمية التي انشأها، اولى الجامعات  
في التاريخ واطولها عمراً. انظر الى الاهتمام العام بفلسفته، والتجديد الذي تم غير مرة فيها كما  
ظهر اولاً في اصحاب الفلسفة الافلاطونية الجديدة في الاسكندرية ثم في اتباع افلاطون  
بكمبريدج. انظر الى المقام الذي احرزه افلاطون في حضارة القرون الوسطى وما لفكره من  
الأثر في المباحث اللاهوتية الحديثة. واذكر ان مائة الف تلميذ او اكثر في جميع انحاء العالم  
المتمدن مكبون اليوم على «جمهوريته» «ومحاوراته» يتلقون منها الحكمة. هذا هو خلود  
النفس يتلاشى امامه فناء الجسد. ان «محاوراته» لمن آمن الآثار التي يقتنها البشر ففيها  
اتخذت الفلسفة اولاً شكلاً معيناً ولما افاض عليها افلاطون من عواطف شبابه الزاخرة المتنوعة  
وصل بها الى قمة عليا من كمال الابداع  
اذا شئت ان تصغي الى حديث سام عن الحب والصدافة والبحث عن الجمال فاقرأ ليس



وكارميدس وفيدرس . واذا شئت ان تعرف ما يناجي نفساً شريفة مما يتعلق بالحياة الاخرى فاقراً «فيدو» . ان صفحاتها الاخيرة لمن اعلى القيم التي بلغها النثر في كل عصور التاريخ . واذا كانت تلذ لك مشاغل العقل واسرار المعرفة فاقراً بارميندس وثيتيتس . واذا كانت تلذ لك كل المباحث على اختلافها بوجه عام فاقراً «الجمهورية» ففيها تجد مباحث في ما وراء الطبيعة والآداب وفلسفة النفس واللاهوت والسياسة والفن . فيها تجد المبادئ التي تشدها طالبات التحرر من النساء ، وفيها تجد القواعد التي يدعو اليها علماء الحياة اليوم لتحديد النسل . فيها تقع على مبادئ الاشتراكية واليوجنية والارستقراطية والديمقراطية والتحليل النفسي والمذهب القائل بان الحياة مظهر من مظاهر التفاعل الكيماوي . فلا عجب ان يقول امرسن في هذا الكتاب « احرقوا كل الكتب في هذا الكتاب غنى عنها »

### ارسطوطاليس

لا شك في ان جميع الباحثين يجمعون على اختيار ارسطوطاليس وضمه الى المجلس الذي تؤلفه من اعظم المفكرين . فابناء القرون الوسطى دعوه « بالفيلسوف » ( ودعاه العرب بالمعلم الاول ) يريدون بهذه التسمية انه جمع في شخصه فكره اسمي ما بلغته الفلسفة من الغايات . على ان لا نرى انفسنا مسوقين الى اختياره بدافع الاعجاب الذي يسوقنا الى اختيار افلاطون . لانا حين نقبل على كتب ارسطوطاليس نحس بحفاف ما فيها من حقائق مجردة يملها عقل خاضع لقوانين البحث المنطقي . ولكن يجب ألا نحكم عليه من مطالعة كتبه لانه قد ثبت ان معظمها كان خلاصات دوتها هو او دونها تلاميذه لتذكر الخطب التي كان يلقيها عليهم ، وعليه فليس من الانصاف ان نقابل هذه الكتب بمحاورات افلاطون التي كانت ولا تزال اقوى ما يدفع الناس الى الاعجاب به اعجاباً يقرب من الحب

فاذا صرفنا النظر عما تقدم وجدنا ان عقل ارسطوطاليس كان من اعجب العقول في تاريخ الفكر مضاء سوائاً انظرنا اليه من حيث سعة المباحث التي اشتغل بها ام من حيث تعمقه في كل منها . انه يطوق الكرة بفكره فيبحث في كل موضوع من موضوعات العلم والفلسفة فيزيده وضوحاً ويرى لكل مشكلة من مشكلاتها حلاً وتعليلاً معقولاً فكانه بث العيون والارصاد تجمع له شتيت الحقائق والمعارف ثم تناوها بعقله فوحد بينها . انك تجد في كتبه التعاريف والالفاظ الفلسفية التي لا تزال تستعمل الى الآن . كذلك تقع فيها على حكمة تكاد تكون كاملة تشمل الحياة بأسرها . لقد كان ينشئ علوماً جديدة بسهولة تامة في مؤلفاته تقع على اول ذكر لعلم الحياة وعلم الاجنة والمنطق . لم يكن اول من فكر في هذه الموضوعات ولكنه كان اول من فكر فيها مفيداً تفكيره بالملاحظة والبحث والاستقراء والامتحان واستنتاج النتائج من مقدماتها .



فاذا صرفنا النظر عن علم الهيئة وعلوم الطب فتاريخ العلم يبدأ من مباحث هذا الفيلسوف العظيم . مامن  
فيلسوف او عالم آخر كان له من الاثر الواسع النطاق كاثار اسطوطاليس الا كنفوشيوس . ان جميع  
دارسي التاريخ يعرفون ان علماء مدرسة الاسكندرية والباحثين في رومية في عهد الامبراطورية  
اتخذوا مؤلفات اسطوطاليس قاعدة لمباحثهم العلمية وان فلسفته التي نقلها العرب الى اوربا  
اصبحت القاعدة التي بنيت عليها الفلسفة المدرسية في عصور النهضة وان دانتي وضعه في المقام  
الاول بين رجال المعرفة فدعاه « معلم المعلمين » وان المعلمين البرنطيين بعد ما افتتح الاتراك  
القسطنطينية عنوة هجروا شرق اوربا الى اواسطها وغربها ففقلوا معهم بزور فلسفته فكانت من  
اكبر العوامل في النهضة الاوربية بعد القرون المظلمة . وبقي اسطوطاليس مسيطراً على سير  
الفكر البشري نحو الف سنة لم تنقض الا امام البحث العلمي الذي قال به روجر باكون والفلسفة  
التي ابتكرها فرنسيس باكون

\*\*\*

تمر بنا اليونان ونستقبل رومية فنسأل من هم اعظم المفكرين فيها . ان لقرطيوس اولهم  
واعلاهم كعباً . على ان فلسفته لم تكن من مبتكراته ، بل اسندها بكل صراحة الى ابيقوروس ،  
ولم يكن اثره الا اثراً متفرقاً . وعليه فلا نستطيع ان نختاره ليدخل مجمعنا . واما سنكا وبكيتوس  
واوريليوس فلم يكونوا سوى اصداء تردد اقوال بعض فلاسفة اليونان كزيفون وغيره يطبقونها  
على احوال رومية المتضعضعة . كانت الحضارة الرومانية في اواخر ايامها حين كتب هؤلاء  
الكتاب ، قد هانت بعد العز ، ودالت بعد القوة وحل الارقاء محل الاحرار وخضعت المدن العامرة  
القديمة لفرائض الجزية والطاعة . وانقسمت الطبقات السائدة طرائق طرائق ، واذا الحضارة  
القديمة قد دكت الى الحضيض وبانت الاطلال تسمى من بناها

ثم ما لبثت ان قامت الكنيسة المسيحية فوق الاطلال تجمع الاحزاب وتزيل الضغائن  
بفعل الكتب المقدسة . زال الامبراطرة وبقي البابوات . ورجعت كتابات الجيوش من ساحات  
الحروب وانطلقت مكانها فرق الرهبان ، جيوش المعتقد الجديد تنشي نظاماً جديداً يستطيع  
الفكر ان ينمو فيه ويعيش . ما اطول ذلك العهد الذي اخذ العقل الاوربي فيه يتلمس طريقه الى التور  
واتسعت المتاجر ، واصبحت القرى الصغيرة مدناً كبيرة ، والمدارس جامعات فتمكن بعض  
الافراد ان يتحرروا من مطالب الحياة الشديدة لينعموا في ظلال التفكير والدرس والبحث  
فهز ابلار نصف قارة اوربا بيلاغته وادمج بوناقتوري وأسلم خلاصة الافكار الشائعة في فلسفة  
لاهوتية مجيدة ولما انقضى زمن الاستعداد انحبت اوربا اسطوطاليساً آخر في شخص هو :



## توما الاكوييني

رجل كان يهتم بشق مظاهر الكون والحياة ووصل باسلاك دقيقة من الفكر بين ضفتي الهوة القائمة بين العلم والاعتقاد . جمع معارف عصره وفسرها ووحدها ثم سدّها الى مسائل الحياة والموت وعليه فيجب ان نختاره وان كان بعضنا لا يرتاح الى ذلك

ان قلبي لينفطر اذ أجبر على اختيار توماس الاكوييني ليشغل بين أعظم المفكرين محلاً كنت اود ان اشاهد فيه سينوزا او ليوناردو دافنشي ، ولكن جرياً على الخطّة التي رسمتها وهي التجرّد عن الهوى في اختيار من نختار ، يجب ان نخضع اهواءنا لعقولنا . ان تفوق توما الاكوييني في قرن حافل بالعظماء واثره البعيد المدى في ملايين من الناس ، وآراءه التي لا تزال في عرف كثيرين اقوى دعامه من مبادئ العلوم الحديثة ، وفلسفته التي لا تزال الركن الذي يقوم عليه اعظم مذهب مسيحي ، كل ذلك يحكم علينا باختياره

وفي القرن الخامس عشر ارتفع صوت من بولونيا يقول ان الارض وهي موطن قدمي الله في عرف الاقدمين ليست سوى سيار صغير يدور حول شمس صغيرة . قول لا يثير فينا الآن دهشة ولا استغراباً لاننا تعلمناه في مدارسنا ونقرأه في الكتب والصحف ، ولكنه كان كفراً والحادث في عصر كانت فلسفة ابنائه تقوم على قرب الناس من السماء لانه جاء ضربة قوية حطمت السلم الذي يصل بين البشر والملائكة

## كوبرنيكس

ان كتاب « كوبرنيكس » الذي عنوانه « دوران الاجرام السماوية » احدث ثورة فكرية بعيدة المدى . لما جلس يراقب الكواكب المعانة الاخذة لم يكن يدور في خله ما قد يكون لقوله من الاثر في المعتقدات ، لانه كان قد اخذ بالبحث عن الحقيقة والحقيقة في عرفه محرر الناس ، فقلب بسحر معارفه الرياضية رأيهم في الكون فبعد ما كانوا يعتقدون ان الكون وما فيه يدور حول الارض والانسان اضحووا يرون ان الكون نجوم وعوالم منتثرة في هذا الفضاء غير المحدود

لا نعلم مبلغ تقصي كوبرنيكس من العلوم الرياضية والفلكية على اتنا نقيس مكاتته باثره الذي لا يقاس . فيه بدا العقل يثور على الخرافات والاقوال التي تقبل بالتسليم ومن ثم مضى في ثورته عصرأ بعد عصر ، يكشف حقائق الطبيعة ويسيطر على عناصرها حتى بلغ ما بلغه الآن فالثورة التي اثارها كوبرنيكس اثبتت ان الفكر البشري بلغ اشده حينئذٍ ومنها سار في معارج النضوج والاكمال



بلغ الفكر البشري أشده في عصر كوبرنيكس ومن ثم اخذ يتقدم بخطوات ثابتة في كشف اسرار الطبيعة والسيطرة على عناصرها . فكان العصر الذي تلا عهد كوبرنيكس حافلاً برواد الفكر الشجعان الذين لم يقعدهم خوف او انتقاد عن الخوض في مختلف المباحث من مختار ممثلاً لهذا العصر — عصر الاختيار؟ انختار ليوناردو دافنشي المصور الموسيقي الفحات البناء المستنبط المهندس الفيلسوف العالم بالتشريح والفسولوجيا والطبيعات والكيمياء والجيولوجيا والزولوجيا والنبات والجغرافيا والرياضيات؟ كلا ان التعريف الذي اطلقناه على رجال الفكر لا يشملهم لانه كان رجل فن اكثر منه مفكراً او عالماً واثره الباقي في الناس هو اثره الفني فاذا ذكرناه الان نذكر صورتيه « الجيوكوندا » « والعشاء الاخير » لا رأيه في الآثار المتحجرة او دورة الدم

### فرنسيس باكون

انختار جيوردانو برونو صاحب النفس الباحثة وراء الغيوم عن الوحدة الالهية غير راضية عن المذاهب والطوائف واختلاف المعتقدات؟ كلا لانا نجد في هذا العصر رجلاً أوسع فكراً وأبعد أثراً من برونو الذي أحرق في سبيل الفلسفة . نجد رجلاً دعا جميع الباحثين عن الحقيقة الى الترابط والتعاون في خدمة العلم واثبت ان الغاية من الفكر ليست المناقشة المدرسية والتكلم بالغيب بل الغاية منه السيطرة على الطبيعة سيطرة تمكن الانسان من القبض على ناصية الاحوال الطبيعية التي يعيش فيها . انه رجل بلغ من سعة نظره ان رسم خريطة لمجاهل العلم ودل الباحثين الى اصول العلوم التي انشأوها بعدد ودبرهم على كشف حقائقها وترتيب اصولها . هو الرجل الذي نفخ روح الحياة في الجمعية الملكية الانكليزية وجماعة الانسكوبيديين الفرنسيين وعلم الناس ان المعرفة للقوة والسيطرة . لا للتأمل والتخيل . هو الرجل الذي قضى على منطق ارسطو طاليس واقام الملاحظة والامتحان اساساً للفكر واتصف بكل الصفات التي يمتاز بها الفكر الحديث — هذا هو فرنسيس باكون

وحديث التقدم الفكري منذ ايام باكون الى الآن هو حديث الفلسفة الباكونية والاساليب الباكونية وانتصارها على الفلسفة والاساليب القديمة

\*\*\*

ما اكثر الرواد على هذه الطريق . ففي يدي ديكرت يتصارع النظام القديم مع النظام الجديد من غير ان يتم الفوز الاكمل للجديد . وفي عقل لينينز نشاهد ما للتقاليد القديمة المرعية الجانب من قوة وثقوة لانها تحول الرياضي الممتاز الى لاهوتي متردد . وفي صوت عمانوئيل كانت



نسمع صوت المعتقدات القديمة يرتفع وسط اهتزاز الريبة والشك التي اثارها المباحث الجديدة والآراء الجديدة

على ان سينوزا وفق توفيقاً غريباً في الجمع بين هذين المذهبين المذهب العلمي والمذهب اللاهوتي في النظر الى الطبيعة والسكون . ومن هو سينوزا ؟ رجل جعل التأمل في الله والطبيعة والحياة عمله ، فسار به عقله المتفوق اشواطاً بعيدة في كشف الكثير من اسرارها . انظره يصنع بلوراته ، او يدون آراءه في ما وراء الطبيعة او يدرس الهندسة والميكانيكات او يستشهد للفلسفة يرى في كل عمل من اعماله عظمة وجلالاً جعلت كل مفكر بعده يتأثر بفكره السامي وشخصيته القوية . ولكننا لا نستطيع ان نتخذه واحداً من العشرة الذي نحاول اختيارهم . لان اثره كان محدوداً ومحصوراً في افراد قلائل ولو كانوا من قادة الفكر في العصور التي تلت عهده

### نيوتن

ولكن من يشك في مقام نيوتن ؟ ان تلاميذ المدارس يعرفون كثيراً من القصص التي تروى عنه وتدل على انصرافه عن سقاسف الحياة الى التأمل في اسرار الكون . ان قصتي التفاحة الساقطة والكلب الذي احرق له كتاباً ثميناً اشتهر من ان تذكر ولكن هل يعلم كثيرون ان كتابه « المبادئ » كان فاتحة عصر جديد تمت فيه سيطرة العلم على سير الفكر الحديث . وان نواميس الحركة التي كشفها اصبحت اساساً لعلم الميكانيكات الحديث الذي بُني عليه كل تقدم عملي في عمراتنا الحاضر وان اكتشافه لناموس الجاذبية حول السكون الى نظام دقيق تعرف ابعاد اجرامه واجرامها وحركاتها . قال فولتير « كنا نتحدث فسأل سائل اي الرجال التالية اسماؤهم يفوق الباقي عظمة — الاسكندر او قيصر او تيمورلنك — فاجاب احد الحضور لاشك ان نيوتن اعظم الجميع . فكان كلامه فصل الخطاب لان نيوتن يسيطر علينا بقوة العقل لا بالعنف البدني وعليه فنحن نحترمه » . فيظهر مما تقدم ان معاصري نيوتن ادركوا مقامه الفريد بين رجال الفكر ، وقد جاء الاحتفال بانقضاء مائتي عام على وفاته اقوى دليل على ذلك

### فولتير

والى فولتير يعود الفخر والفضل في نقل مبادئ نيوتن الميكانيكية وفلسفة هُبس الى فرنسا فكان عمله مبدأ عصر النهضة والنور فيها وكان هو حامل مصباحه ورافع لوائه . قد يدهش بعض القراء ويحقق بعضهم حينما يرون فولتير قد رُج بين اعظم المفكرين في التاريخ ويعترضون بانه لم يكن مبتكراً في آرائه وانه كان فوق ذلك هداماً اكثر منه بّناءً ولكن من منا مبتكر لدى التحقيق واي رأي تتصوره الآن لم يذكر منذ القدم في صور مختلفة ؟ ان ابتكار الخطأ اسهل على الناس من



ابتكار الصواب. ألم يتناول سينوزا — وهو من أكثر المفكرين تفصيلاً وعمقاً — مبادئ آرائه وفلسفته من برونو وابن ميمون وديكارت؟ ألم يتخذ أحد العلماء موضوعاً لبحثه حين نال لقب الدكتوراه « ان كل ما كتبه أرسطوطاليس باطل لا يستثنى منه سوى ما نقله عن افلاطون » ألم ينقل افلاطون قديماً وشكسبير حديثاً كثيراً من مرويّات الناس فحولها بسحر خيالها وبلاغتها الى آيات خالدة من الفن والجمال؟ فاذا سلمنا بأن فولتير وباكون انارا مصباحيهما من مصابيح الغير افلا يكفيهما فخراً وعظمة انهما اضاءا بهما العالم. اخذ فولتير من غيره آراء كانت مطموسة مطمورة في زوايا النسيان لصعوبة تناولها، فبسطها وألبسها من سحر بلاغته ثوباً خلاباً فقبل عليها الناس اي اقبال

وهل كان فولتير هداماً كما يقال؟ ان فرض الاعتراف بمقامه وقوة فكره لان آرائه تختلف عن آرائنا؟ ألم تتخل عن سينوزا لان أثره كان محصوراً في نفر قليل من المفكرين مع ان بعضنا يقدس فلسفته حتى يكاد يقسم بها؟ وعليه فيجب ألا نسأل هل تتفق آراء فولتير مع آرائنا بل هل قبلها الناس وهل كان لها اثر فعال في تلوين آرائهم وتوجيهها في عصره والصور التالية؟ لا ريب في ذلك! يقال ان الملك لويس السادس عشر التفت في سجنه فرأى مؤلفات فولتير وروسو فقال « هذان الرجلان قوضا دعائم فرنسا ». ولو وضع كلمة « الاستبداد » بدل فرنسا لكان اصاب كبّد الحقيقة

على ان الملك لويس اسبغ على الفلسفة شرفاً لا تستحقه كلمة. اذ لا شك ان الحالة الاقتصادية في فرنسا في العصر الذي سبق الثورة مهدت السبيل الى الثورة الفكرية التي كان فولتير زعيمها ورافع لوائها. لكن الألم في عضو من اعضاء الجسم لا يدفع الانسان الى معالجته ان لم يشعر به اولاً بما تنقله الاعصاب من الاحساس بالألم الى الدماغ. وعلى ذلك قس حالة فرنسا. ان جهل العامة بفساد الحكم في ايام البوربون جعل استمرار الحالة مما لا مندوحة عنه الى ان يقضى على البلاد بتمزق شملها وهبوطها الى هوة سحيقة من الانحطاط والخذلان. لكن أقلام عشرات من الكتاب انطلقت من عقاها تصور للشعب فساد الحال فكان صريها أوقع من صليل السيوف لانها دلت الشعب على مكانم الداء الفتاك فهبّ يبحث عن الدواء. وفي هذا العمل العظيم كان فولتير القائد الاعلى انضم تحت لوائه عشرات من الكتاب كلهم يعترف بقيادته وينقاد الى اشارته حتى فردريك الكبير حياه بقوله « انه أكبر نابغة أنجيته العصور »

وكما ان قادة الفكر في ذلك العصر كانوا ينحون امام فولتير احتراماً كذلك نراهم في العصور التالية يعتبرونه امام الحرية الفكرية ويلقبونه بصاحب الجلالة. فنتشبه الفيلسوف الالماني استقي كثيراً من نعمه وقدم اليه احد مؤلفاته وأتاتول فرانس تلمذ له ودرس عليه في مؤلفاته التسعة



والتسعين وكتف بها أسلوبه وفكره . وبراندس كبير الجنود في كثير من معارك الحرية الفكرية وقف إيمانه الأخيرة على وضع سيرة له كاد يرفعها فيها إلى مصاف الآلهة . فإذا اغفلنا أكرام فولتير كنا غير جديرين بالحرية التي رفع منارها

على أن هناك وجهاً آخر للنزاع بين الإيمان والشك ، بين الفلسفة القديمة والاساليب العلمية الحديثة . ذلك أن كثيراً من المعتقدات التي أنهارت أمام النزعة العلمية الحديثة كان لها كثير مما يشفع بها وفولتير نفسه بقي موحداً مؤمناً حتى أنه أقام في بلديته كنيسة للصلاة . على أن أتباعه تعدوا الحد الذي بلغه زعيمهم ولما مات كانت الفلسفة المادية قد طغت بتيارها وتغلبت على كل فلسفة أخرى تنازعها البقاء حينئذ

\*\*\*

في أواخر القرن السابع عشر ظهر في إنكلترا الفيلسوف الإنكليزي جون لوك فكان الرأي الأساسي في فلسفته أن الاختبار مصدر المعرفة وأن الحواس سبيل الاختبار وأن العقل لا يحتوي على أمر لم يصله عن طريق الحواس . فكان قوله هذا سبيلاً إلى الاستنتاج بأن الاجسام المادية تؤثر في العقل عن طريق الحواس دون غيرها . واثنا لانستطيع أن نعرف شيئاً إلا إذا كان جسماً مادياً وعليه فالفلسفة المادية هي لباب الحق فرد عليه المطران باركلي بقوله أن قول لوك يثبت من نفسه أن لا وجود مستقل للعادة وإنما هي توجد لاثنا نشعر بها بحواسنا فإذا انعدمت الحواس انعدمت المادة فقضى برده هذا على المادة والفلسفة المادية . ولم يلبث أن أنبرى لهما دافيد هيوم فكتب رسالته التي عنوانها « الطبيعة البشرية » جارى فيها باركلي في نفي وجود المادة المستقل وتعداه فأثبت بالطريقة نفسها أن العقل ليس له وجود مستقل

كانت

تصور الحالة الفكرية في ذلك العصر وما أصيبت به من الاضطراب . استل باركلي سيفاً طعن به المادية فجاء هيوم واستل السيف نفسه وطعن به العقل غير المادي والروح الخالدة وفي المعركتين فقد العلم كثيراً من مقامه وهيبته . في ذلك الحين تناهت إلى عمانوئيل الألماني ترجمة مؤلفات هيوم فقرأها ولما أتمها ناجى نفسه قائلاً « أتدخلني عن العلم والإيمان لهذا النقادة الهدام ؟ ماذا يجب أن تفعل لانتقاذها ؟ »

وماذا فعل ؟ وضع كتابه « نقد العقل الخض » ووضع فلسفته السكالية التي رفع فيها



شأن التأمل كمصدر من مصادر المعرفة لأنه قضى بان الاختبار لا يمكن ان يكون وحده مصدر المعرفة فأصغى الناس الى صوته فرحين لانهم سمعوا فيه صوت التقاليد والمعتقدات القديمة التي كانت مرعية الجانب لدى آباءهم واجدادهم ، ولانهم رأوا فيه منصرفاً عن العلم اليقيني المادي الذي اخذ ينتشر حينئذ

\*\*\*

ومن يشك اقل الشك في اثر كانت ؟ انه انقذ العقل والنفس من قبضة المادة . ودفع بالمانيا كلها الى الاهتمام بالمباحث التي ما وراء الطبيعة فأقبل عليه شلر وغوته يتلقيان الحكمة والحق ونقل عنه بهوفن قوله « ان عجيتي الحياة هما القبة الزرقاء ترصعها الكواكب والناموس الاديبي في نفس الانسان » وتابعه فيخت وشلنغ وهيجل وشوبنهاور فوضع كل منهم نظاماً فلسفياً جديداً يقوم على نزعة الكمالية . وكان كتابه « نقد العقل المحض » كان تمهيداً لآراء شوبنهاور ونيتشة وبرغسن ووليم جيمس . وحتى الآن لا يزال نظامه الفلسفي قائماً لان العلم الحديث في اشخاص بيرسون وماخ وبوانكاري اثبت ان « الحقيقة » و « المادة » و « الطبيعة » و « نوايسها » كلها مما يستنبطه العقل ولا وجود لها الا بوجوده فكان اكليل النصر عقد السكانت وفلسفته ففازا على المادية والاحاد ثم جاء دارون فثارت الحرب ثانية

دارون

اتقا لا نعلم ما قد يكون اثر دارون النهائي في تاريخ البشر ولكن لا ريب في انه فاتحة عصر جديد في التقدم الفكري . فاذا ثبت انه على خطا فيما ذهب اليه اغفله الناس كما كادوا يغفلون ديموقريطس وانكساغورس . واذا ثبت انه على صواب تقدمت الاحيان المقبلة اليه بالتجلة والاعظام وجعلوا سنة ١٨٥٩ وهي السنة التي نشر فيها كتابه « اصل الانواع » حداً يبدأ عنده الفكر الحديث

وماذا فعل دارون ؟ رسم صورة للارض والحياة تختلف عن كل صورة قبلها ، واثار فيها اشارة دقيقة الى كل ما رآه من غير ان يتهمج على معتقد ما . واذا الطبيعة في هذه الصورة معركة حامية الوطيس ، فيها الولادة عرس والموت حقيقة ازلية . والحياة سداها ولحمها الانتخاب الطبيعي القائم على تنازع البقاء وبقاء الاصلح . وسطح الارض مرتع للاحياء من منظورة وغير منظورة يأكل قويا ضعيفها ويقتك داهيتها بساذجها ، وصار للافعال الطبيعية



على اختلافها من زهير وزلزال واعصار وطوفان ووباء وحريق وحرب شأن كبير في هذا الانتخاب ، تبيد بها أجيال وتبقى اجيال اخرى تعيش وتكاثر الى ان يُقضى عليها او يحل محلها ما هو اصالح منها للبقاء . هذا هو النشوء وهذه هي الطبيعة وهذه هي الحقيقة وهذه هي الارض — بحسب صورة دارون

جاء كوبرنيكس فأثبت ان الارض ذرة سابحة في الفضاء فقضى على المعتقد القديم القائل بانها مركز الكون وموطى قدمي الله . وجاء دارون فأثبت ان الانسان حيوان يتنازع مع سائر الحيوانات للسيطرة على الكرة الارضية فقضى ايضاً على المعتقد القديم القائل ان الانسان خلق خلقاً مُستقلاً وأنه سيد كل المخلوقات

تصور تأثير هذه الفلسفة الجديدة في العقول التي نشأت على الفلسفة الكمالية والمعتقدات الدينية . افتعجب اذاً حين ترى رجال المعتقد القديم يشرون حرباً ضروساً على الرأي الجديد حتى يبلغ العداء بين العلم والدين مبلغاً من الحدة والشدة لم يبلغه بعد غيليو وبرونو ؟ ولكن ألا يقف المنتصرون في هذا المعترك على جثث ضحاياهم بأسفون انصرهم الميين تواقين الى النظام القديم والمعتقد القديم الذي قوضوا اركانه ؟!

\*\*\*

امامك اذن الرجال العشرة الذين انتخبناهم  
كنفوشيوس — افلاطون — ارسطوطاليس — توما اكيناس — كوبرنيكس — باكون —  
نيوتن — فولتير — كانت — دارون . والى جانبهم انداد لم يسعنا ان ندخلهم جميعاً مع ان  
لهم مقاماً لا يقل عن مقام هؤلاء — ديمقريطس — ابيقوروس — مرقس اوريليوس —  
ايلارد — غيليو — سينوزا — لينتز — شونهور — سبنسر — وينتش

\*\*\*

وقد حكم علينا ان لا نذكر احداً من المخترعين لان كثيراً من العقول اشتركت في اخراج  
مستنبط واحد من حيز الخيال الى حيز العمل والاتقان . واذا ذكرنا الحركات الاجتماعية  
الكبيرة في التاريخ وجدنا انها ضربنا صفحاً عن كثيرين من زعماء الفكر البشري . ابن الحركة  
النسائية وزعيماتها من ماري ولستونكرافت الى سوزان اتوني . وابن الحركة الاشتراكية من  
ديوجينيس وزينون الى لاسال وماركس ؟ وهذا النقص لا سبيل الى تلافيه اذ اية قائمة تستطيع  
ان تستنفد كنوز الفكر البشري على اختلافها ؟ آه



# ارتحال الصديق

مصطفى صادق الرافعي

لإسماعيل مظهر

لئن لم يكن في موت الرافعي من أثر إلا أن تكون خبيعتنا فيه خبيعة العربية والعروبة، وخبيعة اللغة والأدب والفن الاسلوبي الاسمي، بل وخبيعة الاسلام، لكفى بموته واعظاً يعظنا، وذكراً تساورنا عن تلك القرون الماضية التي ارتحل فيها من امثاله أقولن امتازوا بما امتاز به من انصقال الطبع وحمية الروح وصفاء القلب ونقاء النفس. نعم أقولن هم اولئك الذين اتصفوا بما أضفت الطبيعة على الرافعي من صفات اليقظة الحقيقية. فقد كان رحمه الله يقظ النفس، يقظ الروح، يقظ الفؤاد. فأكسبته يقظة نفسه قوة الايمان. واكسبته يقظة روحه قوة العمل. واكسبته يقظة فؤاده قوة الحرية والصراحة. فقد عاش رحمه الله مؤمناً عاملاً حراً مستقلاً ما اضناه حب الجاه الكاذب يوماً فأرغمه على أن يلوذ بأذيال عظيم او يداجي ابتغاء مرضاة انسان. بل عاش لنفسه ولا يمانه ولحريته، فكان المثل الاعلى في زمان قلت فيه المثل وكثرت المثلات لا يعيننا من أمر الرافعي وقد ارتحل عن هذا العالم الفاني، ان نصفه فنخرج منه صور نحاول ان نطبعها في عقول اهل هذا الزمان، فان ما بين الرافعي وبين الكثيرين من اهل هذا الزمان من فروق تجعل طبع صورة صحيحة من شخصيته في عقول الناس امراً عسيراً. فلا أحاول هذا اذن الآن بل أحاول أن أقضي حق صديق رحل، فأقول فيه ما اعتقد انه الحق، وان ألم بمجمل ما تركت صداقته في نفسي من آثار لمعي لا أخطئ. اذا قلت انها آثار باقية، على قدر ما أشعر في قرارة نفسي من ثقة بأن للرافعي في نفسي آثاراً تتناول نواحي شتى. فلقد كان لذلك الراحل الكريم شخاصة تشيع آثارها في نفسك شيوع الكهرباء في المادة الجامدة فتكسبها معنى جديداً هو معنى القوة تغمرك، ثم لا تتبدد كنت أشعر بأنني الى جانب الرافعي في رحابة صديق خالص الود زكي القلب، تقي السريرة، بعيد عن ان يفكر في ان يستغل صداقتك الا للصداقة، فان غضب فللصداقة وان عتب فللصداقة وان قطعك فللصداقة ايضاً. فكانت الصداقة عنده معنى يتمثله في شخصك راجياً ان يصدق حدسه فيك، فتكون الجدير بتمثيل هذا المعنى السامي الذي يميز في خياله حتى كاد يتجسم،



وأكدته في قلبه حتى كاد يضيق به ، فان تنفس عن شيء فمن كل ما يزيدك ثقة بأنه صديق كنت أستشعر ربح الايمان الطاهر منبعثاً عن نفسه الطاهرة . ما كان يعنيني من أمر ايمانه من شيء الا انه ايمان . ايمان ثابت حتى في الاشياء التي كانت تخالف مذهبه في الادب أو مذهبه في الدين ، طالما اعتقد انك ان خالفته في شيء فأنما تخالفه فيه عن ايمان يشبه ايمانه فيما يعتقد به . ولعمري ان هذا لاسمى صور الايمان وأرقى مراتب الحرية الصحيحة

أهدي الي رحمة الله يوماً كتابه « اعجاز القرآن » وكنت أصدر «العصور» ، فعقدت فصلاً في معنى الاعجاز تعليقاً على رأيه فيه ذهبت فيه مذهباً لا يتفق في شيء مع رأيه ، بل ولا يلتقي به في ناحية من النواحي ، بل اني لاذكر اني تشددت بعض الشيء ، وهاجته في مواطن . وكنت اذ ذاك حديث العلاقة بالرافعي ، وقد تبادر الي ان ما انشر انما يفقدني علاقتي برجل اعتقد انه عظيم . ولكن الصديق الراحل رحمه الله ، تلقى ما كتبت رحب الصدر راضي النفس ، وتلقاني بذلك البشر الطافح من أساريره الواضحة المعاني قائلاً : ان البئر التي انزحت منها أفكارك في الاعجاز لن اشرب منها . ولكن حسبك انك انزحت منها مؤمناً بصلاحيه ماها . ومرة الايام فلا لقاء الا استعجلي ترجمة كتاب عن علم من اعلام اوربا ، مختاراً في الاكثر الكتب التي تدعو الى حرية الفكر والى نشر المبادئ العلمية الحديثة كأنه كان يعتقد ان الايمان الصحيح لا ينبغي ان يقف عثرة في سبيل الفكر ايضاً كان متجهه ومرماه

كان للرافعي لون من الادب ، لا اختار ان احلل الصورة التي انطبعت منه في نفسي قبل ان أمهد لذلك بشهادة علم من اعلام زماننا هذا . فقد كتب استاذنا الكبير احمد لطفي السيد باشا فصلاً في الجريدة ، عندما اصدر الرافعي كتابه « تاريخ آداب العرب » سنة ١٩١٢ جاء فيه : « قرأنا هذا الجزء . فأما نحوه فعليه طابع الباكورة في بابيه . يدل على ان المؤلف قد ملك موضوعه ملكاً تاماً ، واخذ بعد ذلك يتصرف فيه تصرفاً حسناً . وليس من السهل ان تجتمع له الاغراض التي بسطها في هذا الجزء الاول ، الا بعد درس طويل وتعب ممل ، لم يتأخر هو عن وصفه في مقدمة كتابه . واما اسلوب الرافعي في كتابته فانه سليم من الشوائب الاعجمية التي تقع لنا في كتاباتنا نحن العرب المتأخرين . فكنا وانا أقرؤه أقرأ من قلم المبرد في استعماله المساواة والبأس المعاني الفاظاً سابعة مفصلة عليها لا طويلة تتعثر فيها ، ولا قصيرة عن مداها تودي ببعض اجزائها . وان هذا الجزء بل هذه المقدمة ، تدل على ان المؤلف سيخرج لنا من تاريخ آداب العرب ما يجمع شملها بعد التشتت في كتب متعددة ، ويكون بذلك قد أدى للامة أعظم خدمة يؤديها اشد الادباء غيرة على الادب » . . . . . اذن فقد لمح استاذنا الكبير في الرافعي ما لمح فيه كل عارفيه . لمح فيه سلامة الاسلوب من الشوائب الاعجمية ، ولمح فيه



إيمانه بأداب العرب، تلك التي اصد نفسه لخدمتها، خدمة لن يؤديها إلا أشد الادباء غير على الأدب كان ذلك في عصر لم تغزنا فيه بعد الاساليب التي شابها شوائب الأعجمية (لأرحمها الله) ولم يضعف إيماننا بأداب العرب، ولم تبدل من ثقافتنا التقليدية ثقافة دخيلة مترجمة كالزئبق مريحة كالجدار الذي يريد أن ينقض، وكان الرافعي يحاول أن يقيمه.

كان ذلك في عصر اعتقد فيه الادباء ان العربية وآدابها اصل تقليدي، ما ينبغي إلا أن يكون اساس الادب الحديث، وان الادب الغربي ليس إلا لقاحاً يغذي ذلك الاصل. لم تكن قد اعتقدنا بعد، عن خطأ واسراف، ان أدب الغرب ينبغي ان يتخذ اساساً وان اللغة العربية ليست إلا أداة التعبير عنه. ولم تكن قد اسمينا هذا الاسراف تجديداً، ولم تكن أضفينا على الذين يحافظون على الاسلوب العربي الصميم ويحاذرون ان يشوب هذا الاسلوب شيء من شوائب الأعجمية، لقب المقلدين (الكلاسيك) لا لنكرم فيهم هذه النزعة، وانما لنخذها سبباً للسخرية منهم والاستهزاء بهم، ولم تكن نابتة الأدباء اذ ذاك قد تردوا في «الاستغراب» حتى انبتت بهم الصلة او كادت، بأدب أوائلهم وأساليبهم، ولم تكن قد فتناً بعد، وكفى بالفتنة صدعاً نحشى ان نعجز عن رأيه. كان ذلك في زمان قاد الادب فيه عقول رشيدة متزنة، وكان الادب بمعزل عن السياسة وعن حب التظاهر الكاذب وعن حب المادة حباً أفقد الادب في عصرنا صفة الاستقلال عن الارضيات السفلى. كان ذلك في عصر مجّد الرافعي لان الرافعي حاول ان يحيي موات الاساليب المتفتنة وان يجمع ما تشتت من آداب العرب. كان ذلك في عصر لم ير ادباؤه في احياء لفظة عربية غريبة إلا انتصاراً للادب وللعربية. كان ذلك في عصر قال فيه استاذنا احمد لطفي السيد باشا مامنه: لأنّ مجد الانجليز شكسبير لانه احيى من موات اللغة الانجليزية آلاًفاً من الالفاظ المهجورة فالأجدر بنا ونحن في مستهل حياة جديدة الا نكون أقل منهم تمجيداً لمن يحيي من موات لغتنا ما أمات الاغفال. هنالك في ذلك العهد عرف أدب الرافعي ومجّد. فلما أظلمنا عصر الانتحال، انتحال الاساليب الغريبة وانتحال الآداب الغريبة، وطغت الفتنة، كافح أدب الرافعي مدّ الفتنة الجديدة كفاحاً سوف نجد أثره في تاريخ عصرنا هذا. لهذا كان الرافعي صاحب مذهب في الادب هو من حيث الاسلوب والبيان المذهب الذي ينبغي ان يسترشد به نابتة الادباء في هذا العصر، ليكون أدابهم السليمة في التعبير عن ادبهم الجديد. ولا شك عندي في ان الادب الجديد ان اتخذ من الاساليب السليمة أداة للتعبير، لاستطاع ان يؤدي رسالة جديدة للعربية، ما يحول دون ادائها الآن إلا عجمة الاساليب وقد خلت من جمال السبك وقوة البيان فشوهت من جمال ما نقلنا عن الغرب، وصدت نفس الاديب عن تذوق ما فيها من جمال الفكر أجدد للرافعي وقد ارتحل، بهذه الكلمات عهد الوفاء، جزاء ما غمرنا به في حياته من صداقة خالصة وإيمان ثابت وحب ما تزول ذكره



# كلمات للرافعي

— ١ —

« ولا يذهبن عنك الفرق بين رجل حافظ والكتاب احفظ منه وهو من الكتاب خرج والى الكتاب يرجع ، وبين رجل يكون ترجماناً من ترجمة العقل الانساني المعني بتأويل الـكون وتفسيره والطائر بالالفاظ الانسانية على اجنحة العلوم والفنون والمحترعات والمعاني ، فان ذلك ينقل عن الواضع ثم لا يتعدى هذه المنزلة ولا يتجاوز متون الالفاظ وأما هذا فلا يزال يضطرب مع الالفاظ ومعانيها يجاذبها ويدافعها ثم لا يزال يضع يده في النسيج اللغوي يسدي ويلحم فهو مدفوع الى المسالك الدقيقة من مذاهب الوضع وطرقه وأساليب الاخذ والانزاع ، وهو مقيد أبداً بخاص المعنى وخاص اللفظ على التعيين والتحديد لا يجد فسحة من ضيقين ، فان لم يكن مثل هذا في منزلة الواضع فهو في المنزلة بعده ولا ريب »

[ من مقالة «صروف اللغوي» في مقتطف يناير ١٩٢٨ ]

— ٢ —

«فتحنا القبر واتزلنا الميت العزيز الذي شفي من مرض الحياة، ووقف هناك بل وقف التراب المتكلم يعقل عن التراب الصامت ويعرف منه ان العمر على ما يمتد محدود بلحظة ، وإن القوة على ما تبلغ محدودة بضمود ، وان الغايات على ما تتسع محدودة بانقطاع ، وحتى القنارات الخمس محدودة بقبر . . . . . يا عجبا ! القبور مأهولة بملء الدنيا وليس فيها أحد . أية ذرة من التراب هي التي كانت نعمة ورغداً وأيتها كانت بؤساً وشقاءً وأيتها التي كانت حباً ورحمةً وأيتها كانت بغضاً وموعدة ؟

« سألت القبر اين المال والمتاع واين الجمال والسحر واين الصحة والقوة واين المرض والضعف واين القدرة والجبروت واين الخنوع والذلة ؟ قال كل هذه صور فكرية لا تحيي الى هنا لأنها لا تؤخذ من هنا . فلو انهم اخذوا هدوء القبر لدنياهم وسلامه لنزاعهم وسكونه لتعلمهم لسخروا الموت فيما سخروه من نواميس الـكون

« ان هؤلاء الاحياء يحملون في ذواتهم معانيهم الميتة وكان يجب أن تدفن وتطهر



انفسهم منها فعنى ما في الانسانية من شر هو معنى ما في الناس من تعفن الطباع والاخلاق  
 « يكذب بعضهم على اخيه فيعطيه حيفة حقيقة ميتة، ويكيد بعضهم لبعض فيتطاعمون  
 من حيف الحوادث المسمومة، ويمكر الخائن فاذا حيفة عمل صالح قد مات، فكل  
 مضغة تتلعمها من حق اخيك الحي كمضغة تغتذها من لحمه وهو ميت لا تعطيك الا  
 حيفة، ثم انت من بعد لست بها انساناً ولكنك وحش.... بل وحش دنيء ليست  
 له فضيلة الوحشية التي من قوة تأبى أن تمس لحوم الموتى »  
 [من مقالة: « في وحي الروح » مقتطف ديسمبر سنة ١٩٢٩]

— ٣ —

« سلاماً يا فاتح الجو المصري . لقد اجالت الايام قداحها فخرجت القرعة عليك  
 وأوحى اليك الواجب آية : بسم الله مصعدها ومجراها  
 « وطرت فاذا انت عابر فوق الحاضر لتجئتنا من جانب المستقبل  
 « وهبطت علينا كأنك في بريد السماء كتاب مجد حي للوطنية الظافرة  
 « بل كتاب قصة رائعة الفها العواصف من فتن ثورة الجو وثورة نفسك المصرية.  
 وحكمتها من صوتين زفيف الطيارة وصرخة ضميرك الوطني. وجعلتها فصلين : انت والمجهول  
 « ألا حسبك مجداً ان يحيا الشعب كله بضعة ايام في قصتك . . . . .  
 « لقد انقلت من رذيلة الخوف وتركتها في التراب موطىء القدم . وقلت لها  
 ويحك لقد آن للشباب المصري فهو مغامس في ماء الصواعق ( كناية عن السحاب )  
 متطوح في الالة الاذلية التي تغوص فيها الكواكب . يطير بروح الشرارة ، ويهبط  
 بروح الغيث ، ويلجم الجو ويسرجه ، ويتعلم كيف يشوي عدوه في عين الشمس  
 « وكنت بطلاً مغامراً أنخطوت في طريق الملائكة بهذه الفضيلة ، وحملك الجو  
 ولو انك خفت وكنت على جناحي جبريل لا على طيارة ، لخاف جبريل على جناحيه  
 من حطمة هذا المعنى الترابي . . . . .  
 « ولملك رسول الغيم العابس لهذا الجو المصري الذي يضحك دائماً ضحكة  
 الفيلسوف الساخر في حين اصبحت الحياة قوة لا فلسفة  
 « ولملك تفسير مصحح لعقيدتنا المغلوطة في القضاء والقدر، ان القضاء ان تقدم  
 بلا خوف ، وان القدر ان تثق بلا مبالاة  
 [ من مقالة « فاتح الجو المصري » في مقتطف مارس ١٩٣٠ ]



# المرأة في مصر

على ممر العصور

من محاضرة للسيرة ايمى هير  
نقلها عادل الفضبان



يخيل اليّ ان تاريخ المرأة المصرية هو من أجمل التواريخ التي وصلت إلينا تفيض بشتى أسباب الشجاعة والثقة . ففي مصر لم تكن المرأة موضع استعباد منظم على نقيض ما كانت عليه في بعض بلاد هذا الشرق الجميل الذي كثيراً ما اتهم انه يسيم المرأة العبودية ولئن اضهدت المرأة احياناً في مصر إنّ ذلك كان عرضاً بعث عليه بواعث اجنبية

ليس تاريخ الامم الا مجموعة اخلاق كل أمة وعاداتها فالمصري ذكي بطبعه شريف في معاملته نشيط في عمله لا يحفل بما بين الرجل والمرأة من فوارق جسمية ولا يتخذها ذريعة لاحتقار شريكة حياته وانه لعلّى حق . ونحن ان شئنا معرفة هذه الفوارق فهناك ما تنص عليه الموسوعة العلمية قالت : الرجل عادة اطول قامه من المرأة وهيكله العظمي أثقل وزناً وقلبه أكبر حجماً ورثاه أقدر عملاً ودماغه أغنى تلافيف ودمه يختلف عن دمها في مقداره وتركيبه وعلى الجملة فالرجل أقوى من المرأة . ونحن على اتفاق في هذا مع القواعد العلمية ولا اخالكنّ يا حضرات الآ نسات الات موافقات على ان ما تصبو اليه المرأة والنادر لا يقاس عليه ليس التشبه بالرجل في ساحات الزال او حلقات الملاكمة او ميادين الفروسية وعلى ان الفوارق بينها وبين الرجل قد توجد بين الرجل والرجل دون ان يكون لها دلالة معلومة فكم رأينا من رجال ضعاف البنية مشوّهي الخلق هم في طليعة النوايع العظام

لما سنّ الله شريعة هذا الكون لم يجعل هذه الفوارق بين الرجل والمرأة أداة فوضى بل أداة توازن طبيعي واجتماعي ولما كان الرجل والمرأة قد خلقا ليتم الواحد الآخر فقد وجب ان يتوافرا على كل تعاون بينهما

اذا عرض الباحث لجميع حلقات التاريخ المصري وجد المرأة دائماً ابداً الى جانب زوجها تشاركه في حياته الى اوسع حدود هذه المشاركة ولقد كان للمرأة المصرية في الزمن القديم



شأن كبير كعامل اجتماعي حتى ان اولادها كانوا ينتسبون اليها وحتى كان لها في الاسر المالكة سلطة التحريم والتحليل وهل من شهادة اعظم اثرأ وأقوى دلالة على مجد المرأة من تلك الصور البديعة التي نقشت على نواويس الفراعنة والتي تدل بجلاء ووضوح على الشرف الذي كانت تحف به . ففي معظم هذه النقوش مثلت المرأة جالسة الى جانب زوجها وقد زادتها جمالا بحلي الزينة وأنواع الحلي وجلال الاكاليل وبريق الجواهر وضميمات الورد وهي تتقبل من اولادها ورعاياها شعائر الولاء وتشارك في تقديم الذبايح والقرايين للالهة وتقوم بالطقوس الدينية التي ترفع للالهات حتى اذا كانت الأسرة الرابعة قامت المرأة بالشعائر الدينية التي ترفع للالهة . من منايتها الانسات لم تسحرها صورة الملكة نفرتيتي فان سحرها في قسماها وزينتها لا كفاء له وليست زوجة أمنيوفيس الرابع هي الوحيدة في ذلك السحر والتأثير فحوالي سنة ٢٤٧٠ قبل المسيح كانت تيزوريس هي المالكة على مصر ثم ملكت في سنة ٢٠٠٠ قبل المسيح سكيبيوفريس مخلقة أخاها امنمحت الرابع ومنذ سنة ١٤٩٣ الى سنة ١٤٨٠ قبل المسيح كانت الحاكمة على مصر هتشبسوت يشاركها في الحكم تحوتميس الثالث زوجها وأخوها وما يؤثر عن هذه الفرعونة الجميلة الزكية انها كانت تميل الى تشجيع المتفنيين والعلماء فضلا عما اخذت به نفسها من تحسين معاش رعاياها ويقال ان ملوكة بنت زبك هي التي ملكت مصر بعد تلك الحادثة المشهورة من غرق المصريين في البحر الاحمر وأعتقد انك تذكر جميعاً فصول التوراة التي تخبرنا بان فرعون مصر ووزراءه وجيشه هلكوا في البحر وهم يطاردون العبرانيين . وقيل ان النساء اجتمعن وملكن عليهن من بلغت سنهما ١٦٠ سنة فكانت ملوكة . واول عمل أتت به هذه العجوز انها أمرت بتشيد سور يمتد من شمال البلاد الى جنوبها اي من العريش الى اصوان تماشيه الأقينة وتقوم به مصانع للذخيرة وقد علتها أجراس الخطر تدق عند اول إشارة وماتت ملوكة بنت زبك بعد عشرين سنة من ملكها وقد اخذ الحزن على موتها من رعاياها كل مأخذ فبكوها من البكاء

اما من تشرفها الاساطير باسم بدور المصرية فيغلب على ظني انها لم تكن الا ساحرة اكتسبت نفوذها من صداقة المجوس لها . واما زوجة فوطيفار التي شغفت ييوسف فيعرفها مؤرخو العرب باسم زليخة وهي بنت ملك من ملوك الرعاة زوجها كنفير جليس فرعون حتى كانت رमितوفريت زوجة الكاهن الاكبر بيلوزيريس وهو أعظم كهنة طود الخمسة شأنًا وكلهم راقدون في مدافن هرموبوليس وهو الذي وصف زوجته فقال : « حبيبته هي ملكة السحر عذبة اللفظ نافعة المشورة كل ما عرض على شفيتها يشبه اعمال « مات » هي المرأة الكاملة الوافرة النعم على بلدها المبسوطة اليد القائلة الخير المرددة ما يستحب الجانحة شفناها عن المنكر الكبيرة في حبها » . اما كليوبطرة فاذا لم يخني المقال فانها اول طبعة للمرأة المشهورة في التاريخ ، للمرأة التي تمثلها خير تمثيل



على لوحة الخيالة جريماً جاربو ومارلين ديتريش وهي التي لا تترك لمن أحبها مخرجاً سوى الموت على أنه يجب أن لا نبخس الناس أشياءهم فلكم مصر اليونانية الرومانية كان يشغل قلبها حب وطنها وهو الحب الذي لم يعله أي حب آخر وليس أحق من الأب دريون أو سليم بك حسن أو سامي جبرة أولئك العلماء الاعلام في الآثار المصرية ان تدعونهم الى محاضر تكن عن أولئك النساء العجيبات اللواتي زخر بهن تاريخ مصر القديم ووصل اليها محبباً عزيزاً ولقد هيأت الى ازدهار حرية المرأة وشخصيتها قرون عددة من الحضارة وأي حضارة فهي الا ان منبهة الخاطر ترغب في حياة روحية كاملة تنتظرها وتستحقها وهي التي عبر عنها يسوع الناصري وفضلها على مشاغل الدنيا يوم زار مرتا ومريم زيارة حفها البساطة ووسعت احتفال أعظم هيئة قدسية كانت فيها أخت مرتا المثل الحي على الحياة الروحية وتبعها في ذلك خليفات نفريتي وهثشبسوت وكليوبطرة فأجبن دعاء المسيح وملا ان فقر الحياة قداسة. وحسبنا أن نشير الى بعضهن من مثل القديسة كاترين الجميلة العالمة التي استشهدت حباً للدين الجديد والقديسة سانكليتيك الشهيدة والقديسة تليد رئيسة دير ينضم على ٦٠ راهبة في انطنويه والقديسة بازيليس زوجة القديس جوليان والقديسة دوروي العذراء بالاسكندرية والقديسة كومتا الشهيدة والقديسة أبولوني والقديسة أفروزين والقديسة أنسطاسي والقديسة افراسي والقديسة مريم المصرية والقديسة تومائيد الشهيدة والقديسة تيودورا والقديسة تيودوزي والقديسة مور زوجة القديس تيموتاؤس والقديسة دميانة التي دفنت مع الاربعين عذراء اللواتي حكم عليهن معها وضربت أعناقهن في ضواحي بلقاس وحيثما وجد الهدوء والسكينة شيدت الأديرة للرجال والنساء على السواء فازدهرت المسيحية في أرض الفراعنة وكان ازدهار الكنيسة فيها من أسباب مجدها حتى جاء الاسلام واعتنقه العرب ونقلوه الى مصر مشفوعاً بعاداتهم وتقاليدهم ومنها هذا الحجاب الذي أصبح للمرأة رمزاً على حياة منفردة منبئة عن حياة الرجل فأخذ المصريون عنهم لأول وهلة كل ما جاؤوا به شأنهم في ذلك شأن جميع البلاد التي فتحتها المسلمون الا أنهم كلما ازدادوا تعلقاً بروح الدين نبذوا التقاليد الاجنبية ورجعوا الى تقاليدهم التي ورثوها عن الاجداد

وهنا أيضاً تمتاز المرأة المصرية فهذه السيدة نفيسة التي حججت الى مكة ثلاثين مرة ونيف وعاشت في تقشف وزهد كان مدعاة عجب معاصريها الا أني عرفوا قداسها فجاؤوا اليها من كل حذب وصوب ياتسون بركتها حتى ان الامام الشافعي نفسه زارها وطلب اليها وهو منصرف أن تصلي من أجله ولما أدركته الوفاة دعيت السيدة نفيسة الى الصلاة على جثمانه والسيدة نفيسة دفنت في منزلها في درب السباع سنة ٢٠٨ هجرية أما ابنة أختها سكينه فقد طبعت على غرارها فضيلةً وهدى حتى ان جماعة المؤمنين لما توفاه الله صمموا على أن يدفنها بالقرب من خالتها وقد فعلوا



وهذه سَكينة المشغفة بالأدب الممتلئة دارها بالادباء والمفنيين في عصرها وهم الى سحرهم دلاها وعفتها ونفخت فيهم روح الوحي والالهام فتسابقوا في مضمار البلاغة وكانت هي تسمع اليهم من وراء ستار كذلك كانت عائشة النبوية بنت جعفر الصادق التي توفيت سنة ١٤٥ هجرية من قدسات الاسلام يحج الى قبرها في الجامع الذي شيد على اسمها في سفح القلعة كثير من الناس وكانت ست الملك بنت العزيز بالله مشهورة بالذكاء والحكمة حتى ان الشعب المصري لما ثار في وجه اخيها الحاكم بأمر الله توجه اليها لانتخاب ملك آخر فأشارت بالملك الشاب علي ابن الحاكم وكان عمره اذ ذاك اربعة عشر عاماً فدلكته وحكمت باسمه مدة اربع سنوات استطاعت في خلالها ان تجري العدل في مجراه وان تكتسب بذلك حب مواطنيها وماتت سنة ٧١٥ هجرية من هؤلاء النساء نعد كذلك حدقة الجارية في قصر الملك الناصر ابن قلاوون وكانت على جانب كبير من الذكاء وحب الخير فقد بنت عدداً كبيراً من التكايا والسبل والمدارس فضلاً عن جامع فم الخليج الذي دفنت فيه سنة ٧٣٧ هجرية وبركة خاوند ام السلطان الاشرف وكانت تقية سخية يلجأ اليها كل بائس ويعتمد عليها كل عليل وقد بنت في سنة ٧٧٠ هجرية عند عودتها من الحج باب زويلة في سفح القلعة وهي المدرسة الكبيرة التي يزار فيها قبرها

اما شجرة الدر زوجة السلطان صلاح الدين فقد يلزمني محاضرة برأسها للحدث عنها وعن ملكها على مصر الاسلامية مدة ثمانين يوماً فقد كانت سيدة جميلة الملامح ذكية الفؤاد سياسية ناقبة النظر وطنية تقدر بحالي حسناتها في القلوب الشرر الذي تقدحه في السماء الشهب الناقبة على اتنا اذا وجهنا النظر الى القريب من العصور رأينا زينب هانم افندي أصغر بنات محمد علي تبني اكثر من ١٤ جامعاً وتثني للفقراء ولراقصي الذكر الأوقاف والتكايا وها هي عائشة التيمورية ابنة اسمعيل باشا تيمور الكاتبة الشاعرة التي عني والدها بان يهيء لها ثقافة عالية وتربية رفيعة فنشأت شاعرة مجيدة لها آثار حسنة في العربية والفارسية والتركية وبينما كان العالم الادبي يترقب منها المزيد اذا بالقدر القاسي يحتسبها في ابنتها توحيدة ولما تبلغ الثامنة عشرة من عمرها فحزنت عليها امها حزناً شديداً مدة سبع سنوات تجردت في خلالها من كل شيء الا من بكاؤها ونواحها حتى قرحت اجفانها ودميت عيناها ولولا لطف الله والطب لذهب بصرها واول من قرظ ديوان عائشة شاعرة اخرى هي وردة اليازجي الشاعرة الرقيقة سليمة الاسرة اليازجية التي تمهدت اللغة العربية وعملت على نشرها وازدهارها

لئن ذكرت لكن طائفة من الاسماء يستحق كل واحد منها درساً مستفيضاً اني لم أقصد الا ان افعل كن ان مصر في كل عصر وفي كل حالة لم تخل من نساء شرفن بلادهن ولولا كثرتهن لسردت لكن اسماءهن فانهن ينشئن سلسلة بطولات متصلة الحلقات منذ فجر التاريخ قد جددت



فيها الحماسة القديمة التي نراها اليوم قد انبعثت في الالعب الاولمبية الحديثة في اولئك العدائين الذين نقلوا اللهب الرمزي من آيئة الى برلين كما تناقلت المرأة في مختلف العصور رسالتها العالمية التي تلقاها نحن اليوم متبعت مبادئها القديمة ومعلبات شأن أنوثتها الكاملة

المعروف ان الروح تغلب دائماً على المادة فالقوة الوحشية ان تغلبت على القوى الادبية والفكرية فلوقت قصير والمرأة في هذا الميدان كفء للرجل فهل عليها ان تحذو حذو الرجل في توسيع مداركها والاهتمام بالثقافة والعمل ؟ قد يخشى في اوربا وامريكا ان يبعث نشاط المرأة الى تنافس الجنسين. اما علماء الاجتماع في مصر فلا يخافهم يعبأون بهذا الامر فان مناخ مصر مدعاة الى الكسل والى تجنب كل مجازفة او جهد وهذا ما على المرأة المصرية ان تحاربه وتتغلب عليه النفس مخلوق حي يحتاج كالجسم الى التغذية والتمرين والنمو وليس الواجب مقتصرأ على لزوم حالة راهنة بل على الترفع والتقدم. فعلى المرأة ان ترهف احساسها وتقوي ارادتها وتربي ذكاءها وتعود المتابعة دون اخلال بأنوثتها. ان هذا العصر كثير المطالب فيجب ان تتفق مطامح المرأة وهذه المطالب وكل من لا تستسلم الا الى الدلال والكسل فبشرها بفشل ذريع فالمرأة المصرية يجب ان تأقف من ان تكون حيواناً او اداة عبث وهي التي تدعي بمساواتها بالرجل بل عليها ان تكون شريكة الرجل تشاركه في السراء والضراء وتطمح الى نفس الواجبات والحقوق المحولة له وهذا ما يشيد صرح سعادتها وليست سعادتها الا ان تعيش صحيحة الفكر والجسم ساعية قدماً في ميدان الحياة العقلية مدخرة ما استطاعت اليه من ثروة فكرية وأدبية

ليس بخاف عليكن يا حضرات الآ نسات أثر السيادة التركية في مصر الحديثة وما كان للعلائق الودية بين كبار البلدين من توطيد ذلك الا أثر حتى كانت العادة عند امرائنا واميراتنا ان يقضوا فصلاً طويلاً من السنة في بلاط الخليفة السلطان وهذا ما يفسر لنا لماذا قضت الاميرة ناظلي فاضل عهد شبابها الاول في القسطنطينية فتألق جماها وسطع ذكاؤها حتى شغف بها الامير مراد ابن اخي السلطان عبد العزيز وودّ لو يتزوج منها لولا ان هذا الزواج كان مخالفاً لارادة الباب العالي فزوجها من خليل باشا شريف وارسله في بعثة خاصة الى اوربا فلقت الاميرة اليها الانظار واختلف الى مجلسها كبار القوم المعجبين بها وكان من رواد بهوها بسمارك ووزرائيلي وناپليون . ولما عادت الى مصر لتسكن بها سبقتها اليها شهرتها فأحاطها الحديو عباس حلمي ووزراؤه وممثلو الدول الاجنبية في مصر وكل عظيم في عالم الفكر والفن والسياسة بشقى مظاهر الاعجاب والاحترام . اما هي فكانت تقبض بمجموعة خاصة من اصدقائها الحميمين الذين وهبهم ثقتهم وقدروا فيها المرأة الوطنية وكان من بين هؤلاء المصلح الكبير الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية وقمضي باشا زغلول الرجل القانوني والشيخ عبد الكريم سلمان وعلي



نخري بك المستشار بالاستئناف المختلط وفارس نمر باشا الذي أدى اليّ بأخبار الاميرة ناظلي وحسن حازم باشا كبير التشريفات في البلاط ولاسيما قاسم أمين وسعد زغلول ففي هذه الدائرة من الاصدقاء الذين احاطوا تلك السيدة العظيمة بشتي معارفهم نمت الفكرة النسوية وما عتمت ان آتت ثمارها فنشر قاسم امين كتابين « تحرير المرأة » و « المرأة الجديدة » وهما الكتابان اللذان عالج فيهما ترقى المرأة المصرية فلم يستقبلا بحماسة والغريب ان النساء انفسهن لم يكنن اقلّ عداء للمؤلف من غيرهن ولكن امثال هؤلاء يجب ألا يحفل بهن على ان هذين الكتابين ما لبثا ان عني بهما نخبة رجال مصر حتى ممن كان بادأها العداء من مثل طلعت حرب باشا

اما الاميرة ناظلي فقد استطاعت ان تذوق قبل وفاتها ثمر ما ساعدت على غرسه من انصاف المرأة في تلك الطبقة العالية التي بسطت فيها ظلال تلك الشجرة في تلك الطبقة التي كثيراً ما عنتت الاميرة واطلقت عليها لقب الاميرة الغريبة الاطوار ومع ذلك فقد كانت حريتها مثلاً يؤثر فطرحت بنات مصطفى باشا فهمي الحجاب وحاولت ان تتأثر بهن زوجة سرهنك باشا وزوجة الدكتور محمود صديقي باشا ولكن الذي بعث على اعتناق هذه الحرية الحديثة هو سعد زغلول باشا لما دعا زوجته الى مشاطرته حياته السياسية فحصل ما كان في الحسبان وحف سعداً جماعة الاعوان والانصار فنفخوا في بوقه وافتتحت ابهاء الاسر ولاسيما بهو حرم محمود بك رياض وبهو حرم سلطان باشا وفيه شوهدت تلك الفتاة الجميلة ذات العينين السوداوين هدى سلطان التي كتبت لها ان تضطلع بالارث الذي تركته لها الاميرة ناظلي

ولعل السيدة هدى هانم شعراوي تنشر يوماً مذكراتها عن ذلك العهد عهد الشباب الذي هيأها لهذه المهمة العظيمة التي تضطلع بها اليوم والمعروف انها زفت في الثالثة عشرة من عمرها الى ذلك الرجل العظيم والوطني الهام محمد شعراوي باشا. وبما لاشك فيه ان الحياة مع رجل ذكي حكيم قد صقلت نفسها فما لبثت ان ظهرت مواهبها دون الجنوح الى الزهو والخيلاء والانانية وهي السرية الثرية بل تطلعت دائماً الى المثال الاعلى الى المتع الفكرية فدرست وثقفت وشغفت بالادب والفن ولسنا ندري اتعذبت هدى هانم من محيطها النسوي ام ان حنانها وعطفها على قضية المرأة لا يقدح شرره الا عند رؤيتها كآبة غيرها من النساء . فبعد موت زوجها تخصصت بتحرير المرأة فالتفت لذلك لجنة اصلية هي الاتحاد النسائي وتفرع منه في السنوات الاخيرة لجنة فرعية باسم فتيات الاتحاد النسائي ثم شيدت مدرسة وافتتحت مشغلاً ومستوصفاً ومصنعاً للخزف واهتمت ان تزيد يوماً فيوماً عدد جيشها السلمي الذي يسعى جنوده الى ذلك المثال الاعلى ولسنا الآن اهللاً لان نحكم على ما قامت به حرم شعراوي باشا في تاريخ المرأة المصرية فما يزال العهد حديثاً والدوائر التي احاطت بأعمالها خفية عنا على ان المعروف المشهور هو فضل هذه السيدة الجليلة الذي يحل عن التعداد والحصص



ها هي المرأة في المعترك تعتق كل ما تحبها عليه أنوثتها فالمدارس قد غصت بالطالبات المتعطشات الى العلم والعمل وسنسمع يوماً صدى نجاح بعضهن يدوي في أذن القضاء فحذار أن ننسى الاخرى اللواتي وان كان الدهر لم يسعفن بنباهة الصيت الا أنهن جديرات بالشكر لانهن الضحايا التي قدمت على مذبح سعادة اخواتهن . لقد اشتهرت المرأة المصرية بميلها الى الفنون وعدد من زاول صناعة الادب كبير جداً كالنجوم اللامعات في الافق وها نحن نذكر اشهرهن :

ملك ناصف كانت في طليعة العدد القليل من الفتيات اللاتي قبلن في مدارس الحكومة فلمعت بين زميلاتها وتوسمت فيها آمال جسام ولكن الموت اختطفها زهرة نضرة بعد ان تزوجها عبد الستار بك الباسل ونشرت كتابها الذي وضعته باسم باحثة البادية . وأما اشهر من كتب باللغة العربية فهي النابغة مي زيادة التي خطت وكتبت بخمس لغات او ست ولكنها اجادت باللغة العربية وأشغلت ذكائها النادر بالعلم والادب فأخرجت ثمانية كتب في موضوعات مختلفة واحد منها تناولت البحث فيه عن « ملك ناصف » فضلاً عما دمجته من مقالات في الجرائد السيارة وعما القته من محاضرات في الفلسفة والتاريخ والادب في اسلوب خاص بها هو الشعر المنشور . وما لاشك فيه ان مي زيادة تعد في طليعة شهيرات الشرق فلقد جعلها الله بذكاء متوقد استخدمته في مسائل مختلفة معاً وهي المتعطشة الى العلم والمعرفة الى ترقيق فكرها وعاطفتها وهي المعروفة كذلك بطيبة القلب وثقافتها النادرة . وهي وان كانت من اصل لبناني الا انها عاشت كل حياتها في مصر فهي تنسب الى مصر ولبنان على السواء . ولقد بهرت وهي في ريعان الصبا كل من حف حولها وما شرعت تكتب حتى اتها الشهرة منقاداً اليها فكثرت زوارها وغص مجلسها الادبي الذي كان الحديث يتناول فيه بعدة لغات ولا ننسى ان مركز مصر الجغرافي يجعل منها بلداً مختلط السكان فلا عجب اذا رأينا كثيراً من المصريين والمصريات يجدن في التعبير بغير العربية او الفرنسية لغة السياسة التي هي اداة الرقة والاناة .<sup>(١)</sup> ارجو اني توصلت الى اقناعكم ان المرأة المصرية بين نساء الشرق هي التي امتازت بالحكمة حتى في اشد ايامها حكمة وشقاء ليس المقصود بالحكمة هذه التي اظهرتها بسماع هذه المحاضرة لم يخنكن الصبر فيها بل المقصود بها مناحي الحكمة الباصرة التي تولدها مداركنا مجتمعة فيقودها او يكبح جماحها العقل القوي الذي يجنبنا كل تفريط وافراط والذي يحدونا على ان لا نحقر شرائط الطبيعة التي جعلت من المرأة شريكة للرجل تقيض بالدعة والايانس . وفي الختام نقدم لكل من بطلات التاريخ القديم والحديث فرائض اعجابنا واحترامنا فانهم جميعاً اشتركوا في تحقيق سعادة المرأة المصرية في هذا العصر . انا بعثنا اليهن اعجاباً صادراً من اعماق القلب ولئن تحول الى شكر واعتراف بالجميل فما احقهن به

(١) المقتطف : بعد ذكر باحثة البادية ومي تبسط مدام خير في ذكر طائفة كبيرة من المشتغلات بالاداب والفنون فاجتزأنا بما تقدم لضيق المقام



## شاعر المنى !!! ...

مَلَكَتَ دُنْيَا الْمُنَى وَالْحُسْنَ يَا شَاعِرُ !  
كُلُّ الْمَفَاتِنِ تَبْغِي الْهَائِمَ الشَّاعِرُ  
فَهُوَ الْوَحِيدَ لِرُوحِ الْحُسْنِ بِالسَّابِرِ (١)  
يُسْبِدِي الْمَفَاتِنَ لِحَنًا لِلنَّهْيِ آسِرُ  
يَصُورُ الْحُسْنَ حَسَنًا مَلْهُمَ مَاهِرُ  
صَدَّاحٌ لِلْحُسْنِ يُذَكِّي نَفْحَهُ الْعَاطِرُ  
وَأَنْتَ بِالْحُسْنِ تَحْيَا أَيُّهَا الشَّاعِرُ  
تَقْضِي اللَّيَالِيَ مِنْ فِرَاطِ الْجَوَى سَاهِرُ  
تُنَسِّقُ الْقُلُوبَ عِقْدًا دُرُّهُ بَاهِرُ  
وَتُسْمِعُ الرُّوضَ لَحْنَ الْبَلْبَلِ السَّاحِرُ !  
يَهْفُو لَكَ الزَّهْرُ يَشْكُو جِبَّةُ النَّارِ  
مُسْتَجِدًّا قَبْلَهُ مِنْ ثَغْرِكَ الْفَاتِرُ !  
وَأَنْتَ تَحْنُو بِرَفَقِ الْمُدْتَفِ الْآثِرُ  
مُقَبِّلًا مِنْهُ خَدًّا فِي اللَّظَى سَادِرُ  
فَأَنْتَ أَنْتَ الْمُنَى لِلْحُسْنِ يَا قَادِرُ  
وَالْحُسْنَ مِنْكَ مِنْكَ الْمُلْهِمِ الْخَاطِرُ  
مَلَكَتَ دُنْيَا الْمُنَى وَالْحُسْنَ يَا شَاعِرُ !

محمد فرهمي

القاهرة

(١) سبر غور الشيء أي عرف قراره والمراد هنا نفذ إلى سره



# الفيتامينات وأثرها

في الصحة والمرض والنمو

أمراض يمنعها الفيتامين ويشفيها

بعد مكتشفات ماكولم التي تقدم ذكرها ، فتح باب مشكلة الفيتامينات على مصراعيه . وكانت اساليب البحث التي ابتدئها هذا الباحث الاميركي وأتقنها تبشر بمكتشفات جديدة في هذا الموضوع الخطير

وقاية العيون والبصر

فيتامين A

وقد كان الموضوع خطيراً حقاً . ففي سنة ١٩٠٤ عني بحاثة ياباني بدراسة داء يصيب عيون الاطفال ببلاده ( اسم هذا المرض كسبروفتلميا Xerophthalmia ) فأنجحه رأيه الى ان الباعث على هذا المرض نقص في الغذاء . وليس هذا المرض بمجديد في علم الطب . بل كان معروفاً من قديم الزمان وكانت العمد في علاجه من ايام ابقراط اضافة قليل من كبد الدجاج ودهن الانكليس الى الغذاء . وفي سنة ١٩١٣ لاحظ الباحثان اوسبورن ومندل ان الحيوانات التي يجربان فيها تجاربهما تصاب في عيونها بحالة تشبه مرض « الكسبروفتلميا » فشفيها منها باضافة قليل من الزبدة الى غذائها . وجاراهما ما كولم في هذا البحث الا انه عكسه اولاً اي انه ازال من غذاء هذه الحيوانات المواد التي تحتوي على فيتامين A فاصيبت بالمرض فأضاف الى هذا الغذاء الناقص مواد يكثر فيها هذا الفيتامين فشفيت منه . وشاهد رجل يدعى ولز وكان من رجال الصليب الاحمر الاميركي الوفاً من اطفال رومانيا مصابين به فطلب مقادير كبيرة من « زيت السمك » وفيتامين A كثير في شفاهم مما ألم بهم . وفي اثناء الحرب كانت بلاد الدمارك تباع كل ما يستخرج فيها من الزبدة لالمانيا ، وكان شعبها قد استبدل بالزبدة في غذائه زيت جوز النارجيل فأصيب اطفاله بهذا المرض في عيونهم فلما اعيدت الزبدة الى غذائهم تغلبوا عليه



وليس مرض « الكسوروفتميا » بالمرض الوحيد الذي يصيب العيون لنقص في فيتامين A بل هناك العشو كذلك اي ضعف البصر في الليل. وهو حالة يصاب بها طوائف من الفلاحين الروس الذين لا يتناولون غذاءً كافياً ولا سيما في ايام الصوم الكبير عند ما يكتفون بغذاء نباتي بحت. وقد اثبت البحث ان تناول « زيت السمك » يشفيهم منه وعلاوة على ذلك ان نقص هذه المادة من الطعام يحدث اضطراباً في عدد اللعاب والدمع والهضم والتناسل، ويميل بعض الباحثين الى القول بان نقصه يضعف قدرة الجسم على مقاومة بعض الامراض المعدية ولا سيما الزكام والدرن

\*\*\*

كان ما كولم في السابعة والثلاثين من عمره عندما أخذ العلماء يحملون الرسائل التي نشرها في الفيتامين المحلل الجدير بها من الاجلال . فدعته جامعة جوتز هبكنز الشهيرة الى تقلد منصب استاذ الكيمياء الحيوية فيها فقبل باشارة من صديقه مندل . فلما دخلت الولايات المتحدة الاميركية غمار الحرب سنة ١٩١٧ دعي الى واشنطن ليشترك مع غيره من العلماء في وضع برنامج غذائي للجيش الاميركي المسافر الى فرنسا ولبقية الامة الاميركية

### مرض الكساح

#### فيتامين D

ما كاد يتقلد منصبه الجديد في جامعة جوتز هبكنز حتى لاحظ ان طائفة من الجرذان التي يجرب تجاربه فيها ، تصاب بما يجعل عظمها ضعيفاً وصدورها مقوسة . فعرضها على استاذ امراض الاطفال في الجامعة فأيد له ظنه بان هذه الاصابات هي كساح ( rickets ) فاشترك ما كولم مع قسم امراض الاطفال في الجامعة في دراسة الموضوع فكان هو ينوع الطعام الذي تغذى به الجرذان وغيره يقوم بالفحص المجهرى الدقيق . فتوصل بعد البحث الطويل الى تركيب غذاء يحدث في الجرذان التي تغذى به حالة كساح تامة الاعراض

وكان في الوقت نفسه رجل يدعى ملاني Mellanby يشتغل في قسم الصيدلة بجامعة شفيلد بانكلترا ، وكان قد اتجه نظره الى البحث في ما تصاب به بعض الحيوانات من لين العظام عندما تغذى بغذاء ينقصه فيتامين A فقال ان الكساح مرض آخر من امراض التغذية الناقصة وان سببه نقص فيتامين A . وزعم انه يستطيع ان يشفي المصابين بالكساح باعطائهم غذاء يحتوي على هذا الفيتامين

ولا يخفى ان الكساح داء خطير عرف قديماً ولا يزال حتى الآن متفشياً في كثيراً من البلدان



والاطفال المصابون به تتقوس سيقانهم ، ويعجز جسمهم عن ترسيب املاح الكالسيوم في عظامهم فتضعف عظام صدورهم ويصبحون معرضين لامراض الصدر تفك بهم غالباً وكثيراً ما يكون سوء تغذية الام وهي حامل ، ثم سوء تغذية الوليد ، من البواعث على عجز اي غذاء كامل عن شفاء المصاب

ولكن ملائي خطأ في معرفة سبب المرض لانه لم يكن ناشئاً عن نقص في فيتامين A فأجرى ما كولم تجارب اثبتت اثباتاً قاطعاً ان فيتامين A لا يفيد مطلقاً في منع الكساح مع ان زيت السمك ، من أفضل العقاقير في منعه . ولكن زيت السمك يحتوي على فيتامين A فهل يحتوي ايضاً على فيتامين آخر له الفعل الحاسم في منع الكساح ؟ ولكن ما السبيل الى ازالة فيتامين A من زيت السمك لاجراء التجربة به والبحث عن فيتامين آخر فيه ؟

كان هبكنز الانكليزي قد اكتشف انه من السهل « اكسدة » فيتامين A فيفقد فعله الحيوي فاخذ ما كولم قدرأ من زيت السمك وغلاه على درجة مائة بميزان سنتغراد وفتح فيه غاز الاكسجين بوساطة جهاز خاص مدة اربع عشرة ساعة ، فأخذ الاكسجين بفيتامين A اي « تأكسد » الفيتامين وفقد فعله واخذ زيت السمك بعد ذلك وامتحنه بجرذان مصابة بمرض العيون المعروف باسم « كسبروفتلميا » فلم يشفها فثبت ان فيتامين A قد ازيل منه ، لانه لو بقيت من هذا الفيتامين بقية يسيرة في الزيت لظهر أثرها في الجرذان المصابة

ولكنه لما اضاف هذا الزيت الى غذاء جرذان مصابة بالكساح شفيت مما ألم بها . فثبت ان في زيت السمك فيتاميناً غير فيتامين A مقاوماً للكساح ، فدعاه ما كولم في شهر اغسطس من سنة ١٩٢٢ « فيتامين D الذي يذوب في الدهن »

### الفيتامين والتناسل

#### فيتامين E

وفي ٨ ديسمبر من السنة نفسها اذيع اكتشاف فيتامين آخر . ولاكتشافه قصة طريفة . ففي سنة ١٩١٥ لاحظ ما كولم ان الجرذان التي يجرب بحاربه فيها لا تتناسل في مواعيدها السوية ففزا ذلك الى سبب مجهول . وحالت المسائل التي كان يشتغل بها حينئذ دون متابعة البحث ولم يفتن احد من العلماء الى مشاهدته هذه فطويت

ولكن باحثاً يدعى هربرت افانس Evans كان يبحث في دورة التناسل في الجرذان من حيث علاقتها بأتوار الغدد . الا انه لم يكن كيميائياً يعني بالكيمياء من ناحيتها الزراعية او الحيوية وإنما كان فسيولوجياً يهتم بالعوامل التي تؤثر في التناسل . وكان غذاء الجرذان من هذه العوامل . فغذى جرذانه بغذاء يكثر فيه فيتامين A وفيتامين B . فلاحظ هو ومساعدته ان



الجردان تزواج وتحمل في مواعيدها السوية ، ولكنها لا تلد بل تسقط حملها . وفي كل حادثة من الحوادث التي شاهدها ، كان الجنين يموت قبل ميعاد الولادة . وعجز الفيتامينان اللذان تقدم ذكرهما عن منع هذه الحالة الشاذة

فشرعا يبحثان عن مواد غذائية تحتوي على عنصر غذائي مجهول ، من شأنه ان يساعد الجردان على الحمل والولادة السويين . فوجدا ان ورق الخس فعال وكذلك جنين الحنطة بل وجدا انهما اذا استقطرا زيتاً من أجنة الحنطة وازافا منه مقادير يسيرة جداً الى غذاء هذه الجردان تمكنت الاناث من حمل الجنين مدة الحمل السوية ثم ولادته حياً . فلما استوثق افانس من ان نقص هذا العامل الغذائي المجهول يفضي الى عقم ذكور الجردان والى موت الاجنة في أرحام الاناث اعلن اكتشافه فيتاميناً جديداً ووسمه بالحرف X ولكن الباحث بارنت شور Sure ووسمه بالحرف E بعد ما حقق في السنة التالية النتائج التي وصل اليها افانس

وقد طبق اكتشاف افانس هذا على البقر اولاً ثم على النساء فأسفر التطبيق عن نجاح يفوق ما كان متوقفاً له . ذلك ان افانس لم يزعم شأن الباحث العلمي الحذر ، ان ما يصح على الجردان يصح على البشر . ولكن الدكتور فوخت مولر الطبيب بمستشفى اورانس بيلاد الدنمارك عالج طائفة من البقر كان مشهوراً عنها اسقاط أجنتها فاضاف الى غذائها مواد تحتوي على فيتامين E فنجحت تجربته نجاحاً طيباً . وفي ٢٥ يوليو سنة ١٩٣١ اذاع عن طريق مجلة «اللانست» الطبية نتائج هذا الاسلوب من العلاج في النساء المجهضات . ففي الحادثة الاولى كانت المرأة في الرابعة والعشرين من عمرها وكانت قد حملت اربع مرات وأسقطت الجنين في كل منها فتناولها الزيت المستخرج من أجنة الحنطة عن طريق الفم . فكان حملها التالي سوياً وولدت في الميعاد السوي طفلاً سليماً . وفي الحادثة الثانية كانت المرأة في التاسعة والعشرين من عمرها وكانت بعد وليدها الاول قد حملت اربع مرات واسقطت الجنين في كل منها . فأعطيت مقدار ملعقتي شاي كل اسبوع من زيت أجنة الحنطة فكانت النتيجة كنتيجة الحادثة الاولى

ومن الباحثين من يعتقد اعتقاد الدكتور فوخت مولر ان فيتامين E لاغنى عنه للبشر ولكن جماعة الاطباء بوجه عام لا تزال تنتظر الحكم الفاصل في الموضوع . حتى افانس نفسه اذاع بياناً في سنة ١٩٣٥ حذر فيه من عواقب استعمال هذا الفيتامين من دون تمييز لشفاء العقم في البشر لان العقم قد يكون ناشئاً عن اسباب اخرى

ثم وجد الاستاذ شرمن ان نقص فيتامين E يضعف الوظيفة التناسلية ، وأكد افانس ان هناك اربع مواد اخرى على الاقل لها فعل فيتامين E

ففيتامين E ليس فيتامين العقم ، ولكنه احدى المواد الكيميائية التي لاغنى عنها للتناسل السوي



## فهرس مرض الاسكربوط

## فيتامين C

لعل اول مرض ادرك الانسان انه مرض ناشئ عن نقص في الغذاء هو مرض الاسكربوط. وقد كان المصابون به يجهلون الى ابطراط وفي مفاصل سيقانهم أوجاع وآلام، وفي لثانهم تقشع وغنرين. فكان لا يعرف كيف يعالجهم. ويروي مؤرخو الطب ان الوفاً من الاوربيين الذين اشتركوا في الحروب الصليبية عانوا مرضاً بطيء الفعل كان يبدأ بتعب وشحوب اللون ونقص الوزن وضعف الشهية وتوتر الاعصاب. ثم كانت جدران الاوعية الشعرية تتلف فيحدث النزف ويصحب ذلك تضخم في الركب والمفاصل واعياء عام ينتهي بتشنج وهذيان فبالوفاة وكان مرض الاسكربوط يعرف ايضاً باسم « مصيبة الملاح » لان كثيرين من الملاحين، ولاسيما الذين كانوا يرحلون رحلات بحرية طويلة كانوا يموتون به.

ففي سنة ١٥٣٥ استعمل رجل يدعى كارتيديه خلاصة حبوب الصنوبر لوقاية ملاحيه من هذا المرض. ويقال ان الكابتن كوك اضاف بعض الخضراوات الى طعام ملاحيه المؤلف من اللحم المملح فلم يصب احد من ملاحيه بالاسكربوط. وفي سنة ١٧٥٠ اشار رجل يدعى كولباتش باستعمال عصير البرتقال والليمون الحامض في علاج هذا المرض، وفي اوائل القرن التاسع عشر اصدرت الاميرالية البريطانية امراً يجعل عصير «الليم» Lime جزءاً من ارزاق البحارة على جميع سفنها.

ولكن سبب الاسكربوط الصحيح ظل غامضاً حتى انقضت عشر سنوات على بحث ايكمان في علاقة مرض البريري بالرز المقشور. فشرع هولست وفرويلخ في تجربة التجارب في الارانب الهندية لمعرفة سبب الاسكربوط. ومن حسن طالعهما انهما اختارا الحيوان الصالح لهذه التجارب، لان هذا المرض لا يصيب الجرذان ولا السناير ولا الكلاب ولا الطيور فغذا الارانب الهندية بغذاء مؤلف من خبز وجبوب فأصيبت باعراض المرض. فأضافا الى غذائها ثماراً وخضراوات مختلفة، وبعد بحث دام خمس سنوات أثبتا ان العنصر الخفي الذي يشفي من الاسكربوط ويمنعه، كثير في الليمون الحامض والبرتقال واوراق الكرنب (الملفوف) والبرور المنتشة (النابتة). اما الحبوب والبرور الجافة فلا تحتوي عليه.

وقد اعتمد الاميرال برد الاميركي على هذا الاكتشاف في رحلته الى المنطقة المتجمدة الجنوبية، اذ اخذ معه حبوباً جافة، يمكن بلها حتى تنتش فتستعمل في حالة الاصابة بالاسكربوط ومن الغريب ان هولست صنع خلاصات يكثر فيها هذا العامل الغذائي المانع للاسكربوط والشافي منه ووصفه بأنه مادة كيميائية تذوب في الماء، قبل ان يكشف ما كوله فيتامين A



وفيتامين B ، ولكن العلماء لم يصدقوا حينئذٍ أن الاسكر بوط يرجع الى نقص في الغذاء . وكان الغالب عليهم حينئذٍ الأخذ بان سبب الاسكر بوط زيادة الحموضة في الطعام ، او نوع من السم كالسم الذي يعثر عليه أحياناً في الاطعمة المحفوظة ، او زيادة الملح في الاطعمة المملحة وهي الاطعمة التي يعتمد عليها الملاحون . وظل الخلاف على الموضوع الى سنة ١٩١٨ عند ما اثبتت بالتجربة الدقيقة ان الاسكر بوط سببه نقص فيتامين معين دعي فيتامين G

### البلاجرأ : مرضه الفاق:

#### فيتامين G

ثم أضيف فيتامين آخر ، وكان مرجع الفضل فيه الى طيب مقدام لا يخشى الموت حقيقة لا مجازاً ، يدعى الدكتور جولد برجر ، وكان من نصيبه ان يتناول بالبحث مرضاً يصيب الناس دون الحيوان على ما يعلم ، فلم يتخذ جولد برجر جرذاً ولا أرنباً ولا سنوراً يجري عليه التجارب ، بل جعل نفسه وامراته وبعض السجناء مردّ تجاربه

كان قد قضى اربع عشرة سنة في مصلحة الصحة العامة بالولايات المتحدة الاميركية ، أصيب في خلالها بحميات ثلاث التيفوس والصفراء والدنج . فلما أهلت سنة ١٩١٤ عهد اليه في مهمة جديدة — مهمة مكافحة البلاجرا

والبلاجرا مرض حاصد ، كان قد انقضى عليه نحو قرنين من الزمان منذ عرفه الاطباء . فلما عهد الى جولد برجر في مكافحته ، كان متفشيّاً اي تفشّي في المناطق الجنوبية من الولايات المتحدة الاميركية ، وكان الشعب يتوسل الى الحكومة بأساليب مختلفة بان تسعى الى قهره لشدة ما طأى منه . فقد كان الصغار والكبار في المناطق الجنوبية الفقيرة ، يعانون التهاباً في اللسان والفم ، وقروحاً في الجلد تبدو صغيرة خفيفة ثم تكبح وتكثف وتنشق ، وكان اكثرها على ظهر الكفين والقدمين والساعدين ، ويصحب ذلك سوء هضم واسهال ودوار واضطراب عصبي ، وكثيراً ما كانت تقضي هذه الاصابات بصاحبها الى القبر

وكان الاطباء حينئذٍ يميلون الى الاعتقاد ان البلاجرا سبباً ميكروبياً ، وأقوى سند استندوا اليه في رأيهم هذا ان البلاجرا بدت مرضاً معدياً يتفشى خاصة في السجون وملاجيء الايتام والمناطق الفقيرة في البلاد التي يكثر فيها زرع الذرة . وعينت لجنة من قبل الحكومة لبحث الموضوع فقالت في بيانها ان المرض معدٍ وان ناقلة العدوى حشرة ماصة للدم . وبما عزز الثقة برأي اللجنة ، ما اصابه الطب من النجاح في مكافحة الملاريا والحمى الصفراء على هذا الاساس . ولكن جولد برجر داخله الريب في رأي اللجنة . ولم يتأثر بنجاح الكفاح ضد الملاريا والحمى الصفراء ، وكان يميل في قرارة نفسه الى الظن ان البلاجرا مرض من امراض العوز والفاقه



ذهب جولد برجر في زيارة الى مستشفى الحكومة في ولاية كارولينا الجنوبية . فلاحظ ان احداً من الاطباء والمرضات والمعاونين في المستشفى لم يصب بذلك المرض ، مع ان اكثر مرضاهم أصيبوا به . وبعد ما جرب بعض التجارب بالاغذية التي يتناولونها ذهب الى ولاية جورجيا وفي مصحة الحكومة وجد كثيرين من المصابين به فحرب ان ينوع غذاءهم عليه يقع على ما ينير السبيل . ثم زار بضعة ملاجئ للاطفال في ولاية مسيسيبي فوجد فيها اطفالاً مصابين به تفاوت أعمارهم من ست سنوات الى اثنتي عشرة سنة ، ولاحظ انهم يتناولون قليلاً من اللبن في طعامهم . فبدأ له حينئذ ان طريقه أصبح واضحاً . فذهب الى حاكم ولاية مسيسيبي وطلب اليه أن يعاونه في الفوز بمتطوعين لتجربة التجارب فيهم . فاختير لذلك اثنا عشر رجلاً من سجناء سجن رانكين المحكوم عليهم بالسجن مدى الحياة وهو سجن لم يصب أحد من رجاله ولا من سجنائه بالبلاجا وقطع لهم عهد بأنه اذا نجحوا من الموت بعد اجراء التجربة عليهم أطلق سراحهم . فغذاهم جولد برجر بغذاء قوامه دقيق أبيض ورز مقشور ودقيق الذرة الخشن ودهن الخنزير وشراب قصب السكر . وكان لهم أن يأكلوا من هذا الغذاء أي قدر شاءوا ولكن ليس لهم أن يأكلوا شيئاً غيره . وبعد انقضاء عدة أسابيع بدأ احدهم يشكو من التهاب في لسانه وقروح مشقة في طرفي فيه ، وبعد انقضاء ستة أشهر أصيب أحدهم بطفح البلاجا ثم أصيب خمسة آخرون . ولكن احداً غيرهم في ذلك السجن لم يصب بأي عرض من أعراض البلاجا عند ذلك أضاف جولد برجر الى غذائهم اللبن واللحم والخضراوات والثمار فاستعادوا صحتهم كاملة وأطلق سراحهم

وظن جولد برجر حينئذ انه أقام الدليل التجريبي على ان البلاجا مرض من أمراض التغذية او سوءها ، ولكن غيره من الاطباء ظلوا مقتنعين بأن سبب المرض نوع من انواع الميكروبات فلم يبق امام جولد برجر في هذه الحالة الا خطوة واحدة . ومن بواعث مناقبه انه لم يحجم . وفي يوم ٢٥ ابريل سنة ١٩١٦ حقن في عروقه دماً من دم امرأة مصابة اصابة حادة بالبلاجا ، وفي اليوم التالي تناول عن طريق الفم براز مصاب آخر ، ثم كحت بعض الطفح عن جلد مصاب ثالث وجففه وسخنه وتناوله هو وزوجه ولبث اسابيع ينتظر ان يصاب بالبلاجا اذا كانت البلاجا حقيقة مرضاً ميكروبياً . ولكنه لم يصب لان هذا المرض لم يكن مرضاً ميكروبياً الا ان سرطان السكيتين قضى عليه سنة ١٩٢٩

ولكن جمعية الكيمياء والحيويين الاميركيين قررت ان تبدل اسم الفيتامين المانع للبلاجا وكان قد وسم بحرفي ( P. P. ) فتجعله فيتامين G وهو الحرف الاول من اسم جولد برجر باللغة الانكليزية



# جدول موجه

لأنواع القيامين وخواصها

المواد التي يكثر فيها	بعض خواصه	الامراض التي يقي منها	مكتشفه	رقم
زيت السمك ، الزبدة ، اللين ، صفار البيض ، الجبن ، الجزر ، الخس ، الطماطم ، الكبد ، الاسبانخ	يذوب في الدهن يفقد قوته عند التعرض للهواء لا تتلفه حرارة الطبخ المادي	كسرو فتلميا (مرض يصيب العين) . العشو . تأخر النمو . ضعف المقاومة للمدوى (?)	ما كولم ١٩١٢—١٩١٤	A
الخميرة ، الرز ، صفار البيض ، الحمص ، قنب جبة الحنطة ، ردة الحنطة ، الشوفان ، الذرة ، عصير البرتقال ، الطماطم	يذوب في الماء يمكن احمائه قليلا يتلف عند الدرجة ١٢٠ سنتغراد	البريبري ، اصابة انساج الاعصاب وأعمال الهضم الهزال والضعف وفقد الشهية	ما كولم ١٩١٥—١٩١٦	B
عصير البرتقال ، عصير الليمون ، السكرن ، السكرنس ، الخس ، اللحم ، الطماطم ، البصل ، الاسبانخ ، البزور المنقشة	يذوب في الماء يتأثر بالحرارة . يتأكسد بسرعة يذوب على الدرجة ١٨٩ سنتغراد	الاسكربوط تخلخل الاسنان وحفرها الهزال . انتفاخ المفاصل . ضعف المقاومة البدنية	هولست ١٩١٢	C
زيوت أكباد السمك ، صفار البيض ، سمك السلمون ، الاطعمة التي عرضت للشعة التي فوق البنفسجي ، البطارخ	يذوب في الدهن لا يتأثر بالحرارة ولا يتأكسد يذوب عند الدرجة ١١٤ سنتغراد	الكساح ، ضعف العضلات العام ضعف تمثيل الكلسيوم والعصوديوم . حفر الاسنان رومازم	ما كولم ١٩٢١	D
زيت أجنة الحنطة ، الخس ، الاسبانخ ، الجيوب ، زيت بزر القطن ، فول صويا ، الذرة الصفراء ، زيت الزيتون	يذوب في الدهن ثابت على الحرارة يتحمل التعرض للاكسجين يذوب على الدرجة ١٥٨ سنتغراد	المقم في ذكور الجرذان ، الاسقاط في اناث الجرذان	افانس ١٩٢٢	E
الخميرة ، البيض ، الكبد ، الكيتان ، الطحال ، اللين ، اللحم الاحمر ، الاسبانخ ، سمك السلمون ، الفت ، البطاطس	يذوب في الماء لا يتلف بالطبخ او الاحماء	بلاجريا الضعف العام اضطرابات الهضم	جولد برجر ١٩١٦	G





## عمر بن عبد الله

ابن أبي ربيعة

— ٣ —

لجبرائيل هبوز

أحد أساتذة الأدب العربي  
بجامعة بيروت الأمريكية

﴿ شعره ﴾ انقلاب كبير هز الجزيرة هزاً ، وفتح عظيم حمل إليها مدينتي الفرس والروم ، وتطور خطير في الخلق والنظم والعادات ، وانتقال من شظف العيش إلى سعته ومن فقره إلى غناه ، وأبواب اللهو تتفتح أمام مدن الحجاز وشباب أغنياء حيل بينهم وبين السياسة وحرّموا إدارة الأعمال في دولة بني أمية فكفّوا على لهوهم وفرغوا له ، وكان بينهم شعراء صوروا بأشعارهم هذه الحياة اللينة في تلك المدن اصطلاح الأدباء على أن يسموهم بالشعراء الإباحيين . وشباب في البادية ، حالتهم غير حالة أهل المدن ، حرّموا السياسة وحرّموا المال ، ولم يكونوا من القوة أو الجاه والمكانة بحيث يحدثون الفتن أو يحسب لهم حساب فأنقطعوا إلى شيء من اليأس والانكسار وكان بينهم شعراء اصطلاح الأدباء على تسميتهم بالعذريين . وكانوا كأنما ضرب عليهم أن ينشدوا ألحان الحزن ويرجّعوا صدى اليأس والعفة في الحب وكان شعرهم بحق من أرق ما ترك العرب من الشعر الغزلي

وشعراء آخرون لم يتقيدوا في قطر واحد أو فن واحد ، لم يعرفوا العبث ، ولم يعرفوا العفة ولم يعرفوا الحب نفسه ، ولكنهم لم يخرجوا عن أنهم شعراء يحسنون التصوير فصوروا وأسميتهم بالشعراء الفنين أو الصناعيين أو التقليديين تمييزاً لهم عن الإباحيين والعذريين . ولم يجعل هؤلاء الغزل غرضاً يقصد إليه بل استعانوا به كوسيلة إلى غيره من الأغراض

وأريد أن تلاحظوا شيئاً وهو أن الغزل الإباحي والعذري لم يعرفا بوجه عام عند غير شعراء الحجاز . أما الغزل الفني فقد عرفته شعراء الاقطار الأخرى وأجاد بعضهم فيه وكلّمك يعلم

آيات جرير التي فيها



ان العيون التي في طرفها حور      قتلنا ثم لم يحين قتلانا  
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به      وهنّ اضعف خلق الله انسانا

واريد ان اعيد ملاحظاتي هذه في انه ليس من اللازم ان يكون كل شاعر أوتي الغنى وحرم السياسة وعاش في المدن اباحياً، ولا كل شاعر حرم المال والسياسة وبدا كان عذرياً، ولا كل شاعر غير حجازي كان تقليدياً. فقد كانت هناك احوال خاصة دفعت بعض الشعراء الى ان يشذوا عن هذه القاعدة . واذا سألتني سائل ومن اي فريق كان عمر أجبت على الفور من كل من هؤلاء . ولكنه كان اباحياً قبل كل شيء وعذرياً بعده وفيئاً في الموضع الثالث . فقد احب وصدق وقتك حيناً واحب وصدق وعف حيناً آخر ولم يصدق ولم يحب ، بل لعله لم يعرف هذا المحبوب الذي وضع فيه شعره الفني حيناً ثالثاً . وشعره خير شاهد على ما اقول . ففيه قصائد اباحية يصرح فيها بفتكه وعبثه واخرى عذرية تمثل الحب البريء الصادق وان تكن رنة الشكوى والعذاب والحزن والاستسلام الى اليأس غير قوية كما هي في سائر الشعر العذري . وله قصائد لم ينظمها فيما أرى الا لان المغنين او غيرهم قد ألحوا عليه في ان ينظم لهم فنظم

ولسكن عمر كان يختلف عن غيره من الشعراء الذين عاصروه في انه الشاعر الوحيد الذي صور لنا حياة المدن الاجتماعية الهجة ولا سيما ذلك الجانب منها الذي يتعلق بالمرأة وصلة عمر بها فكان شعره من هذه الناحية سجلاً للحياة التي عاشها وصورة للعواطف التي اضطربت في نفسه . ونحن وان كنا نعلم انه ليس من اللازم ان تكون كل الحوادث التي ذكرها في شعره قد وقعت له حقاً فاننا نرى ان تعبيره عن احساسه قد استمد من حياته الخاصة . ونرى اشخاص شعره مخلوقات حساسة محبوبة بارزة تتكلم وتنحرك وتلعب دورها في الحياة

هوذا الحديث قد طال ولم اصل بالقارئ الى درس شعر عمر ودرس اثره في نفوس معاصريه وتابعيه . فلقد كان حقاً يفتن شعر هذا الشاعر الذي استطاع ان ينال اعجاب اعظم فقهاء الحجاز فيصرفهم في كثير من الاحيان عن جد الحياة الى بهرجها . وليس لدي متسع لاسرد خبر عمر ينشد رائيته طلحة بن عبد الله بن عوف الزهري فما يزال هذا واقفاً شاقفاً ناقته حتى تكتب له القصيدة او خبر عمر مع عبد الله بن عباس وقد وفد على هذا رئيس الازارقة يسأله في الدين فينصرف عنه ويميل الى عمر يستمع الى شعره . فيقول ابن الازرق : الله يا ابن عباس انا نضرب اليك اكباد الابل من اقاصي البلاد ونسألك عن الحلال والحرام فتثاقل عنا ويأتيك مترف من متر في قریش فينشدك سفهاً وتستمع اليه ! فينكر ابن عباس ان في هذه القصيدة سفهاً ويقول انها من آل نعم وانا نستجيدها . أو أسرد خبر الامام سعيد بن المسيب يفاخر الناس بشعر عمر وأي أثر قد ترك في نفوس النساء ذلك الشعر حتى صار الرجال يرون حرجاً عليهن ان يعرفن



شعر عمر فقالوا ما دخل على العواثق في خدورهن شيء إلا أضر من شعر ابن أبي ربيعة . ورأى بعضهم جارية تدخل على أهله حاملة دفترأ فيه شعر عمر فقال لها . ويحك تدخلين على النساء بشعر ابن أبي ربيعة ! ان لشعره لموقعا من القلوب . ومدخلا لطيفا ولو كان شعر يسحر لكان هو فارجمي . وقال بعض الرواة أدركت مشيخة من قریش لا يزنون بعمر ابن أبي ربيعة شاعرا من أهل دهره في النسيب . وكانوا يستحبون منه ما يستحبونه من غيره وكان في أراه الآن قد غلب على قلوب القرشيين فالت أهواؤهم إليه وملك عليهم نفوسهم فحضعوا لسحره حتى صار يقال اذا أمجزك أن تطرب القرشي فغنه بشعر ابن أبي ربيعة ولحن ابن سريج فانك ترقصه ترقصا أما أثره في نفوس الشعراء من معاصريه فلم يكن قليلا ولقد اجتمع إليه الفرزدق واستقشده من شعره فأنشده احدى قصائده فصاح الفرزدق : أنت والله يا أبا الخطاب أغزل الناس ، لا تحسن والله الشعراء ان يقولوا مثل هذا النسيب ولا أن يرقوا مثل هذه الرقية . وسمع جرير بعض شعر عمر فقال : ان هذا الذي كنا ندور عليه فأخطأناه وأصابه هذا القرشي . أما جميل بن معمر زعيم العذريين فقد تعارض وعمر فلما أنشده عمر لاميته قال جميل : هيات يا أبا الخطاب لا أقول والله مثل هذا سيجس الليالي ، والله ما خاطب النساء مخاطبتك أحد قط ولم يفت النقد أن يلتفتوا الى شعر عمر فأنني أكثرهم عليه ولقد حفظ عن مصعب الزبيري نقد لشعر عمر تكاد كتب الادب لا تحفظ نقدا أطول منه لشعر شاعر ولكن أحقا كان عمر كل هذا ، أم ان هؤلاء القدماء قد عودونا أن يقولوا في كل شاعر مثل هذا ؟ الواقع هو أن القدماء آراء في النقد هي في كثير من الاحيان قليلة القيمة بعيدة كل البعد عن شروط النقد الصحيح ، ولكن هذا الاجماع على الاعجاب بعمر نكاد لا نراه عندهم لغير عمر . ويفرض عمر نفسه على كثير من الادباء والنقاد والشعراء المتأخرين ويبقى أثره في الاجيال التي تلته بحيث لا نكاد نرى الآن كتابا لأديب أو مؤرخ أو معجما أو أسعا الا وقد ضمن شيئا من شعر عمر . حتى اذا جاز الادب العربي عصر الظلمات وانبتق فجر النهضة الحديثة لم يفت العلماء من عرب ومستعربين ان يلتفتوا الى عمر ولعل أول من تنبه اليه مستشرق انكليزي باسم بلكرينف فكتب رسالة عنه وترجم شيئا من شعره قبل سنة ١٨٧٢ . وكان روكرت الالماني معجبا بعمر وقال عنه انه أعظم شاعر في الغزل عند العرب . وقد حاول جمع شعره ليترجمه الى الالمانية فمات قبل ان يتم له ذلك فمض بعض هذا الامر بعده بول شفارز الالماني وترجم خمس قصائد ونشرها سنة ١٨٩١ . ثم نشر كل ديوانه بين ١٩٠١ و ١٩٠٩ ولست مبالغاً اذا قلت انه قد نال شعر عمر من العناية على يديه ما لم ينله ديوان شاعر عربي حتى الآن



وانبرى المستشرقون يثنون على عمر فمدحه بركن ونكلسن. ومما قاله الاخير: انا اذا استعرضنا شعراء الحجاز في عصر بني أمية فالزمامة لعمر وهو حامل لواء الشعر الغزلي . وقال عنه « جب » في بحثه عن نشأة الغزل : وان أعظم حامل بين هؤلاء الشعراء الغزليين وأولاهم ذكراً لعمر ابن أبي ربيعة دون جوان مكة وأوفيد العرب والشرق

واذا تركتم هؤلاء المستشرقين وانتقلتم الى أدباثنا العرب ترون عناية جلي والتفاتاً عظيماً وثناءً كبيراً فقد كتب الدكتور ضيف رسالة باللغة الفرنسية قدمها الى السربون وقابل فيها بين عمر والفرد دي موسيه . ووضع الدكتور زكي مبارك رسالة في حب ابن أبي ربيعة وخصص الدكتور طه حسين جانباً من أحاديثه الادبية لدرس عمر . وأكتفي بنقل عبارة كتبها الدكتور طه في عمر تقديرأ له : « فعمر اذن زعيم الغزليين الامويين لا نستثني منهم احداً ولا نفرق بين اهل البادية واهل الحاضرة بل نحن نذهب الى أبعد من هذا فنزعم ان عمر ابن أبي ربيعة زعيم الغزليين في الادب العربي كله على اختلاف ظروفه وتباين اطواره منذ كان الشعر العربي الى الان »

وتقول بعد هذا : وما هو هذا الشعر الذي سحر القدماء وخبأ ألباب المحدثين ؟ فارجو ان تمنحني شيئاً من الوقت احاول فيه درس بعض الظواهر في هذا السبيل

لملك لاحظت من حديثنا عن عمر انه قصر شعره على وصف المرأة فهو من هذه الناحية شاعر كان من أسبق الناس الى التخصص — هذه الظاهرة القوية في نهضة العام العلمية اليوم — وكان موضوع دراسته المرأة فهو لا يصف الا المرأة ولا يلتفت الى شيء اذا لم تكن فيه المرأة حتى الحج ومشاعره فانها لم تكن لتستوقف نظره اذا تغيت عنها المرأة

ولقد لقيه سليمان بن عبد الملك فقال : ما يمنعك يا عمر من مدحنا ؟

قال : انا لا امدح الرجال انما امدح النساء . فكان كالطبيب المتخصص تسأله ان يعالجك من امر ليس من اختصاصه فيقول لك : ليس لي يد بهذا اذهب الى فلان انما اعنى انا بكذا وكذا من الامر

وبعد أوليس من الطبيعي ان يعنى الناس بقول هذا الذي تخصص في حب النساء ؟ نعم ! ومن هنا كان بعض تشويق الناس الى استماع شعره فيهن . وقد كان الامام ابن عباس يقول هل حدث هذا المغيري شيئاً بعدنا . وقد ادرك القدماء هذا في عمر فقلل جرير وقد سأله بعض المدنيين ان ينشداهم من شعره : انكم يا اهل المدينة يعجبكم النسيب وان انساب الناس الخزومي . وقال آخر : ان عمر لزم مذهباً واحداً لم يجاوزه فأكثر فيه وأحسن . وفي تخصصه توصل الى استعراض امور دقيقة في الحب وحياة النساء لم يعرفها او لم يذكرها اسلافه ومعاصروه وشعر في هذا الامر بحيث صار اماماً لشعراء الغزل . وقد كان الغزل قبله وسيلة لغاية واستمر عند



بعض الشعراء هكذا حتى اليوم . اما عمر فقد جعله غاية تقصد وسن بذلك طريقاً للغزلين . وشعر عمر من هذه الناحية — في نظري — خير مصدر تاريخي لدرس المرأة الحجازية في ذلك العصر من حيث عاداتها وأخلاقها ولبسها وحرمتها ومكانتها وتفكيرها وربما بعض تعابيرها . ولقد يدعش بعض نساء هذا العصر اذا عرفن ان النساء زمن عمر كن يتجملن مثلهن فيرقن حواجرهن ويقوسنها ويصففن شعورهن على طريقة خاصة ويلبسن الرقيق الحريري من الثياب يشف عما تحته من ناعم الاجسام

شف عنها مرتق جَنَديُّ فهي كالشمس من خلال السحاب  
والظاهرة الثانية هي قصة القصص في شعره ويتفرع عن هذا أمران — المحاورة بين اشخاص قصة ووحدة المعنى واللفظ في القصيد

ينعى بعض النقاد المحدثين على الشعر العربي القديم خلوه من القصة ولعلمهم مخطئون اذ يجب ألا يتبادر الى اذهان الناس ان كل الشعر القديم قد خلا من القصة فقد حاول امرؤ القيس وغير امرؤ القيس ان يسردوا اخبار حبه في شعر قصصي ، وهم وان لم يوفقوا فقد طرخوا باب القصة . اما عمر فقد ابرز القصة في شعره للعيان بحيث لم يترك للشرح والمفسرين مجالاً للتعليل وقد سرد عمر في هذا الشعر القصصي اكثر وقائع حبه ولعله وضع واحتلق وقائع لم تجر له . وفي هذه المحاولة لسرد اخباره مع صاحباته انطق اشخاص قصته فبدت ذوات حية وتعرض لذكر الاحاديث والمحاورات التي كانت تدور بينه وبين بعض صواحيبه او بين احداهن واخرى من آرائها وهي صعوبة في نظم الشعر لا يستطيع التغلب عليها الا المطبوعون على سرد القصص . وقد وفق عمر في هذا فادهشت هذه الظاهرة جميل بن معمر فقال لعمر والله ما خاطب النساء مخاطبتك احد قط . وقال بعض النقاد مقابلاً بين لامية لعمر واخرى لجميل « لو ان جميلاً خاطب في قصيدته مخاطبة عمر لارتج عليه وعثر كلامه به »

وقد اضطر عمر بحكم هذه المحاورة والقصص الى جعل القصيدة وحدة كاملة والى وصل البيت الواحد بالبيت الآخر في بعض الاحيان بحيث تصبح الرابطة محكمة وبحيث يصبح من السيران تقدم او ان تحذف بيتاً من القصيد . لقد سمعنا من كثيرين ان الشعر العربي قبل ابن الرومي خلا من هذه الوحدة . وان الوحدة في الشعر العربي هي البيت . بينما هي في الشعر الافرنجي القصيد كله فليسمح لي القارى ان انبه الى ان شعر عمر يخالف هذا الزعم ولعل عمر قد تعمد هذا الامر تعمداً وبطول بي المقام اذا جئت استعرض قصائد عمر المرتبطة الايات معنى ولفظاً ولكني لا ارى بدءاً من ذكر قصيدة صغيرة هي في نظري من اضعف شعره ولكنها خير ما تمثل هذه الوحدة . واود اولاً ان استشهد بقطعة نثرية في موضوع الحب نفسه لاحد هم اقاربها



فيها : « قال : اما تعلم ان الحب داء ؟ أما والله لو حملت منه كما حملت من حب رخييم ، لما ملت على الحب ! فدعني وما اطلب ، اني لست ادري بما قتلت ، الا انني بينما انا بباب القصر في بعض ما اطلب من قصرهم اذ رمى شبه غزال بسهام فما اخطأ سهامه وليكنما عيناها سهمان له كلما أراد قتلي بهما سلم »

هذه قطعة نثرية كما يرى تامة السبك ملتحمة النسيج لا بأس بمئاتها لولا موضع او موضعان وقد يُريد القارئ ان اسرد له قصيدة لعمر في هذا الموضوع اقبلها بها ولعله يُدهش اذا زعمت له ان هذه القطعة من قصيدة لعمر . وسأسردها شعراً دون تغيير حرف واحد :

يا ذا الذي في الحب يلحى أما تخشى عقاب الله فينا أما  
تعلم ان الحب داء أما والله لو حملت منه كما  
حملت من حب رخييم لما ملت على الحب ! فدعني وما  
اطلب اني لست ادري بما قتلت الا انني بينما  
انا بباب القصر في بعض ما اطلب من قصرهم اذ رمى  
شبه غزال بسهام فما اخطأ سهامه وليكنما  
عيناها سهمان كلما اراد قتلي بهما سلم

واريد ان تلاحظ ان عمر قد قيد نفسه فيها بالقافية الواحدة في صدور الايات وعجازها ويكاد هذا وحده يشير الى ان عمر قد تعمد الامر تعمداً ليضع قفاً جديداً . . . . .

ثم هناك امر آخر دعا الناس في نظري الى حب شعر عمر هو روح عمر وانا ادري ان لنفس الشاعر قبل كل شيء اُراً كبيراً في تقريبه الى الناس ، فكلما كانت هذه النفس محبة الى الناس كان الشعر موضع اعجابهم وحبهم ولعل الادباء يسلمون معي ان حافظاً لم يكن بمنزلة شوقي في الشعر ولا كنه نال من حب الناس واعجاب النقاد مثل ما نال شوقي ان لم يكن اكثر وذلك لان نفس حافظ كانت اقرب الى هؤلاء الناس من نفس شوقي . وكانت نفس عمر رضية هنيئة وادعة على دها مرحلة جذابة حلوة فراق الناس اصطحاب هذه النفس وحبها حتى ان ابن عتيق قال لعمر : اف على الدنيا بعدك يا أبا الخطاب

وكان عمر مع صاحباته خفيف الظل لطيف الروح حسن المعشر فكان يتشوقن الى لقيه وكان يطلعهن احياناً على اشعاره التي قالها فيهن . ولم يكن عمر من هؤلاء الاباحيين الذين اذا تم لهم عشق لم يعنهم من شأن صاحبته شيء بل تركوها مضغة في افواه الناس . كلا فقد اصطفع ألوان الكلام ليكني عن اسم حبيبته باسم آخر وكان يذكر في اكثر قصائده ان هو مع حبيبته لم ينقض بغير السمر البريء والحديث اللذيذ وهو حتى في موافقه الاباحية الصريحة ، وهي قليلة



في الديوان لم يسم اسم واحدة بعينها ونحن الآن لا نعلم من هي نعم هذه التي شغلت قسماً كبيراً من ديوانه ( والتي يقال انها نزلت على غدير وار تحلت فنزله عمر وظل يرد منه حتى نشف ) وعمر عفيف في لفظه وفي تعايره وليس هناك في كل الديوان كلمة واحدة بذئثة وعصره عصر الاحوص والعرجي والفرزدق وجري

ولا اذكر هذه الناحية في عمر الا " وتبدو امامي صورة تما كسها في بشار الذي كان اعجاب بعض الناس بشعره عن رهبة وتعلق . فله موقف في قصيدة يظهر فيها بشكل لم ار اقبح منه في محب بعد عبثه مع صاحبه التي اغواها واغراها فقبلها وجرح شفتها يقول بلسانها :

كيف بأبي اذا رأت شفتي أم كيف ان شاع عنك ذا الخبر

فيجيب : قولي لها بقة لها ظفر ان كان في البق ما له ظفر

ارأيت سخريه بالحب وازدراء بالحبيب مثل هذا القول : قولي لأمك ما تشائين فبشار السميع لا يعنيه امرك بل هو يستخر بك ويزدري حبك ويعبر عن هذا بقوله :

قولي لها بقة لها ظفر ان كان في البق ما له ظفر

وأن هذا من روح عمر وقول عمر الذي يحق له ان يدل :

لو كفي اليمنى ساعتك قطعتها ولذقت بعد رضاك عيش الاجزم

أو هنيئاً لاهل العامرية نشرها الـذيذ وريها الذي اتذكر

أو ان اهوى العباد شخصاً لنا والذ العباد نغماً ودلا

لتي بالبلاط امست تشكي رمداً ليته بعيني حلا

يقول وهل هذا كل ما في شعر عمر وأنا اقول لا وأنت تعلم ان في الشعر شيئاً لا يقاس بمقاييس مادية او روحية يعرفها الناس فأنت تعجب بشعر وتعجز عن ان تصل الى هذه المواطن فيه التي استنارت اعجابك او طربك . فليست العاطفة ولا الخيال ولا حسن التصوير ولا الابداع في الديباجة ولا رقة الشعر وموسيقاه ولطف روح صاحبه هي كل ما في الشعر ، بل هناك ما هو أعرق من هذا وأكثر تعقداً منه وأرجو ان يقنعك اذا سميت ذلك سحر الشعر

وأنت فوق هذا كله ترتاح الى شعر عمر لما فيه من تمثيل صحيح لنفس صاحبه ولنفس فنيات صاحبه ولروح هذه الجماعة التي عاش بينها وتطمئن الى شعر عمر لما فيه من صدق اللهجة وطيب القلب وجمال هذا الطبع الذي جمع بين سذاجة الحياة العربية الاولى ولينها وظرف الحضارة الجديدة وطلاوتها . ويكفي ان اقول ان عمر شعر وأحسن فجرى لسانه بما

احسن وشعر



## أنا وابني

لايليا ابو ماضي

قال لي ابني وهو حيران بما يحكي ويقرأ  
كيف كان الله ؟ اني قد وجدت الله سرّاً  
اسمع الناس يقولون به خيراً وشرّاً  
فافدني . قلت : يا ابني انا مثل الناس طراً  
لي في الصحة آراء وفي العلة اخرى  
كلما زحزحت سترّاً خلّتي أسدل سترّاً  
لست ادري منك بالامر ولا غيري ادري

\* \* \*

احسب الله الذي صاغ من الذرات صخرّاً  
والذي شاء فصارت قطرات الماء بحراً  
والذي شاء فضم البحر اصداقاً ودراً  
وأراد الضوء اجراماً فصار الضوء زهراً  
ان هذا الله لما شاء هذا كان - فكراً -

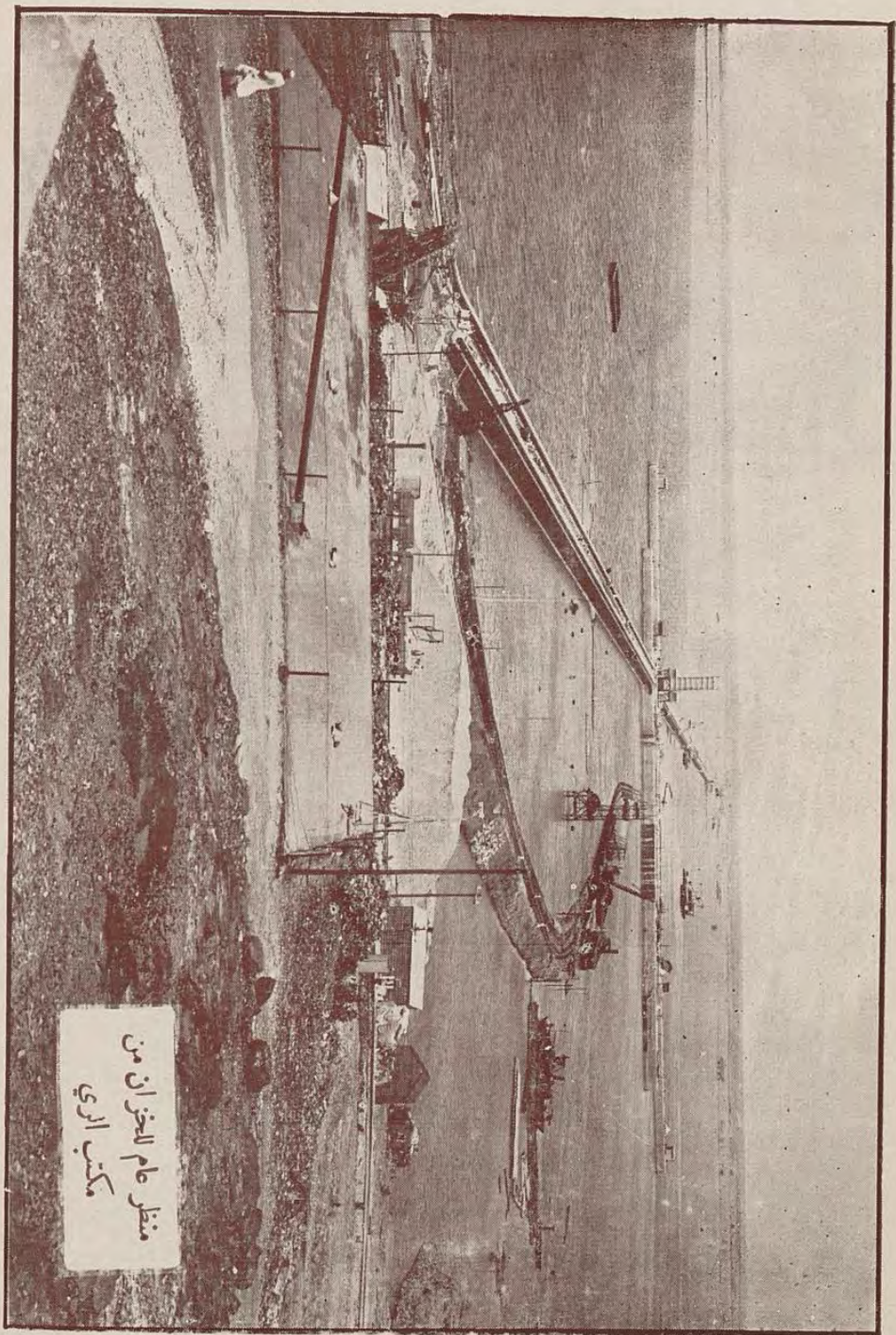
\* \* \*

ثم لما نظم الانوار في الارض زهوراً  
ورأى ان يعلن السحب غناء وجهوراً  
فتمشي في حواشي ال ارض سحراً وعطوراً  
وتهادى في حواشي الافق أطيفاً ونوراً  
وتراعى في الربى والماء صمتاً وخيراً  
عند ما أوجد هذا كان - حسّاً وشعوراً -

\* \* \*

من أحب الله جباراً وفتاكاً وقاهر  
فأنا أهواء رساماً وفتاناً وساحر  
وأراه في الندى والزهر والشهب السوافر  
فاذا الانجم غارت وانطوت كل الازاهر  
وتلاشى كل ما انشا وسوى من مناظر  
لاح لي في حسنه الاكمل في ديوان شاعر





منظر عام للخزان من  
مكتب الري





## خزان جبل اوليا

لحنا فبار

استخدام الانسان قوى الطبيعة في مصلحته عمل من أفضل ضروب النضال البشري على سطح هذا السيار . فأول ثمار الفلسفة استغلال الماء والهواء والتراب والنار ، والاستعانة بهذي الاشياء لتوفير القوة وتخفيف العناء . كان ذلك ديدن الانسان منذ العصور الخالية ، وسيظل كذلك وقد بلغ ذرى المدنية وال عمران . بل ان الانسان ازداد في ذلك مازاد اغراقاً في مناحي المدنية والارتقاء . فان تقدم العلوم ، وتزايد الاختبار ، يزيدان الانسان حولاً في ميدان الطبيعة ، فيتمكن من كشف استارها ، وسبر اغوارها ، وحل رموزها ، واستخراج كنوزها . كان ذلك شأن المصريين في عهد الفراعين العظام ، فلا غرو اذا أعاد أحفادهم الكرة على مناهج السلف الكريم يوم كانت المدينة في مهدها ، يوم ترعرع في وادي النيل فنون الزراعة والري والمساحة والهندسة والبناء والارصاد الفلكية

تجلت لي هذه الحقيقة يوم جئت خزان جبل أولياء قبل سنتين ونصف من الزمان ، فوقعت العين على أبداع حركة ، وأقدس حركة ، رأيها في الحياة ، ورأيت ما كان يجري تحت سماء النيل الابيض من آثار الهمة القعساء ، حركة انشائية لم يسبق لها نظير في هاتيك الديار منذ فجر العمران . فكان في ميدان جبل أولياء ، على النيل الابيض خليط من انكلز والمان وايطاليان ويونان وأرمن وحباشان وسودان ومصريين وسوريين ، وغير هؤلاء من طوائف البشر وأسباطها ، وقد تساحوا بأحدث مستنبطات العلم والفن والصناعة ، من محركات ، وناقلات ، ورافعات ، وماخرات ، وحافرات ، وحاطات ، فحولوا بها البحر يداً واليبس بحراً ، والقور جبلاً والجبل غوراً . وكانت المئات والالوف تعمل في حوض النهر تحت سطح الماء أمتاراً ، والمياه من حولهم كالجبال الشاخة تشكها الحواجز والسدود الوقفية ، وقد هبطوا الى قاع النيل يحفرون وينقرون ويشيدون ، لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . فبدت لي حينذاك سلطة الانسان على الطبيعة محسوسة ملموسة ، يستغل مقدراتها ناعم البال . مبلغ كهذا لم يدركه الفراعين العظام ، ولم يشهده وادي النيل في ما سلف من العصور . هذا هو خزان جبل أولياء وصحته « اولي » ولكنه كتب « اوليا » في البيانات الرسمية الاولى ولم يغير



للخزانات غرضان ، ثانوي وجوهري . فالغرض الثانوي هو وقاية البلاد من غوائل الفيضان ، ولا سيما في أوقات تجاوزه الحدود العادية وتهديده البلاد بالدمار . ومصلحة الري العمومية تنظر الى هذا الغرض بعين العناية كجزء جوهري من التزاماتها ، والغرض الجوهري هو تخزين مقدار وافر من المياه ، وحبسه أمام السد لاستخدامه في ري الاطيان الزراعية في أوقات انخفاض مستوى النهر وعجزه عن امداد المزارعات بالقدر الكافي من المياه أنشئ أول عمل من هذا النوع على النيل في عهد محمد علي الكبير ، رأس الاسرة المالكة في مصر . أريد بذلك القناطر الخيرية ، في النصف الاول من القرن الماضي . وكانت القناطر الحلقة الاولى في سلسلة انشاءات الري . تلتها الحلقة الثانية في خزان أسوان في أوائل القرن الحالي ، ثم قناطر اسيوط ونجع حمادى وخزان مكوار . وأخيراً في خزان جبل اولياء هذا ، الواقع على النيل الابيض جنوبي مدينة الخرطوم نحو خمسين كيلو متراً أو أقل قليلاً

وأقسم الكلام فيه الى أربعة أقسام هي تاريخ هذا المسعى : الاعمال التمهيدية : أوصاف الخزان : مغازيه الروحية

### ١ - تاريخ هذا المسعى

قام السر وليم غارستن الشهير ، المستشار الفني في وزارة الاشغال المصرية العمومية ، برحلة كبيرة في وادي النيل ، في مستهل القرن العشرين ، وعلى اثر استرداد السودان واستقرار الحال فيه . فجاب من تلك الاصقاع مادناً وما نأى . ورافق فروعه الى مصادرها في جبال الحبشة وبحيرة طانا مصدر النيل الازرق ، وفي البحيرات الاستوائية مصدر النيل الابيض . وصعد في بحر الجبل ، وبحر سوبا . وجاء الجزيرة جنوبي الخرطوم . وتخطاها شمالاً الى حدود اسوان . ووضع تقريراً مطولاً ضمنه آراءه في هذا الشأن ، وقد اسماه « الدليل في موارد اعالي النيل » . بسط فيه الكلام في انماء الثروة ، وتوافر دواعي طمأنة الانسان وتأمين حياته . تلك اول احلام الانسان العاقل وهي اول حوافز ارتقاءه . و اشار غارستن في ما اشار الى انشاء خزان على النيل الابيض عند جبل اولياء . ذلك اول فجر سطع على هذا المسعى في التاريخ . تلا ذلك انشاء الحكومة المصرية مصلحة الري في الخرطوم سنة ١٩٠٥ ، فجاء ذلك باعثاً على الاستزادة من المعلومات المختصة بالري وتخزين المياه ، واكتشاف كثير من الاقاليم المجهولة . فثبت لمصلحة الري ان خزان اسوان لا يسد حاجة القطر المصري ، فيلزم انشاء خزان على النيل الابيض عند جبل اولياء . وهذي كانت الخطوة الثانية في تاريخ هذا المسعى الجليل الشأن . وقد كان الباعث عليها نقص الفيضان سنة ١٩١٣ وانخفاض النيل سنة ١٩١٤ الى أوطأ ما عرف في القرنين الاخيرين ، فعجز النيل سنة ١٩١٤ عن سد مطالب الري الضرورية فخرج ذلك بهمم رجال الري الى التفكير



في انشاء هذا الخزان تداركاً للخطر قبل وقوعه . وعلى هذا الاساس عرض اسمعيل سري باشا ، وزير الاشغال على مجلس الوزراء « مشروع خزان جبل اولياء » وذلك في شهر مايو سنة ١٩١٤

﴿ المعارضة ﴾ لم يلق مسعى في الارض ما لقيه هذا المسعى من المعارضة والمضادة . وكانت تلك المعارضة سياسية في أساسها ، فنية في مستندها . وليس من اغراض الدخول في الموضوع من ناحيته السياسية . فقد قال اسمعيل سري باشا رحمة الله عليه : « ان من سوء الحظ ادخال السياسة في مسعى كهذا » . ولما كانت المعارضة قد استندت الى تصريحات فاه بها السر وليم ولكوكس ، ومعلوم مال هذا الرجل من عظيم الشأن والمكانة العالمية في هذا الباب ، بناء عليه الفت الحكومة البريطانية لجنة خاصة من بارزي المهندسين للنظر في تصريحاته . واعضاء تلك اللجنة هم : —

- ١ : السر موريس فتر موريس رئيس معهد المهندسين سابقاً
- ٢ : السر ر . بنتون مفتش عام الري في هندستان سابقاً
- ٣ : السر وليم غارستن مستشار وزارة الاشغال العمومية المصرية سابقاً
- ٤ : السر ارثر وب مستشار وزارة الاشغال العمومية المصرية سابقاً
- ٥ : الاستاذ كوثرن رئيس معهد المهندسين المسلمين ، وصاحب تأليف في الهيدورليكا والحياة
- ٦ : الكولونيل نيوتن المدير العام لمصلحة المساحة المصرية ، ونائب مدير مصلحة الارصاد الجوية سابقاً . وازافت الى هذه الهيئة القاضي بوث للنظر في الاتهامات من وجهة قضائية . فكانت نتيجة بحث هذي اللجنة في مصلحة المسعى ودفع الاتهامات . ولما برزت المعارضة في وجه الحكومة المصرية عينت هي ايضاً لجنة دولية لدرس الموضوع وتقديم تقرير عنه ، واعضاؤها هم :

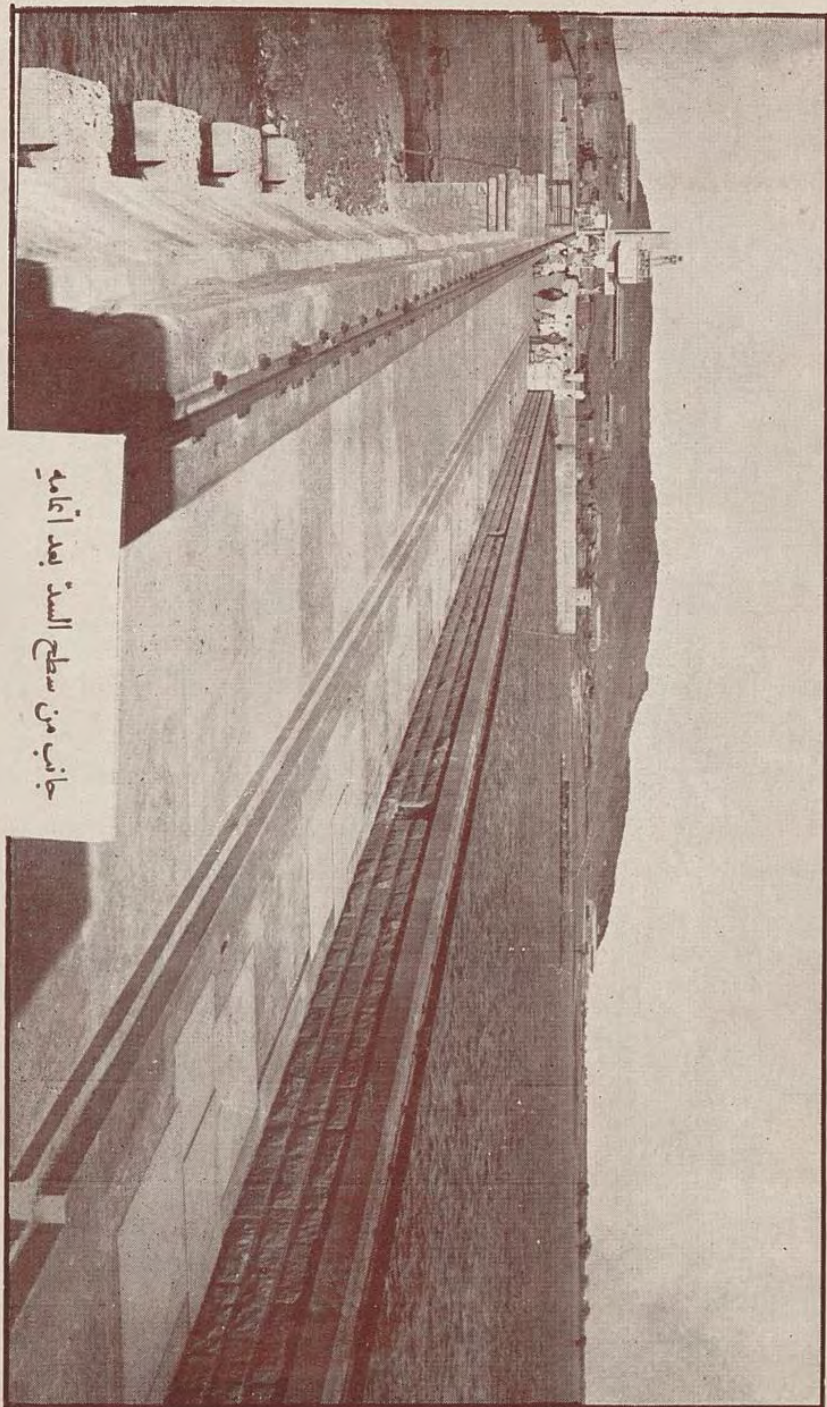
- ١ : المستر جبي رئيساً — رشحته حكومة الهند
  - ٢ : المستر كوري عضواً — رشحته حكومة الولايات المتحدة
  - ٣ : الدكتور سمبسن عضواً — رشحته جامعة كمبريدج
  - ٤ : السكرتير كايس — استاذ في مدرسة الهندسة الملكية
- قامت هذي اللجنة برحلة في اعالي النيل الابيض . ودرست الموضوع من كل جهاته . وقدمت عنه تقريراً اضافياً أسمته « تقرير لجنة مشروعات النيل » لخصه المستر داوسن مساعد المستشار المالي ، لتسهيل مراجعته . وذلك في ديسمبر سنة ١٩٢٠ . وقد ايد ذلك التقرير انشاء خزان جبل اولياء

فشرعت الحكومة المصرية في العمل وشادت البيوت والعنابر في منطقة جبل اولياء لسكن المهندسين والمقاولين . واتفقت على تلك المباني ما يقرب من مليون جنيه . الا ان العمل توقف في وزارة عدلي يكن باشا في ٢٥ مايو سنة ١٩٢١ لاسباب مالية . وفي آخر ذلك العام نذبت الحكومة المصرية المستر ديوى . مستشار وزارة الاشغال يومذاك ، مع جماعة من المهندسين ، في عدادهم عبد الحميد باشا سليمان والمستر برسي ، فقدمت تقريراً باسم « تقرير ديوى »



طبع سنة ١٩٢٥ وزار المستر فتموريس موقع جبل أولياء سنة ١٩٢٤ يصحبه مستر توتنام  
 وكيل وزارة الاشغال . وهو ايضاً نظم تقريراً في ٢٦ مارس سنة ١٩٢٤  
 وتألفت لجنة دولية للنظر في توزيع مياه النيل بين مصر والسودان . واعضاؤها هم : —  
 ١ : المستر كنتز كريمر رئيساً — هولندي — ٢ : المستر ماكجريجور — عن الحكومة  
 البريطانية ٣ : عبد الحميد باشا سليمان عن الحكومة المصرية  
 وأضافت الحكومة المصرية الى هذي اللجنة لجنة مساعدة مؤلفة من عبد الحميد باشا عمر  
 وعبد القوي بك احمد . وكانت هذي اللجنة خطوة كبيرة الى الامام في أمر هذا الخزان  
 وشكل اسمعيل سري باشا سنة ١٩٢٦ لجنة مؤلفة من أحد عشر عضواً برئاسة صالح عنان  
 باشا لفحص تقرير لجنة النيل ، وكان سكرتير هذي اللجنة عبد القوي بك احمد  
 وبعد مراجعة هذه اللجنة التقرير رفع رئيسها بيانه الى عثمان محرم باشا خلف اسمعيل  
 سري باشا في وزارة الاشغال . وقدم الوزير عثمان محرم باشا سنة ١٩٢٦ ، ثم خلفه ابرهم  
 فهمي باشا سنة ١٩٢٨ ذلك التقرير لمجلس الوزراء . وهو يرمي الى اعتبار تقرير لجنة النيل  
 مرعياً في جميع مبادئه ، ثم طلب الى مجلس الري الأعلى سنة ١٩٢٩ ان يبيد رأيه في الامر  
 فقرر ذلك المجلس « ان انشاء خزان عند جبل أولياء مسألة أساسية للتوسع الزراعي في  
 مصر » . ومجلس الري الأعلى مؤلف من غالب عثمان بك رئيساً ، وهو مفتش عمومي الري  
 في الوجه القبلي ، ومعه تسعة أعضاء ، خمسة منهم مصريون وأربعة انكليز  
 وفي ٧ مايو سنة ١٩٢٩ عقد اتفاق تقسيم مياه النيل بين مصر والسودان . وجاء في رد  
 المفوض السامي اللورد جورج لويد على رئيس الوزارة المصرية ما نصه : —  
 « ان حكومة جلالة الملك سبق لها الاعتراف بحق مصر الطبيعي والتاريخي في مياه النيل  
 واني أقرر انها تعتبر المحافظة على الحقوق مبدءاً أساسياً للسياسة البريطانية في الشرق »  
 وصدر قرار وزارة الاشغال سنة ١٩٢٩ مختوماً بهذي العبارة : « رأى المجلس ضرورة اقامة  
 خزان جبل أولياء ، واتفق الجميع في وجوب التعجيل في انشائه » وفي ٣٠ يناير سنة ١٩٣٢  
 أحالت وزارة اسمعيل صديقي باشا الى مجلس النواب مرسوماً ملكياً بمشروع قانون باعتماد  
 خزان جبل أولياء ، فألف المجلس لجنة خاصة لدرس الموضوع وتمحيصه ، واعطاء قرار  
 بهذا الشأن . وكان اعضاء اللجنة البرلمانية سبعة عشر عضواً . فعقدت تلك اللجنة ١٧ جلسة  
 لمناقشة الموضوع ، من أول مارس ١٩٣٢ الى ٩ مايو ، وكان مندوب الحكومة لدى  
 اللجنة في كل تلك الجلسات عبد القوي بك احمد . فتلقي الاسئلة والاعتراضات في كل  
 جلسة ، فأجاب عن هذي ، ورد تلك ، وقرع الحجة بالحجة والبرهان بالبرهان . وأخيراً  
 استدعت اللجنة وزير الاشغال ورئيس الوزراء فحضرا جلسة ٢٤ مارس يصحبهما وزير المالية  
 وفي الختام رفعت اللجنة لمجلس النواب تقريراً بهذا الشأن يشغل ١٤ صفحة كبيرة  
 فتناقش النواب في التقرير ثلاثة ايام . وختمت مناقشتهم بخطة مشجعة من رئيس الوزارة  
 في ٢٣ مايو ، قال فيها « لا دخل للسياسة في انشاء هذا الخزان ولا خطر على مالية





جانب من سطح السد بعد إتمامه



الدولة بسبب النفقات المرصودة له « . وحينذاك اعلن رئيس البرلمان محمد توفيق رفعت باشا ان المناقشات قد ختمت وطلب التصويت ففاز المشروع بأغلبية ١١٣ صوتاً ضد ١٦ صوتاً . عندئذ رفع الرئيس كتاباً بهذا الشأن الى مجلس الشيوخ بحسب الاصول البرلمانية . فحوّل مجلس الشيوخ الموضوع الى لجنة الاشغال في مجلس الشيوخ برئاسة اسمعيل سري باشا ، و اضاف المجلس الى تلك اللجنة الذوات الآتية اسمائهم

( ١ ) قليني باشا ( ٢ ) حبيب دوس بك ( ٣ ) محمود بك ابو النصر ( ٤ ) اللواء عبد المجيد فريد باشا ( ٥ ) عبد الرحمن رضا باشا ( ٦ ) اللواء محمود عزمي باشا ( ٧ ) اللواء صادق يحي باشا ( ٨ ) ادوار قصيري بك ( ٩ ) اللواء علي احمد باشا ( ١٠ ) محمد احمد عبود باشا . فبحثت اللجنة المزدوجة الموضوع بحثاً كافياً . ونظرت في كل نقاطه وفروعه من وجهاته العديدة ، وشغلت جلساتها اسبوعين من ٢٦ مايو الى ١١ يونيو سنة ١٩٣٢ ، حضر بعضها رئيس الوزراء مع وزير الاشغال العمومية . وختمت اعمالها باقرار القانون ، ورفعت تقريرها الى المجلس . فتناقش المجلس فيه من ١٤ يونيه الى ١٧ منه ، وأقره بأكثرية ٧٤ صوتاً ضد ٤ اصوات فتكون اكثرية الاصوات في مجلس النواب بنسبة ٩ الى ١ وفي مجلس الشيوخ بنسبة ١٨ الى ١

وارى من واجبي كمؤرخ صادق ، يحرص على الحقيقة ، وعلى كرامة الدولة ونزاهة رجالها ، ارى ان اثبت هنا « ان خزان جبل اولياء مسعى مصري ، ايّده فكرة مصرية غير مسخرة ، ولا مستهواة ، ولا واهمة ، وقد سارت أبحاثه سيراً برلمانياً حراً قانونياً ، بنور العلم والفن ، وصدق بالتصويت الحر حائزاً الاكثرية الساحقة وكانت للمعارضة الحرية التامة لاراد كل ما يمكن ايراده ضده . وقد ردت عليها الوزارة رداً علمياً صحيحاً فلم يبق ثمة مجال للمراء » . هذا هو خزان جبل اولياء وصدر القانون باعتماده في ١٩ يونيو ونشر في « الوقائع المصرية » الصادرة في يونية سنة ١٩٣٢ وهذي صورته

القانون رقم ١٩ سنة ١٩٣٢ باعتماد انشاء خزان جبل الاولياء

نحن فؤاد الاول ملك مصر

قرر مجلس الشيوخ ومجلس النواب القانون الآتي نصه وقد صدقنا عليه

مادة ١ : يعتمد انشاء خزان جبل الاولياء في السودان على الوجه المبين بمذكرة وزارة

الاشغال العمومية الى مجلس الوزراء في ٣ يناير سنة ١٩٣٢

مادة ٢ : على وزير الاشغال العمومية تنفيذ هذا القانون . نأمر ببصم هذا القانون بخاتم

الدولة وان ينشر في الجريدة الرسمية

صدر في سراي القبة في ١٥ صفر سنة ١٣٥١ ( ١٩ يونيه سنة ١٩٣٢ ) وتنفذ كقانون

فؤاد

من قوانين الدولة

بأمر حضرة صاحب الجلالة الملك

رئيس مجلس الوزراء — اسمعيل صدقي

وزير الاشغال العمومية

أبراهيم فهمي كريم



بعد ذلك طرحت الوزارة انشاء الخزان للعطاءات . ولدى فحص ما تقدم اليها من تلك العطاءات — بحسب الاصول المرعية — قبلت عطاء المستر جبسن الانكليزي ، مشترطة عليه ان يعقد شركة مالية قدره ، تضمن تحمل اعباء العمل . فعقدت شركة جبسن ويولن مساهمة وشرعت الشركة في انشاء الخزان في خريف سنة ١٩٣٣ على ان تتمه في خلال ٤ سنوات وتسلمه للدولة المصرية في يولييه سنة ١٩٣٧ . والمبلغ الذي تدفعه الدولة المصرية له هو ٢١٠٠٠٠٠ جنيه مصري

## ٢ — الاعمال التمهيدية

ان الاعمال التمهيدية التي يستلزمها انشاء خزان كهذا هي كبيرة متفرعة . ومن لم يرها قد لا يصدق ما يسمعه عنها . واليك لمحة مختصرة تكشف عن خطورة تلك الاعمال

١ : المساكن للمتعهدين والموظفين وخلافهم : سلمت حكومة السودان للدولة المصرية شقة من الارض ، على ضفاف النيل الابيض ، حول جبل اولياء ، فسورها الحكومة المصرية بالاسلاك ، ودعتها بالمستعمرة المصرية ، وللمستعمرة المصرية اربعة ابواب ، يقيم الخفر في كل باب ، ولا يؤذن بالدخول اليها الا لمن تجيزه الادارة من موظف وعامل وزائر ومقاول الخ وقد شيدت ضمن السور مباني عديدة ، من بيوت وعنابر وقطيات ( حجر مستقلة ) ومخازن للري ومكاتب ومستشفى ونحو ذلك ، لسكن موظفي الري ، ومهندسي الخزان من مصريين وغير مصريين ، ولسكن المتعهدين والمقاولين والمترمين والملاحطين وغيرهم . فكان هنالك بلدة واسعة الجناح ، تفصل بين أبنيتها ساحات فسيحة ، وشوارع عريضة ، تنيرها الكهرباء ليلاً . وقد سوّرت بيوتها بأشجار التمر الهندي ، أو أشجار السيسبان بحيث لا يرى المارة ما ضمن تلك الاسوار الخضراء . وزينت البيوت بالحدائق والبروج ، والشوارع بالأشجار على الجانبين . وأقيمت على خدمة البيوت جماعات الفراشين والبستانيين . دام ذلك كل المدة منذ سنة ١٩٢٠ الى انتهاء بناء الخزان ، وقد أفنقت الدولة المصرية على ذلك ما لا يقل عن مليون جنيه . وقد شملت تلك المباني بالعناية الصحية التامة منعاً للأمراض ، ولتولد البعوض الضار في الاقاليم الحارة

٢ : المياه : وقد أمدت تلك المباني بجهازين من الماء . الاول لحمل ماء النيل كما هو الى البيوت لسقيا الحدائق وأعمال التنظيف . والثاني لأجل ماء الشرب ، بعد تصفيته وتطهيره بحسب القواعد الصحية ، وتحت المراقبة الطبية . وقد مدت أنابيب الماء الى كل بيت في المستعمرة وجهازت بالحنفيات والمصارف لحمل المياه القذرة الى الخارج ، بحيث لا يحتاج ساكنوها الى أي نفقة او عناء

٣ : الكهرباء : وهي تراد لأمرين ، التنوير والمحركات لادارة الآلات . فأُنشئ معمل كبير لتوليد الكهرباء ، فيه مكنات كبيرة ، يقوم على ادارتها واصلاحها خبراء اخصائيون وكان على القوة الكهربائية المعول في بناء الخزان علاوة على تنوير الشوارع والبيوت ، وكانت أعمال الكهرباء مستمرة بلا انقطاع ليلاً ونهاراً كل مدة بناء الخزان



﴿ ٤ : الثلج ﴾ وكان من الضروري ، في وسط سوداني حار ، توفير الثلج للتبريد ، وللأعمال الصحية ، ولذا أنشئ أيضاً معمل للثلج ، بقوة الكهربائية ، كان يصدر يومياً ما لا يقل عن ٤٠٠ كيلو جرام من الجليد عدا ذلك كان عند كثيرين من كبار الموظفين ثلاجات كهربائية في البيوت

﴿ ٥ : المستشفى ﴾ والمستشفى الى يسار مدخل المستعمرة الرئيسي هو بلدة على حدة ، لا تقل مساحة أراضيها عن ٢٠٠٠٠٠ متر مربع . شيدت فيها الابنية لسكن الاطباء والمرضى وغرف العمليات وحجر عديدة وكبيرة فيها مئات من الاسرة لحلول المرضى وقد قسمت تلك الاسرة الى ثلاث درجات ، درجة اولى ، ودرجة ثانية ، ودرجة ثالثة . وكان على المتعهد حبس ان يدفع عن كل مريض في تلك الدرجات . فعمن في الدرجة الثالثة عشرة غروش في اليوم . وعمن في الدرجة الثانية ثلاثين غرشاً . وعمن في الدرجة الاولى خمسة وسبعين غرشاً . ولكن الحكومة المصرية هي المسؤولة بنفقات المستشفى وقد قررت له في الميزانية اربعين الف جنيه للسنوات الاربع وكان في المستشفى ثلاثة اطباء ، وممرضتان ، عدا الترجية والخدم . وكانت خدمة المستشفى من أجل وأقدس الاعمال الانسانية في ذلك المحيط . لانه لم يقتصر على خدمة الموظفين والعمال ، بل مد احسانه الى سكان المحيط ، فكانت تجري فيه معاينة مئات كل يوم ، عدا عمليات التوليد ، وعمليات الحوادث والآفات التي لاحصر لها . وقد جهزته الحكومة المصرية بكل ما يلزم من العلاجات والاجهزة اللازمة

﴿ ٦ : النقل ﴾ بحسب شروط التعهد بين حبس والحكومة المصرية وجب ان يبنى السد المكون للخزان بحجارة من النوع المعروف بالجرانيت . وكان يلزم ان تؤخذ تلك الحجارة من محاجر جبل السليتيات الواقع شمالي الخرطوم نحو اربعين كيلو متراً . وجبل اولياء جنوبي الخرطوم نحو خمسين كيلو متراً . فالمسافة بين محجر السليتيات وبين الخزان نحو تسعين كيلو متراً . لذا مد خط حديدي من جبل اولياء الى الخرطوم يتصل بالخط المؤدي الى السليتيات . وقد مدت هذا الخط الحكومة السودانية فانفقت عليه ١٢٠٠٠٠ جنيه وكانت تتقاضى متعهدي الخزان قدراً معيناً من المال عن كل طن ينقلونه على الخط من حجارة وحدائد ورمال وادوات

وبعد وصول الخط الى محطة جبل اولياء تفرعت منه خطوط عديدة الى موقع الخزان بعضها على جسر ( كبري ) موقت فوق الماء ، وبعضها على الضفة الشرقية ، والضفة الغربية ، وبعضها في حوض النهر حيث اعمال البناء . وهذا الفرع من الاعمال له خطورته وقد اقيم اخصائيون على خدمته وملاحظته وادارة شؤونه

﴿ ٧ : الجسر ﴾ هو جسر موقت ، مد فوق مياه النهر من الشرق الى الغرب ، على دعائم خشبية هائلة من امتن انواع الخشب ، مدت فوقها جسور خشبية وخطوط حديدية فكانت طريقاً مزدوجاً للبشر والنقل فالمشي الى الجانبين والخط الحديدي في الوسط . وهذا الجسر لا بد منه لانشاء الخزان . وكان العمل يجري عليه نهراً و ليلاً بلا انقطاع



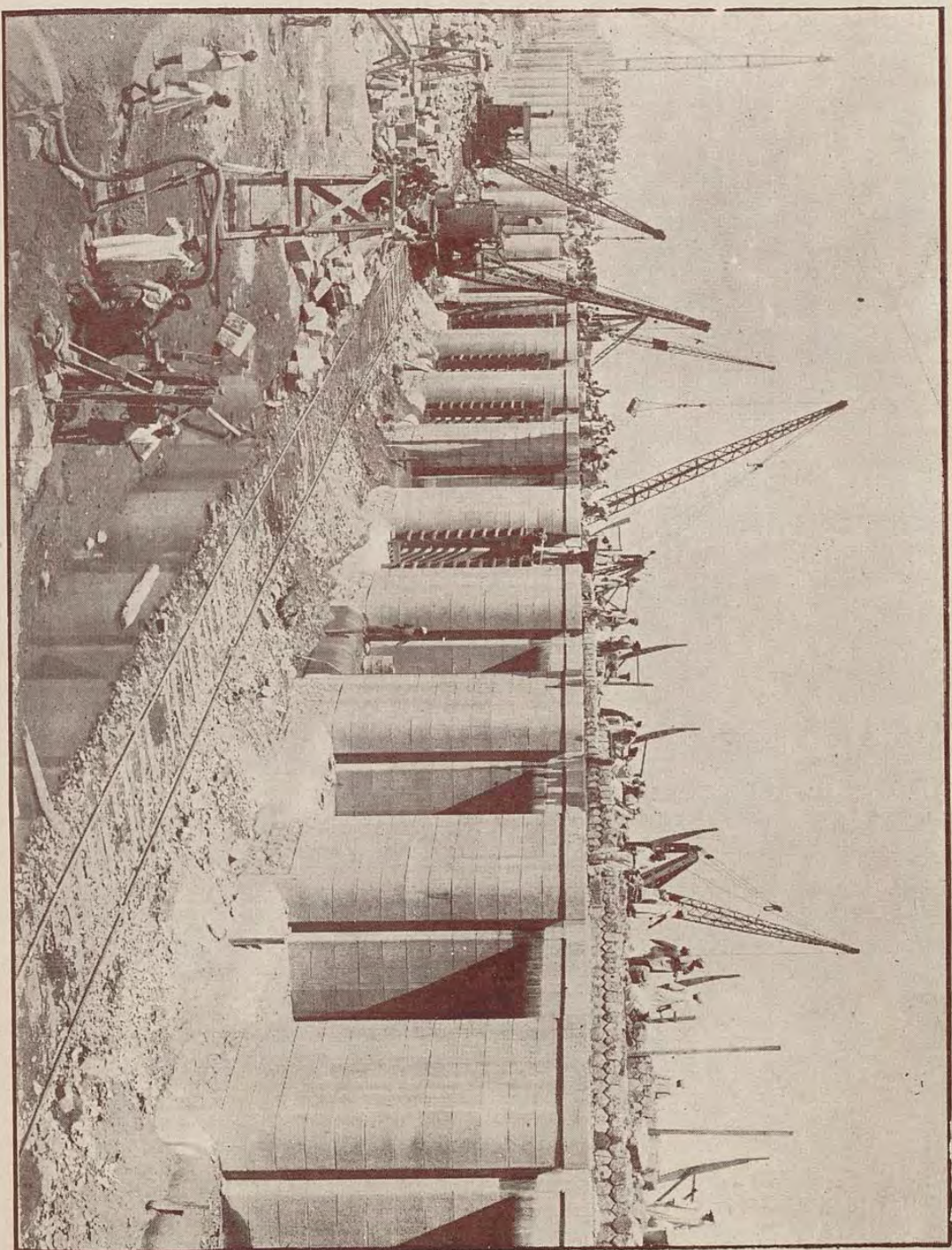
كل المدة من سنة ١٩٣٣ الى سنة ١٩٣٧ . وعدا الجسر كان في النيل « معديات » للمهندسين والمتعهدين . ولنقل الاشياء الخاصة التي لا يمكن تسييرها على السكيري . فكانت المعديات تخرج عباب الماء في كل ساعات النهار من الصباح الى المساء

﴿ ٨ : مركز حكومة ﴾ وكان لا بد لضبط النظام والفصل في القضايا بين عشرات الالوف من الناس — كان لا بد — من انشاء مركز حكومة فيه مفتش قضائي ومأمور وحكماد وهيئة بوليسية وسجون وكان البوليس على قدم العمل في الخزان وفي السوق وفي المستعمرة وكانت القضايا الجنائية التي تنشأ بين العمال ترد الى ذلك المركز

﴿ ٩ : البريد والبرق ﴾ كذلك كان من اللازم انشاء فرع للبريد والبرق ، لقضاء حاجات تلك الالوف . وقد قسمت تلك الادارة الى ثلاثة فروع : البريد : والتلغراف : والتلفون : فكان البريد يحمل الجرائد والمجلات بأكثر من خمس لغات — العربية والانكليزية والايطالية واليونانية والالمانية والفرنسية وغيرها . ويقوم بواجب ألوف من التحاويل المالية كل شهر . وكانت ادارة التلفون قائمة على العمل ليل نهار ، وكذلك ادارة التلغراف . وكان توزيع البريد والبرقيات بالدقة في وقته حذراً من تعطيل المصالح ، لان هنالك ادارة الري وادارة الخزان وكتلتها من الخطر بمكان

﴿ ١٠ : السلك (Wire) ﴾ وهو من أهم الاعمال التمهيدية التي أذكرها هنا . وفي ظني انه أغربها وأعظمها وأبدعها . بل هو من أبداع أي الفن الميكانيكي والعلوم الطبيعية . يمتد السلك على أربع قوائم اثنتين على كل ضفة من ضفتي النيل علو القائمة الواحدة ستون متراً ، مؤلفة من جسور « وشرحات » من الحديد وبين القائمتين تماماً كان السد المؤلف الخزان فكان السلك فوق السد تماماً . والغرض منه نقل الحجارة من الضفة الشرقية الى موضع البناء في حوض النهر او على الضفة الغربية وهناك محرك كهربائي (دينامو) كان يدير آلة متصلة بأسلاك حديدية ، نيطت بها جرادل كبيرة . يسع الجرادل الواحد من الحجارة ما وزن ثلاثة اطنان . فكان العمال يملأون هذي الجرادل بالحجارة الضخمة ، فيحملها السلك محرّكاً بالكهربائية الى فوق حتى تصل الى السلك العالي . وحينذاك تسير على بكرات بقوة الكهربائية الى حيث يلزم . وهنالك تهبط الجرادل بقوة الكهربائية الى الارض ، فيفرغها العمال ، ثم تعود وترتفع بقوة الكهربائية وتعود الى الضفة الشرقية لاعادة ملئها بالحجارة . كان هذا العمل مستمراً كل زمان البناء . ولولاه لكان نقل الحجارة من الضفة الى حوض النهر من اشق الاعمال . وهذا الجهاز اعظم واثمن آلة استخدمت في بناء الخزان عدا ما ذكرت من الاعمال التمهيدية كان هنالك « الكراكات » ، العاملة في نقل الركام في وسط النهر من جانب الى جانب . وهنالك سيارات عديدة للركوب والنقل . ومعمل للتجليل الكيميائي . وآلات لطحن الحجارة وصنع الخرسانة والاسمنت ، ولكل من تلك الفروع ادارات واقلام واخصائيون فاكتفي بالاشارة لتصوير الحال





خزان جبل اویا فی دور البنا



## ٣ — السد الذي يكون الخزان

هنا نقطة دائرة المسعى ، وملتقى خطوطه ، ومتجه حر كاته . كان العاملون في الخزان نحو عشرة الآف منهم الفان يعملون في تقطيع الحجارة واعدادها في السليطات يتبع هذي الالوف اكثر من عشرة آلاف آخرين من نساء الموظفين والعمال ، واولادهم ، وخدمهم ، والتجار والبقالين والخياطين والفسالين والخبازين والصباغين والمقاولين الصغار وغير هؤلاء من المتعلقين بالهيئة العاملة . يسكن هؤلاء في ثلاث حلل (قري) عدا الخيام ، فهناك مجموع من البشر لا يقل عن عشرين الف نفس ، محور جميعهم الخزان . تنظر الى السد من عل ، فتتحت نظرك مشهد روائي غريب واني اراه اغرب من حكايات الف ليلة وليلة . فهناك اولاً اربعمائة وثلاثون معمارياً أحنوا ظهورهم بينون كل النهار ولكل من هؤلاء عمال ومناولون يقدمون له ما يلزمه من المواد . يلي هؤلاء «الحمالون» والحفارون والسقاؤون والملاحظون والمتعهدون والباعة المتجولون وكل هؤلاء تحت شمس السودان المحرقة بعضهم بالملابس الاوربية التامة وبعضهم نصف عراة او شبه عراة او عراة تقريباً ، حفاة الاقدام ، حاسرو الرؤوس والسواعد والصدور . هؤلاء يحملون على مناكبهم الحجارة الضخمة التي قد يعجز الحمار عن حملها . وهؤلاء يحملون «جرادل» الطين ، واصفائح الماء ، او أكياس الرمال ، وآخرون يعملون في تفرغ العربات مما تحمل من المواد وآخرون يعملون في هندسة الحجارة بالمطارق الحاطمة ، وفي الوقت نفسه صفير القطار يصم الأذان ، وقعقة السلك يحمل الجرادل ، واصوات «الكراكات» والادقال والحداث والمطاحن والمطارق والكهربائية والسيارات . وترى العمال الوفاً يحيطون باربعمائة بناء يشيدون في بقعة واحدة ، وواجباً مما ارى ان اولئك الالوف ، وقد احنوا للحمل مناكبهم ، وهم يسيرون صعوداً او نزولاً على سطح مائل في وسط الجلبة والضوضاء . مع ذلك لا يخطيء واحد منهم هدفه بل يسير الى المعمار الذي يتبعه هو ويناوله ما يحمل ولا يخطيء مع ان المعمارين متشابهون وهم مئات متجاورة — مع ذلك — يسير العمل بانتظام وهدهد وسكينة كأن معماراً واحداً في المكان

وترى الوفاً منهم مستريحين في فترة العمل يشربون الشاي . احصيت مرة على الهويس تحت نظري نحو عشرين جماعة منهم ، كل جماعة حول اريق شاي وكل هؤلاء في بقعة صغيرة . فقس على ذلك سائر المحيط . اما حبلم الجرار صباحاً حين يأتون الى العمل ، ومساء حين يعودون من العمل ، فحدث عنه ولا حرج . هنالك يوم الحشر والنشور ترى السيل الجارف من البشر من كل طبقات الخليقة وكل الوانها ، الصدر الى الظهر ، يدفع اللاحق السابق ، وقد اكتنظت الاقدام على ذلك الجسر الغرب الاوصاف حتى انه يتعذر على المرء الانسحاب من وسط ذلك التيار البشري ويخيل اليك انه لو رفع قدميه عن الجسر لظل سائراً في وسط الحشد لان الضغط الى الجانبين يضمن بقاءه سائراً محمولا



تنصرف تلك الالوف مساء الى ماويها بعضهم للطبخ والنفع وبعضهم للتدخين وقراءة الجرائد والروايات وبعضهم للمقاهي والملاهي وبعضهم لسمع الراديو والفونوغراف وينتشر مئات منهم في عرض الفلاة تحت سماء السودان يمتعون النفس بلطيف نسياته وبعضهم يغط غطيماً عالياً تسمعه من بعيد وبعضهم يعاقر الدنان او يقامر وبعضهم يصلي ويرسل التسابيح. على هذي الحال يبيتون الى الصباح حتى اذا كانت الساعة الخامسة صباحاً وقد صفر الصافر فتبعث تلك الالوف من لحودها وتسير مواكبها متراصة الى الخزان كأنها سائرة الى المغائم. على هذي الحال استمر القوم أربع سنين

والآن أمامنا الخزان وقد تم بناؤه. فلنتحدر عن الجبل، حيث بناية الري على ضفة النهر الشرقية. فأمامنا السد العظيم الفخم المتين مشيداً بحجارة الجرانيت، ممتداً في عرض النهر من الشرق الى الغرب نرى أوله ولا نرى آخره في أراضي غربي النهر. طوله ٥٠٠٠ متر وعرضه ١٨ متراً وعرضه ٥ ١/٢ متر وسطحه ٣٧٩ متراً فوق سطح البحر وأعلى منسوب مائه ٣٧٧ متراً وأوطاه ٣٧٠ متراً وأعظم عرض المياه حين امتلائه ٧٢٥٠ متراً وأضيقة ٢٠٠٠ متر حين انخفاض المياه ومتوسطه ٤٠٠٠ متر وهي تعمّر ٣١٤٠٠٠ فدان مربع من الارض أو نحو ١٣١٨ ميلاً مربعاً. وفي السد ١٧٨٠٠٠ متر مكعب من الحجارة الرملية و ٩٩١٠٠٠ متر مكعب من حجارة الجرانيت منها ١٧٨٠٠ متر مكعب منقوتة و ١١٥٠٠٠ متر مكعب من الاسمنت وزنها ٨٠٠٠٠ طن و ٣٠٠٠٠٠ متر مكعب من التراب ومجسم البناء ١٠٠٠٠٠٠ متر مكعب والركام ٢٨٤٥٠٠ متر مكعب وستائر الحديد ٨٠٠٠ طن. ونسير الآن على السد ٤٥٣ متراً على الضفة الشرقية وبعدها ٤٦٤ متراً هي السد الصامت الى الهويس ثم الهويس وعرضه ٦٠ متراً فعيون الماء وهي ٦٠ عيناً منها ١٠ مقفلة و ٥٠ مفتوحة ومداهها كلها ٦٦٢ متراً بعدها السد الصامت الغربي ٢٤٤٥ متراً بالستائر الحديدية و ٨٦٧ متراً بدون الستائر والستائر الحديدية جسور طويلة متداخلة طولها ٩ أمتار تغرز الى جانبي السد في الارض فتكون سورين بينهما بناء السد. وقد رأيتهم يدقونها في الارض بالمطارق الكهربائية وهي من أدق وأضبط صنوف البناء. والهويس طويل عريض بدع في وسطه مجاز السفن طوله بين البوابتين الحديديتين ٨٠ متراً وعرض الماء فيه ٢٢ متراً ومساحته كله ٣٦٨٠ متراً مربعاً ويحجز الخزان من مياه النيل ٣١٠٠٠٠٠٠٠ متر مكعب ويتبخر منها قبلما تصل اسوان ٩٠٠٠٠٠٠٠٠٠ متر مكعب ويصل اسوان ٢٢٠٠٠٠٠٠٠٠ متر مكعب وهي تكفي ري ٥٥٠٠٠٠٠ فدان

\*\*\*

وقد كمل بناء السد في اول ابريل الماضي يوم الخميس الساعة ١٢ ظهراً ولم يبق الاعمال تكميلية جزئية تنتهي بوقت قصير. وقد انصرف جميع المعارين وأكثر العمال ولم يبق الا عدد يسير منهم لانجاز ما تبقى وهو قليل



## ٤ — مغازي الخزان

رأينا ما هو الخزان . وعرفنا لماذا كان . وكم هي ثقافته . وعدد عماله . وأوصاف أقسامه . فإذا استفاد من كل ذلك ؟ ما ذا ترى البصيرة وراء مارأت الباصرة ؟ هذا هو البحث الجدير بشيخ مجلات العالم العربي . وأراني في الموقف القانوني اللائق بمؤرخ أقدس الجهود الانسانية . وأرى أمامي حقائق هي أجدر بالخلود من السدود والاهرام . ولا أراني أقوى على سردها كلها ، فأقتصر على الاشارة الى بعضها

أولاً : ان هذا الخزان ظاهرة ارتقاء من الناحيتين العمرانية والاقتصادية . فلا تقوى أمة منحلة على ابرازه . وهو مجلى المبلغ السامي الذي أدركه الانسان في تطوره وارتقائه ومما يتجلى لنا فيه

(١) فن المعمار (٢) فن الهندسة (٣) فن الميكانيكا (٤) الفنون الطبيعية (٥) نواميس السائلات (٦) نواميس الكهربائية (٧) الري والمساحة وقواعد الاقتصاد (٨) الشركات التجارية (٩) المبادئ السياسية (١٠) الائتلاف الانساني والتعاون الاجتماعي

كل هذي المجالي على جلالة قدرها انما تصور لنا فرعاً واحداً من شجرة الروح الباسقة . تلك الشجرة المباركة اصلها ثابت وفرعها

\*\*\*

ثانياً : ارى في هذا المسعى العظيم « حرص الانسان على كيانه » . يحول النشاط الانساني في المحيط الكوني الى أبعد الآفاق محاولاً إيجاد وسيلة ، او استنباط حيلة لضمان كيان . والحرص على الكيان اول الغرائز الانسانية واولاها بالاهتمام . ومن هذا الاصل الاول تنفرع نوازع حمة كالتدين والعمران والاقتصاد والنظام والاجتماع والشرع والتدين والشرف والوفاء والتآلف والتحالف والنجدة والايثار الخ .

فإذا اعترض الجهد الانساني عقبة في سبيله ، تحول دون فوزه بالكيان مباشرة او مداورة ، عمد الى التغلب عليها ، اما بشقها شقاً كما فعل بنفق سمبلون ، او بزحزحتها من السبيل ، او بالتفافه حولها والدوران بها بحيث يتسنى له استئناف سيره الاصيل كما تفعل الانهار في مجاريها . والحاجة ام الاختراع . وان حيلة الانسان احتفاظاً بكيانه تؤلف تسعة اعشار مساعيه العمرانية . وهذا الخزان احدى المحاولات الانسانية لضمان الكيان . هو استغلال الماء لاجل الحياة

وما استلزمه انشاء الخزان من علم وفن وصناعة وسياسة انما هو مقياس ما بلغ الانسان من المستوى العمراني والمدني

ثالثاً : يتجلى لنا في مسعى كالخزان « التضامن الانساني » والترابط الوثيق بين افراد



النوع ، ولا سيما بين السلف والخلف . مات بعض الذين كانوا يعملون في انشاء الخزان قبل انجازه . وسيموت اكثر الذين عملوا به دون ان يتناولوا شيئاً من ثمراته . والذين سيستغلونهم ممن سيولدون هم اكثر جداً ممن يستفيدون منه الآن . فسيستغله مئات الملايين ممن سيولدون في وادي النيل في عشرات القرون . فسعي الالوف ، وبذل الملايين ، على عمل يستفيد منه الحفدة وحفدة الحفدة هو ما اسميه « التضامن الانساني » . فانا نبني ونغرس لمن بعدنا ، كما بنى وغرس لنا من كان قبلنا . هذا هو خط الارتقاء الصاعد ، مجلى النشوء البديع ، هو استمرار الطبيعة في مجراها لحفظ النوع وسلامة افراده من غوائل الفناء

سيغص وادي النيل بالذراي ، فتضيق بهم الارض على رحبها ، وتنضب الموارد على وفرتها ، فترانا ملزمين باعداد المعدات وتوفير الوسائل الواقية والضامنة لمئات الوف السنين وهذي الجهود التعاونية لغز لا يفسر ، الا بانه « تضامن » . هذا هو الحل الصحيح لالغاز التعاون البشري ، منشؤه القطرة ، وتمدغمه المدينة والارتقاء

\*\*\*

رابعاً : الخزان في جبل اولياء حجة تثبت حق مصر في السودان هو حجة عملية راهنة لا يقوى مراء على انكارها . هو صورة اعتراف انكترا والحكومة السودانية بحق مصر في النيل وفي حوض النيل . والا استحال ان يؤذن لمصر ان تنشى خزاناً كهذا في غير بلدها ، وهو خزان تنحصر فوائده في القطر المصري دون سواه من الاقطار . تحجز فيه المياه لمصر كما تحجز عربات السكة الحديدية لاصحابها . ولكن حيز المياه في خزان جبل اولياء ليس استيجاراً بل امتلاكاً . فلم تستأجر مصر مياه النيل والمحيط حول جبل اولياء ، لاجل مسمى . بل هي صاحبة الماء وصاحبة المحيط حول ذلك الخزان . وقد أثبتت ملكيتها ذلك الموضع لاجل غير مسمى . وقد برهنت ببنائها الخزان على انها صاحبة السودان ، او انها والسودان قطر واحد وبعبارة الجرائد ان السودان جزء لا يتجزأ من وادي النيل . فالذين عارضوا في بناء هذا الخزان على اساس سياسي كانوا يكونون مصيبين لو كان السودان بلداً اجنبياً . اما وقد اعترف الداني والقاضي بحقوق مصر « التاريخية والطبيعية » في السودان وفي النيل فقد فات اولئك المعارضين ان انشاء هذا الخزان هو كبصم الختم على الحجة من الطرفين . فلا يبقى ثمة مجال للمرء في ان السودان لمصر ومصر للسودان ، او انهما بلد واحد وهو افضل التعابير وأصدقها فيلحصر على ذلك المصريون

\*\*\*

خامساً : واخيراً : بقي ان هذا الخزان مجلى ما بلغ المصري من الارتقاء . الجرائد مجلى نفسية الامة وخلقتها . ولكن الجرائد قد تكون مجلى غير طبيعي ، وقد تكون مجلى زائفاً او ملتبساً فلا يتمكن غير ثاقب النظر من ادراك الشأ والذي بلغته الامة بدليل جرائدها . اما الخزان فمجلى طبيعي لا زيف فيه ولا التباس . فقد بناه اربعمائة وثلاثون معماراً لم يكن



فيهم واحد غير مصري . وقد شيد باموال المصريين وادارتهم وحكمهم . فلم يبق ثمة ريب في علو كعب المصري . وكان المهندس المصري صاحب الكلمة في الخزان . فإذا تقول اذا عرفت ان هذا الخزان هو أمتن الخزانات بناء وافلها نفقة ؟ أولا ترى ان ذلك بينة ارتقاء المصري في اكثر من فرع واحد في شجرة العمران ؟

كان في جبل اولياء مئات من المصريين من مهندسين وملاحظين وكتاب وارباب ادارة وكان هؤلاء في احتكاك دائم بعضهم بالبعض الآخر وبالا نكليز . والاحتكاك المستديم في دائرة العمل لا يترك مجالاً للتصنع والزيف . فإذا كان من المصري ومن الادارة المصرية هل حدث بين المصري والا نكليزي خصام او جفاء ؟ وهل كان المصري دون اخيه الاوربي خلقاً ورجولة ؟ وهل كان في ادارة المصري شيء من التشويش والترطم ؟ لا وايبك . سل عنها خبيراً . فقد لاصقتهم سنين : ووقفت على امرهم في حالي رضاهم وبطشهم . فلم ار الا « مايزين » . لم تكن هنالك نفرة في سور الادارة المصرية . ولا نقص في خلقه ، ولا خلل في علاقاته . اربعة اعوام مرت ولم يحصل مشكل في الادارة او العلاقات ، لا بين المصري والمصري . ولا بينه وبين اخيه الاوربي . زد على ذلك انا لم نسمع ان احداً من اولئك المثبات اتى امرأ اداً . بل كانوا جميعاً مثلاً في المحامد والاخلاق ، من اكبر موظف الى اصغر تابع . وأتموا اعمالاً من اجل الاعمال وأوفرها خطراً ، ولم يتركوا الا ما يستوجب الثناء والاعتبار ، من الاجني قبل الوطني

\*\*\*

لقد طفت حول الكرة الارضية نحو خمسة اعوام ، ورأيت الشيء الكثير من بدائع المشاهد ومفاخر الامم ، في كل قطر وتحت كل سماء ، على اني لا اذكر مشهداً ابداع منظرأ وأشرف مخبراً من رؤيتي حلقة المهندسين في جبل اولياء حول زعيمهم المهندس المقيم عبد القوي بك احمد . وسمعت اشياء كثيرة ترفع الرأس ولكني لم اسمع افضل من اجماعهم على حبه واحترامه وتأييده في كل اجراءاته . فهذا التفاهم بين الرئيس والمرؤوس ، وهذا الاجماع بين التابعين في شأن متبوعهم ، مجلى ارتقاء وتسام لا يمكن الزيف محاكاته اما النزاهة التي تجلت في بناء هذا الخزان من جانب المهندس المصري مما يرفع الرأس كثيراً . هنا لا معارضة ولا اعتراض . ملايين من الجنهات أثققتها مصلحة الري في بناء هذا الخزان ، وكل جنيه ذهب في محله . ولم يتسرب منها شيء الى الجيوب . ولو ان المجال يأذن لي بأكثر من ذلك لما تلكأت . ولكن اللبيب تكفيه الاشارة . فقد ضرب المصري الرقم الاعلى في النزاهة والاتقان في بناء هذا الخزان فلم يبق للمنصف الا احناء الهامة امام هذا المجلى البديع الذي لسان حاله يقول :

إن آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار

جبل اولياء



## بين سبينوزا

وابن جبرول

لفيلسوفه هوسى

الفيلسوف الهولندي بنديكت سبينوزا عَلم من اعلام الفلسفة الحديثة له المذهب الخاص في الفلسفة والآراء والنظريات الثابتة التي لا تزال مرجعاً سامياً في الكثير من مباحث الفلسفة الى يومنا هذا حتى لا يكاد يخلو مقال فلسفي من الاشارة الى مذهبه او احدى نظرياته

ولد سبينوزا في امستردام من اعمال هولنده عام ١٦٣٢ وهو ابن احد التجار اليهود المثرين برتوغالي الاصل وكان قد قصد والده بتخريجه ان يكون يوماً مدرساً في اللاهوت بيد انه اذ لم يجد في تقاليد الآباء ومعتقداتهم الدينية ما يروي اولم نفسه الظامئة الى المباحث الحرة الواسعة ترك دين الاجداد وعكف على درس الفلسفة وخصوصاً فلسفة ديكارت فاضطهدهُ لذلك رؤساء الدين وطردوهُ من مجامعهم فاضطر اخيراً الى هجر امستردام واخذ يتنقل في بعض مدن هولنده حتى استقر اخيراً في الهاي حيث جعل يتعاطى بعض الاعمال لكسب معاشه ولبث فيها الى آخر ايام حياته

اما مذهبهُ الفلسفي فهو المعروف بالحلول Pantheism اي ان الكون هو الله والله هو الكون. والذي يهمننا من مذهبه في هذا المقال هو اعتبارهُ العقل والمادة واحداً او انهما وجهان او صورتان لمادة اصلية واحدة عامة . فالعقل والمادة متلازمان ابدأً فلا عقل بلا مادة ولا مادة بلا عقل . انما المادة في ذاتها ليست عقلاً ولا مادة . وعندهُ ان جميع الاشياء والمخلوقات فيها شيء من العنصر العقلي او الروحي وهذا ما ذهب اليه اريسطو قديماً من وجود عنصر روحي في سائر الكائنات الحية وغير الحية انما يختلف وجود هذا العنصر قوةً وضعفاً في الموجودات فهو في الجماد غيرهُ في النبات وفي هذا غيرهُ في الحيوان والانسان

ان نظرية سبينوزا هذه مبنية على نظرية التقابل التي مرّ تفصيلها في المقال السابق الذي



نشر في العدد الاخير من المقتطف تحت عنوان « العقلي والمادي في الفلسفة الحديثة » وقد وضعت هذه النظرية على أثر نظرية الفيلسوف الفرنسي ديكارت من ان العقل والمادة شيان مختلفان اختلافًا كليًا وليس بينهما شيء مشترك البتة ولا يوجد اي علاقة سببية او تفاعل بينهما، ومؤدى نظرية التقابل هو ان المادي والعقلي كل في دائرته الخاصة على ان كل حركة او حادث يحدث في الدائرة الواحدة يحدث ما يقابله في الدائرة الاخرى وذلك على تمام الدقة والوفاق . وقد تناول سبينوزا هاتين النظريتين وتوصل منهما الى هذه النتيجة البينة وهي انه اذا لم يكن من تفاعل بين العقلي والمادي وليس من علاقة سببية بينهما واذا كان ما يحصل في احدهما يحصل ما يقابله في الآخر على ادق نظام واحكام اذا لا بد من ان يكونا شيئاً واحداً او انهما خاصتان متقاربتان او صورتان متباينتان ظاهراً لا باطناً مادة واحدة اصلية مطلقة عامة . ويؤخذ من ذلك انه حيث تكون المادة فهناك العقل ايضاً وحيث يكون العقل فهناك المادة لا محالة فهما اثنان في الظاهر واحد في الحقيقة . وهذه هي الفكرة الرئيسية في فلسفة سبينوزا وهي اساس مذهبه الذي جعل له هذه الشهرة الطائرة في عالم الفلسفة

وقد اتفق لي ان عثرت مؤخراً في بعض تراجم الاعلام على مختصر سيرة الفيلسوف العربي ابن جبرول وفيها خلاصة وجيزة لمذهبه وآرائه الفلسفية نقلاً عن كتابه « ينبوع الحياة » الذي يتضمن حقيقة مذهبه ولم كان اعجابي بالفيلسوف العربي حين وقفت في تلك الخلاصة على نفس هذه الفكرة في العقل والمادة التي تعزى الى سبينوزا فقط . فعجبت ان لا يكون للفيلسوف العربي ذكر بهذا المعنى وان ينسب الفضل فيها كله الى الفيلسوف الهولندي بينا ان ابن جبرول سبقه اليها بما ينيف عن ستمائة سنة . وابن جبرول كما ورد في ملخص سيرته هو المعروف عند الافرنج باسم اويسبرون Avicbron العالم الفيلسوف اشتهر عند اهل القرون المتوسطة بكتاب سمي « ينبوع الحياة » ووثق به بعضهم فاتوا من كلامه بشواهد وعده آخرون كافراً وكانوا يجهلون حقيقة حاله ودينه فلا يعرفون هل كان يهودياً او نصرانياً او مسلماً وما برح مجهول الحال حتى عثر بعض الباحثين على نسخة عبرانية من كتاب « ينبوع الحياة » مترجمة من اصله العربي فعرف ان اويسبرون المذكور هو سليمان بن يهوذا بن جبرول المعروف عند العرب بأبي ايوب سليمان بن يحيى . وكان مولد ابن جبرول بمالقة في حدود سنة ١٠٢١ للميلاد وتوفي في سنة ١٠٧٠

وهذا هو نص العبارة التي تشف عن حقيقة مذهبه نقلاً عن ملخص الترجمة المشار اليها — ان الجنسين الروحاني والجسدي ليسا سوى نوعين من جنس ارفع منهما وهو المادة الموجودة في كل منهما وان المادة الهيولية والمادة الروحانية ليستا سوى جزئين من المادة العامة وان اراد



هنا بالمادة على مذهب الحكماء المشاة احدى علل الوجود وعنده ان مادة واحدة او جوهرأ واحداً يكون قياماً للعالم الارضي والعالم العقلي وقد استند في ذلك الى دليل قاطع فقال « انه مما اجمعوا عليه ( يريد فلاسفة اليونان وبالاخص زعماء الافلاطونية الجديدة ) ان العالم العقلي هو علة العالم الحسي وكل معلول لا بد له من بعض المشاركة لعلته في الطبيعة ولو لم تكن هذه المشاركة لا تمتنع حصول الفعل فان كان في كل شيء من هذا العالم مادة وصورة ولم تكن تلك المادة في العالم العلوي فكيف امكن تولدها وكيف يصح ان يقال ان علته في العالم العلوي ولا يصح الاعتراض بأن الجواهر الروحانية بسيطة وما سواها مركب لان بساطتها انما هي بالنسبة الى ما كان من دونها من الجواهر ولكنها مركبة حقيقة بالنسبة الى وحدة الخالق المطلقة ». وبالجملته انه اعتبر وجود مادة واحدة عامة في كل موجود حاشا الخالق وان هذه المادة هي قيام عالم الارواح والاجساد . يتضح من هذه العبارة ان ابن جبرول كان يعتقد بوجود مادة واحدة عامة لا نوعين من المادة كما كان يظن فلاسفة عصره والذين تقدموه وهو عين ما ذهب اليه سينوزا على انه وان يكن ابن جبرول قد توصل الى هذه النتيجة من غير الطريق والدليل الذي توصل منه سينوزا فالنتيجة واحدة كما لا يخفى ولا عبرة بالطريقة الاستقرائية فلكل طريقته الخاصة . ولقد رجعت بعد اطلاعي على مذهب ابن جبرول هذا في المادة الى مشهوري فلاسفة اليونان مثل افلاطون وارسطو وزعماء الافلاطونية الجديدة الذين اعلم ان فلاسفة العرب نقلوا عنهم الشيء الكثير على اقف على اثر هذه الفكرة في مذاهبهم وآرائهم فلم اقف على شيء من ذلك فأيقنت ان الفكرة هي من بنات افكار فيلسوفنا العربي الكبير وقلت انه من الظلم ان لا يذكر بالفضل ذوهه . وليس من قصدي الخط من مآثرة الفيلسوف الهولندي الكبير ولكن ارى من الواجب انه اذا ذكر اسم سينوزا بهذا الصدد ان يقرن الى ذكر اسم ابن جبرول . وليس اسم ابن جبرول بالجهول عند فلاسفة الغرب فقد كان له مناظرات ذات شأن مع اكبر فلاسفة الاجيال الوسطى اعني القديس توما والبرت الكبير<sup>(١)</sup> وغيرهم فليس بالمعقول ان يكون الغرب يحفل آراء ابن جبرول

\*\*\*

اما خطر هذه الفكرة وقيمتها الفلسفية فهي انها جعلت المبدأ العقلي والمادي في مستوى واحد بعد ان كان العالم لا يفكر الا بالاشياء الحسية فأفسحت الفكرة مجالاً للمبدأ العقلي وأصبحها حقيقة

(١) القديس توما هو الفيلسوف توما الاكوييني الشهير وقد كان هو واستاذه البرت الكبير من اشد خصوم ابن جبرول غير ان روجر باكون الفيلسوف الانكليزي كان من انصاره وقد قبل آراء ابن جبرول بجملة ما بعد ان عدل فيها قليلا ورد بحماسة على من ناقضه



ملموسة بعد ان كان يغشاها الشيء الكثير من الغموض والابهام . ولم يقف الامر عند هذا الحد فان متبع الآراء الفلسفية في ادوارها المتسلسلة لا يلبث ان يلحظ ان المبدأ العقلي اخذ بالتقلب رويداً رويداً على المبدأ المادي حتى كاد يلاشيه من عالم الوجود كما يظهر من فلسفة شلنغ وهيغل وفيخته وجميعهم من اعظم الفلاسفة المحدثين . وقد تبنين معاني مقال « العقلي والمادي » ان الفيلسوف ليبنتز قال باجتماع العنصرين في الجوهر الفرد الا انه حكم بتغليب العنصر العقلي على المادي وتقدمه عليه . ثم ان الفيلسوف الالماني كانت جعل القوة الادبية او الضمير الانساني لباب الوجود . كما جعل نيتشه القوة . وشوبنهاور الارادة . وسبنسر القوة المجهولة . وكل هذه من الامور المعنوية العقلية كما لا يخفى . اوليس ان في الرأي العلمي الحديث تنازع البقاء ما يشف عن معنى ارادة البقاء وحبه ؟ أليس هذا ايضاً من الامور المعنوية العقلية ؟

وللفيلسوف العربي ابن جبرول آراء وافكار غير هذه جدرة بكل اعجاب ولها قيمتها الفلسفية الخاصة . فقد ورد مثلاً في خلاصة مذهبه هذه العبارة : « ان المادة الطبيعية اي الجوهر المنتشر يتحرك ليتخذ صورة العناصر الاربعة ( اي الهواء والماء الخ ) ثم يرغب في اتخاذ صورة الجماد ثم النبات ثم الحيوان ثم يطمح الى الامتزاج بالعقل والارتقاء الى ذلك العقل العام الذي هو منتهى كل الارتقاء واليه تنتهي كل حركة » . أليس في عبارته هذه دلالة واضحة على مذهب الارتقاء من المادة الترابية الى جوهر العقل الانساني . اوليست هذه هي الفكرة الرئيسية في مذهب هيغل في مادة الكون والارتقاء الدائم ذلك المذهب الذي كانت له السيادة التامة حتى اواخر القرن الماضي ولا يزال له شأنه الكبير الى يومنا الحاضر ؟ ولا سيما ان ابن جبرول يذهب الى ان « المادة هي قوى روحانية عقلية الطبيعة غير حسية لا يتيسر ادراكها بالتصور » فكانه وضع بقوله هذا جريئمة المذهب الروحي الذي كان جوهر فلسفة الفلاسفة الالمان من عصر كانت الى هيغل وهارمان وشوبنهاور

\*\*\*

هذا ما أردت بيانه اقراراً بفضل هذا الفيلسوف العربي الكبير ورغبة في تعريفه الى أبناء العربية في مختلف الانحاء . وانه لمن دواعي الاسف الا يكون أبناء الضاد يعرفون من أمر نوابغهم أكثر مما يعرفون ولكن لا أقل من أن يحيا ذكر أولئك النوابغ العظام في أذهان أدباء العربية وأبنائها المثقفين . أليس لارباب الفلسفة والحكمة المشرقية إسوة بأرباب الشعر الذين زوي أشعارهم ونجل آثارهم



من الادب التركي

# وكانت الذئاب تعوي

للكاتب التركي حسين جاهد

نقلها نفوس شكري

جرى ذلك في الغابة ، عند الهزيع الاخير من احدى ليالي الخريف اذ كانت الذئاب تعوي  
وكانت الاوراق الداوية تنفصل عن الاشجار بتؤدة كما تتبدد احلام المرء اذا صاح من  
نشوته ، وتسقط على رؤوسنا بحفيف يشبه الزفرات القصيرة . فما أتمس نهاية احلامنا ؟  
وكان ذلك الخريف حزينا ، يبكي وينتحب في الظلام خلال الاغصان مع الحشرات الاخرة  
التي كانت تأوي الى بعض الشقوق والثقوب فتموت هناك او تقضي تحت قشرة جافة تنأت من  
جذع الشجرة قليلاً

وكانت الذئاب تعوي

اما عواؤها فهو طوراً تهديد كأنه دوي عاصفة بعيدة ، وتارة شكوى الغضوب العاجز  
فينتشر فوق الاشجار الساجية هنيهة ، ثم تعود تلك الظلمات الى سكونها ، وينقطع دوي الحشرات ،  
ويملك الليل نسمانه فتتنفس بهدوء تنفس الخائف الحذر

النار تضطرم ولها زفير ، ولهبها المترجرج لم يكن لينير جذوع الاشجار المجاورة ، واضواؤها  
المضطربة تنفرس في الظلام الدامس المقنط كأنها عينا طفل مروع يحرق في السواد البعيد  
ليسبر غوره ، وليس له جرأة على التقدم خوفاً من الظلام ورهبة للمجهول . والى جانب  
النار يضطجع احد رفيقي في ردائه الواسع وينام نوماً هادئاً ، وهو رجل جميل قوي لا يظهر  
منه في ذلك الرداء غير وجهه . والآخر شاب هزيل عصبي جلس ازانى واخذ يلقي في النار  
قطعاً من الخشب بدون انقطاع . وكان قد فرغ من سجنه حديثاً وعدنا الى حياة المغامرات في  
الحراج والوديان والحيال ، فنحن احياء ابدأ وهاربون ابدأ

طوق صديقي الشاب ركبتيه بذراعيه واخذ يلقي على النار نظرات حزينة من مقلة جامدة



كأنه يقرأ لغة اللهب . وكان يتابع حركات النار حتى اذا تحول الوقود رماداً تناول غيره  
والقاه في النار ، وعاد الى تطويق نخذه يديه وتأمل بعيني مفكر وبتنا صامتين . عوت الذئاب  
ايضاً عواء شديداً مخزناً حتى اعتقدنا ان ضوء نارنا يزعمجها فقمهم حولنا مضطربة مضيقه حلقانها  
قال رفيقي : ما أقبح هذه الوحوش فأجبت : لقد خافت النار

قال : كلا . ولكن العالم ضيق حتى على الحيوانات فليكن ملعوناً  
فشعرت ان الماء عميقاً يهيج في صدره ، وكان وجهه مصفراً تقع عليه اضواء النار فيصبح كأنه  
شبح من الاشباح . ولاح لنا ان الكلام متعذر فاستولى السكوت ثانية . ثم عاد صديقي الى الكلام  
بعد هنيهة فقال وهيئته تدل على انفعاله : أتعلم اني تعب اود ان انام نوماً طويلاً عميقاً  
فقلت له : نعم انت وانا اقوم على الحراسة

فتمتم قائلاً بلمحة التوبيخ : ايها الحديث . انك لم تفهم مراحي . اريد ان اقول لك نوماً  
طويلاً بدون يقظة . نوماً ابدياً

— ماذا أصابك ؟ — اني تعب . تعب جداً من الحياة . بعد السجن ؟ وفي الحرية ؟  
نعم بعد السجن وفي الحرية . افـ لهذه الحرية !

— هل تعلم كيف فررت ؟ — اعلم انك حر وحسي ذلك فلا اكثر للبقية  
— ولكن البقية هي التي تم ايها الرجل الساذج . انها هائلة . وهذه الحرية على ما ترى  
أضيق من السجن . أصغ اليّ فسأقص عليك كيف نجوت من السجن ومتى وعيت كلامي فأصير  
حكمك العادل وقل لي هل انا مجرم ام لا

وعوت الذئاب من جديد

هل سمعتم؟ هذه الوحوش الضارية تقوم بمجازة حريتي وشكواها لا تتغير ابداً : العالم ضيق ، ضيق ، ضيق !  
انك تعرف ان ولادتي كانت شؤماً على والدي وان اللعنة لحقتني من المهد . أوقفت مرة  
لفراي من الجندي وكان عليهم ان يسوقوني بعد بضعة ايام مغلولاً الى مقر الحكومة لمحاكمتي .  
فيجب علي ان افر اثناء الطريق واتخلص من الحراس الذين يرافقوني . وليس لي من سبيل  
آخر . ولكن كيف انجح ؟ هذا هو الفكر الذي ضععت حواسي وجاشت له نفسي كانها  
عصفور في قفص يضطرب ويختلج . اما الحارس الذي كان معهوداً اليه في حراستي فهو صديقي  
وكان يدي لي رقة وعطفاً فسألني بصوت منخفض : ألسنت نائماً ؟ — كلا

انك تفكر في والدتك دون شك . مسكينة تلك العجوز . ثم ابتعد عني وبعد برهة عاد اليّ  
ولكنني عن والدته التي تعيش في بلاد نائية وما زالت منذ سنوات تتوقع عودته  
قال : ولنكد الطالع ان اخي الاكبر في الجندي وقد دعني الى الخدمة هو اليوم في ساحة



القتال . اظن ان هذه الحرب المشؤومة لن تنتهي . كم قتل فيها حتى الآن ؟ وما هي الانباء التي تأتينا عنها ؟ ومن يعلم ماذا يحدث ؟ ثم ان لاجي زوجة هي أم مسكينة . امرأتان بدون رجال وبدون معونة ، فقيرتان لا تملكان ارضاً . الجميع عندنا فقراء . آه . ان فقرهم مدقع وليس لهم ارض زراعية . وهكذا كان يحدثني عن احواله وأحديته عن والدتي وكآبة سجنني وقيدودي ، ويحدثني عن خدمته العسكرية واخيه واسرته البعيدة . وخم حديثه قائلاً : الحياة قاسية يا اخي فأجيبته : نعم قاسية جداً . ثم عاد الى تمشيه وعدت اعد خطواته ربما يدركني النعاس . ولكن الفكر الوحيد الذي كان يدور في خلدي هو : أيا يطلق علي النار اذا هربت ام لا ؟ وكنت اتشوق لمعرفة الحقيقة فحدثت عندئذٍ حادثة غير متوقعة انت كجواب على سؤال المتقدم . فني احدى الليالي استولت الرهبة على السجن اذ اطلق الحراس طلقات عديدة فاجبهم الجنود في سائر الانحاء باطلاق قذائفهم بشدة وعنف وسمعنا عقب هذا الدوي ضجة ومخادبات وإيماناً واوامر خيفة وقعقة سلاح وصرير ابواب وعويلاً . وفي اليوم التالي كبلوا بالحديد ارجل معظم الموقوفين وكنت انا من جملتهم وعلمت ان اثنين من السجناء حاولا الفرار بعد ان نقبا سقف غرفتهما ولكن مشروعهما جبط

ولكن على الرغم من ذلك كنت افكر في الفرار . ولا مندوحة عنه للخلاص . ولكن كيف ؟ هذا السؤال استغرق افكاري وبلبل خاطري وتمثل لي في الف شكل يباين بعضها بعضاً وبينما انا افكر في كل هذا اقترب الحارس ثانية من بابي وسألني . ألم تم ؟  
كلاً — لم أستطع ذلك فالحر شديد وقد أفلقتني هذه الاحلام المشؤومة . فتمتم الحارس قائلاً بصوت متلجلج : الاحلام المشؤومة ... نعم يا اخي نعم ... آه . فلنكن الحياة ملعونة .. أف ! قال ذلك وفي صوته رنة ألم غير عادية فعرفت انه حزين بك يشرق بدموعه فسألته : هل جاءك انباء مشؤومة من اسرتك

— لقد قتل اخي ... كتبت اليّ امي بذلك .. ما اشدّ يؤسك ايها العجوز ! نعم يا اخي نعم ... ان الحياة مرة ... ولم يستطع ان يتم حديثه لانه أجهد بالبكاء فابتعد عن بابي في الرواق بخطاه المنتظمة ذات الوقع الحاد . وكان يحمل على منكبيه مع سلاحه حزناً لا يوصف فنسيت ألمي وشرعت افكر في حزن صديقي . انه يبكي ولكنني اذا هربت قتلتني قبل ان يحفف دموعه لان حراستي موكولة اليه وعليه ان يسهر كي لا يشتد صريف سلاسله ، وليبقى السجن ضريح التأثرات والعواطف والآمال . وقطع الحديث على صديقي سقوط أوراق من الشجرة كان لها حفيف شديد . وفي تلك اللحظة مرّ بنا ذئبان يتقاتلان ويثبان فأمسك صديقي بيندقيته وسدّدها وأطلق النار . فعوى الوحش المصاب عواءاً ألماً وصرخ صراحاً مزعجاً ثم صمت فاستيقظ رفيقنا



النائم ووضع يده على بندقيته فقال له رفيقه : نم لا تجزع فاني قتلت ذئباً . فقلت : لقد قتل الذئب فان عواءه كان حشرجة الاحتضار وذلك خبر له . ألم أقل لك ان العالم ضيق ضيق على الجميع ثم ضحك ضحكاً غريباً وزج في النار وقوداً وأتم حديثه قائلاً : لم أستطع أن أجد وسيلة للفرار فتركت ذلك للاتفاق وفوضت الأمر للاقدار وما أخطأت في ذلك ففي ذات يوم سلمني صديقي الجندي كتاباً ففضضته وإذا هو مكتوب فيه : سيقودونك غداً فحاول ان تجلس لتستريح على ضفة النهر في الحرج

مزقت الورقة ولكن الكلمات رسخت في دماغي كأنما طبعت بحديد محي ولم انقطع عن زديدها . ولكن من كتبها ؟ كنت أجهله . لم يتضح لي سوى شيء واحد وهو ان رفيقي في الخارج يفكرون في انقاذي وان جلوسي الى ضفة النهر في الحرج قد يكون له في خلاصي شأن خطير وأخيراً قادوني من سجنني الى الموت او الى الحياة يخفري جنديان وخواطري المظلمة لا تفارقي . وكنت أسحب سلاسلي بخطي ثقيلة واتفق أن احد حارسي كان صديقي ذلك الرجل الا صعب الشعر الحزين الطلعة والاخر رجل طويل القامة مكفهر الوجه تبرهن كل حركة من حركاته ولا سيما نظراته القاسية على نفس ما عرفت الخنان فلم أحفل به واكتفيت بمقته دون ان أبدي له ما أحس به نحوه . وكان صديقي يشغل خاطري وبدلاً من أن أسرّ باصطحابه إياي شعرت عند نظري اليه بقشعريرة خفيفة عرتني . ولو أمكنني لناديته قائلاً : لا تصحبي يا صديقي . أضرع اليك ألا تصحبي . وكنت آتئذ أشبه جواداً أجفله كتلة مشعثة سدت الطريق فهو يقفز ليجتاز من جانبها ولكن فارسه يرغمه ان يجتاز عليها . لقد روعني حضور ذاك الصديق لكن ربما كان لي في صحبته فوائد جلي . فهو يعطف علي ولا يهوي على منكي بحديد بندقيته اذا تعبت وقصرت في السير . على انه أياً كان فهو حارسي ويطلق علي النار اذا حاولت الفرار . . . لقد خطر لي كل هذا ولكنني برغمي وددت لو انه لم يكن من حفاظي وأن يحل محله رجل مجهول لا أعرفه ولا بادلته حديثاً

وبعد ان سرنا كثيراً عدت القوة فلم أستطع السير . وعندها سألتني صديقي الجندي : هل تعبت ؟ فتستمت بعسر قولي : نعم ان السير قد أنهك قواي وسكت لاني خشيت ان يفضحني صوتي المرتجف فقال وقد عرج عن الطريق الى احدى الاشجار الباسقة الضخمة : فلنستريح قليلاً وما لا ريب فيه ان صديقي كان تبعاً جداً فجئنا بجاني بينما كان الآخر يمشي امامي طويلاً وعرضاً وبندقيته على منكبه فألقيت الى ماحولي نظراً خفياً وحاولت ان اخرق بنظراتي الاعشاب الملفة لعلي اقع على اشارة اهتدي بها فلم ابصر شيئاً . ثم أرهفت سمعي لعلي اسمع حساً او ركزاً فلم اسمع شيئاً فقلت : لم يكن الكتاب الا خدعة او ان المشروع جبط



وكان الجندي القائم بالحراسة يتطلع تارة الى ما حوله ويحدق بي طوراً ويصيح بسبعه هنيهة ثم يعود الى مشيته وبعد لحظة قال : فلنسر ، حسبنا راحة وعلينا ان نبذل الجهد لنصل في الموعد المعين . فقال الآخر : ايه فلنسترح . واضطجع على العشب آمناً . وفي تلك اللحظة ومض برق من الغابة ودوى الرصاص فأبصرت الجندي الواقف يختلج ثم صرخ صرخة ورمى البندقية التي كان يمسكها بيده وانقلب كجذع خاوٍ فارتجف المضطجع بجانيه وأمسك بندقيته وحاول ان ينهض فاندفعت عليه بعامل لا اعرفه وقبضت على عنقه بيدي . انا فوقه وهو تحتي والنفقا كاتا أرقمان سامان يحاول كل منا ان يهلك الآخر . وعدت لا ابصر شيئاً . ولم اشعر في تلك اللحظة الا بشيء واحد وهو انه من الواجب علي ان اقتل الرجل الذي يخطب تحتي في حياته الموت والمشقة والقضاء المشؤوم . وقد ضعف ساعدي عند سماع اينه وحشرجه غير انني كنت اعود الى نفسي فأزيد في الضغط والنشب غاضباً في عنقه مخالب حديدية

قارب النزاع الهائل نهايته وضعت حشرجة خصمي . ثم فقدت ساعدها القوة فألقاها بجانبه وتدفق من فمه وانفه دم غزير لزج وجمدت عيناه وظللت اضغط على عنقه حتى شعرن برجل يجذبني من يدي فهضت مرتعداً وسمعت صوتاً يقول لي : دعه فانه قد مات . وتطلعت فرأيت رجلاً واقفاً فوقى وهو الذي ترصد حراسي خلف جذع شجرة وقتل الاول بقدبة من بندقية فتألمته دون ان اعرفه فان ظلمات تراكت في نفسي واظلمت عيناى فكنت ألهث ولا أفرقه ما يجري ولم أبصر سوى الجثة الممتدة امام عيني . ولم أفهم كيف حدث كل ذلك . فقال منقذي : هلم بنا . مالك واقف متحجر وليس لنا وقت نضيعه . انهض لننتقل الى الغابة وعلينا ان نزع الجثتين من الطريق . فلبثت منهوك القوى غارقاً في الاحلام وشعرت كأنني عدت الحياة وانه ليس لي وجود بل تلاشت وشاهدت منقذي يجر احدى الجثتين على التراب والاخرى من بعدها الى اعماق الحرج ثم عاد اليّ وقال : هيا بنا ايها الوحش الحامل ما ابلدك !

فأجبت : اقتلني فلست أقوى على الحياة . وعندئذ أدخل يديه القويتين تحت ابطني ورفعي . وبعد قليل كنا في الغابة قرييين من الموضع الذي دفنا فيه الجثتين . فركمت بجانب جثة صديقي الجندي . لماذا ؟ هذا ما لا اعرفه . وحسبت في تلك الحال انني لا استطيع مبارحتها

وطرق سمعنا صوت جري بعيد ثم استطعنا ان نرى من خلال الاشجار عربة يجرها اربعة من الحياض وفيها فتى وفتاة ضاحكان سعيدان يتجاذبان اطراف الحديث والفتاة تمس وجه الفتى بقصن اخضر فيقمههان . وكان الحوذي ايضاً متلهلاً يستحث جياده ويقرع بسوطه . ولم يهج بي مرأى الحياة وافراحها قبلاً ما هاج بي من السخط والحلق آثم وشعرت انني قادر ان اخرج من مكمني وانقض عليهم فأهلكهم جميعاً وحيادهم المظلمة



ابتعدت العربية بسرعة واستولى الصمت على الغابة فكشنا وحيداً ازاء ضحايانا وجريمتنا .  
 وكان صديقي قد كسر قيودي قبيل ذلك ولكنني لم افكر في نزعها وأحسست كأنني مرتبط  
 بالجتين — ولا سيما باحدهما — فلن استطيع الفرار . وكنت اصدق فيه وأفكر في تلك العجوز  
 المسكينة التي تبكي ابنها الوحيد في بلدها النائي حيث الجميع اشقياء مكتئبون . انها تتعجب  
 على ميت واحد وعليها الآن ان تضاعف عبراتها ولكنها لا تعلم شيئاً ولا تزال تجهل  
 حادثته . وهذه العبرات ...! وهذه الدماء كلها سفكت لاكون حراً ...! لاشك في ان امي ستبهج  
 بفراري اما الام الاخرى المحبولة فعلها ان تبكي . وقد وجب ان يقتل ابنها تحت سماء غريبة  
 لكي احيا انا، ويسر قلب والدي . فما هذا التناقض في الحياة ! عند ما ينبغي هلاك واحد فهل  
 تهنا معرفته وعندما ينبغي لأم ان تذرف الدموع فلماذا يسألون من هي ... هذه الارض  
 ضيقة ضيقة جداً على الحرية .. وقد انقذتني الظلمات في الليل حيث حجبت عن عيني الجتين .  
 واستمر النهر في تحييه جائشاً مزبداً منحدرأ في المهوأة ملاطماً الصخور بدون فترة لكي يكتسب  
 شيئاً من الفسحة وشيئاً من الحرية التي لا يستطيع نيلها الا بتدمير ضفتيه وطيانه على الارض  
 يحمل الدمار والموت . وكنت حينما التفت أجد مشهداً واحداً مشؤوماً في الطبيعة : لا بد من التدمير  
 والقتل لاحتراز الحرية . وذكري رفيقي انه يجب علينا الرحيل وعند ما تخلصت من سلاسل شعرت  
 ان حملي أثقل وأوجع مما كان وأنا مقيد مغلول

وكانت الذئاب تعوي كما تعوي اليوم

كنت حراً ولكنني لا اعلم ماذا اصنع بتلك الحرية المشؤومة وتراعى لي كأنني ضللت في  
 الغابة زمناً طويلاً وسدرت في ظلمات الليل . الغابة والليل كلاهما ليس له ابتداء ولا انتهاء  
 كلاهما اسود كالحياء ، مملوء بالجنايات كالحياة

خشخش العشب الجاف ومراً امامنا ارب منهنم امام وحش ضار فتضجرت وقلت : المشهد  
 ذاته . كل خليفة في العالم تنازع وتفترس خليفة اخرى

ثم سرت مترنحاً في الظلام فاصطدمت بالاشجار وكنت أسقط على الارض فأنهض لأسقط ثانية  
 وما انفك النهر يدوي كهزيم الرعد ، والظلمات تستقر على منكبي كاعباء باهضة ، والذئاب وراءنا  
 ما برحت تعوي . والآن يجب أن أسير وأتقدم في طريق الوجود الوعرة الشاقة فاني أصبحت حراً ..  
 وصمت الرجل عندئذ وشرع يقلب الرماد بقطعة من الخشب ثم قطع الدمع عليه الكلام فشقق  
 بالبكاء . خدث النار ولم يبق منها غير الرماد ، وخيمت الظلمات فوق رؤوسنا ، وكانت الاشجار  
 تناجي هامسة فبقيت صامتاً لاني لم اجد كلمات أعزي بها رفيقي

وكانت الذئاب تعوي ...



# مهمة الحكومة

في التربية

لعلى حسن الرهاكع

— ٢ —

في الجزء الثاني من المحاضرة<sup>(١)</sup> عالج المحاضر مشكلة المركزية واثرها في التربية والتعليم علاجاً مفصلاً ببض التفصيل ورأيه في هذا الصدد ان عمل المدارس المصرية لم يكن تربية بالمعنى الصحيح بل كان اعداد الشبان اعداداً آلياً للنهوض بمهام الوظائف الحكومية فنشأ عن ذلك حصر الجهد في حشو الذاكرة والاستظهار وسيطر على المدرسة ذلك المنهج العسكري الذي يحدد كل ما يقال وكل ما يكتب وكل ما يحفظ علاوة على توحيد في جميع انحاء القطر على اختلاف الاحوال وتباين البيئات. ثم يتبين أثر ذلك في الطالب والمدرس والناظر والمفتش

فالمدرسة أصبحت ديواناً لا حياة ، وضاعت شخصية المعلم والمدرسة في التماثل الآلي المفروض وأصبح الناظر القدوة من يحفظ المنشورات والنشرات بالرقم والتاريخ وينفذ الاوامر الصادرة اليه مهما تتنافر مع احوال المدرسة التي يشرف عليها . قال : « ولن أنسى صديقاً وزميراً حظي بتقدير الهيئة الرئيسية كان لا يصرف للمدرس نصف فرخ من الورق الا اذا كتب الطلب على نصف فرخ من الورق نفسه ! . واعرف مقشاً كان يهدر التهاركله في عد ورق النشاف واسنان الريش » . وغدا الطالب اشبه ما يكون بقاءورة يصب فيها كل معلم ما اعدّه في جعبته من غير ارتباط بين الحقائق المختلفة والاساليب المتنافرة حتى رياض الاطفال . وبدلاً من ان تكون مدرسة القرية مزرعة فيها حقولها وحظيرة مواشها فاذا هي على ماشاهد بنفسه طائفة من التلاميذ اجتمع الذباب على اعينهم وهم يتلون عن ظهر قلب أحدث ما عرف من قواعد الصحة في النظافة واعراض الرمد ووسائل الوقاية منه واذا طائفة اخرى من الطلاب في فصل آخر يصغون الى محاضرة للمدرس في نبوليون !



والشأن الاول في التربية احكام الاتصال بالحياة ومن هنا وجوب العناية باعداد المربي للقرية ، فهو في القرية ليس مربيًا للنشء فحسب بل ينبغي ان يمكن له الاشتراك في انماضها بتحسين حالتها الصحية والاجتماعية لانه ومدرسته مصباح الثقافة والرفق الذي يشع في القرية وختم المحاضر محاضراته بما يلي : —

### الخطبة العملية للإصلاح

الآن وقد فرغت من بيان المشكلات ووجهات الإصلاح عامة اختم المحاضرة ببيان عملي للإصلاح يضم ما تتأثر من البحث . وقد سبق ان بينت التردد والترقيع الذي اخذت به الوزارة في حركات الإصلاح الماضية . ولا زلت أخشى على النزعات الشريفة التي برزت أخيراً على لسان معالي الوزير ورجاله ان تنحدر بفعل الروح المتسلطة . وفعلاً لا ارى في آخر تصريح عن الامر كزية نشرته الصحف الا اصلاحاً محدوداً في سلطات الرؤساء لا يتصل بالامر كزية في الامور الحيوية . فالمناهج المقدسة والخطط والمقررات هي هي بصورتها وقديستها اما عن المؤتمر المنشود فأخشى ان يتمخض عن مجموعة طريفة من المحاضرات التي تعلن عن ملقيها وتنفس عن سامعيها ، تطبع في كتاب جميل تصدره السلسلة المألوفة من الصور للشخصيات البارزة

واظنني في غنى بعد ما افضت فيه ، عن بيان خطر المشكلة وهي تشمل بناء الامة المقبلة وما يتطلبه من انقلاب اساسي . ان الامر لا يقتصر على وزارة المعارف واختصاصها ، بل ولا على الهيئات التربوية المحلية التي سأذكرها وعلى رأسها المدرسة نفسها ، بل يجب ان يمتد العلاج بحكم ما للموضوع من الشأن الى خارج حدود وزارة المعارف كوزارة الصحة والادارة ونواحي الحياة الحرفية من زراعة وصناعة ومجارة ومال . واذا قال المسترمان في تقريره ان كل ما ينفق على التعليم الاولي انما ينفق في تحسين الصحة العامة فاني ازيد على ذلك بأن كل قرش ينفق على التربية الحقة انما ينفق على زيادة ثروة الامة . كما يجب نشر الوحدات الرياضية وممتدياتها . وحذا لواخذت الحكومة بنظام ال Dopolavoro الايطالي

لذلك ارى ان يعقد مؤتمر بمرسوم ويكون برئاسة وزير المعارف ، وقوامه بعض الوزراء ولا سيما وزراء المعارف السابقين ثم كبار رجال الأعمال ورجال التربية على ان تشكل لجان فرعية تقبل على البحث الفرعي ثم تعرض النتائج العامة على المؤتمر لتأخذ دورتها التشريعية وتكون مهمته وضع السياسة الجريمة للتربية بعد ان تمتد الى آفاقها الجديدة . بل ان شئت



فقل وضع دستور هبريد للتربية المصرية غير مقيد بنواحي الاصلاح الصغيرة التي شغلت الوزارة والتي تعالج الاعراض دون العلة الاساسية وأرى ان توضع المبادئ الآتية أمامه كقواعد مبدئية للبحث . وهي أمور طالما ناديت بها عبثاً :

أولاً — تسمى وزارة المعارف « وزارة التربية »

ثانياً — ارجاع مجلس المعارف الأعلى ليحكم الاتصال بين الحياة وسياسة التربية على ان يسمى « مجلس التربية الأعلى » ايضاً . وقد كان هذا المجلس قائماً من قبل لانه من مقتضيات النظام الفرنسي نفسه

ثالثاً — توحيد التعليم العام بالقضاء على تصدعه بين الأولي والابتدائي ووصل مراحلها بعضها ببعض ، وذلك بأن يبدأ التعليم العام لجميع الطبقات بالأولي بعد تعديله ، ومنه الى الثانوي الذي ينبغي ان يمتد في أوله حتى يتغذى هو والفني العادي والحرفي والديني من الأولي مباشرة . اما الخاصة الذين يرغبون لا ولادهم في تعليم ممتاز ، فالى ان يحين الوقت الذي يرقى فيه التعليم الحر الى القيام بهذه المهمة على نفقة الخاصة انفسهم ، لا بأس في تخصيص مدارس لهم تغطي معظم نفقاتها بما يوفيه الطلاب

رابعاً — تقسيم التعليم العالي الى قسمين الثقافي المحض الذي لا يرمي الى حرفة معينة ويجب تيسيره تمكيناً للمساواة وتيسيراً للنبوغ الادبي مع تفهيم الرأي العام حقيقته من حيث بعده عن الاكتساب الحرفي المضمون . والقسم الآخر الحرفي ويجب ان يقيد انتاجه بما يزيد قليلاً عن الحاجة على ان يكون انتاجه الكامن أهلاً للزيادة الكبيرة عند الطوارئ ، على ان يضمن لمتخرجيه العمل بصفة عامة

خامساً — تنفيذ اللامركزية والاقليمية على الوجه الآتي الذي يقرب في كثير منه من النظام الانجليزي وهو متوسط بين تطرف الولايات المتحدة في اللامركزية وفرنسا في المركزية توضع غاية بعيدة تدرج في الوصول اليها . هي نزع ادارة المعاهد كلها وبألوانها من وزارة التربية . وبذلك تتفرغ الوزارة الى توجيه التربية القومية والاشراف على الهيئات التربوية المحلية وتغذيتها بالارشادات الفنية والاحصاءات والمعلومات . ويقسم القطر الى مناطق تربوية تشمل كل منطقة وحدة او اكثر من الوحدات الادارية بعد ان تدخل القاهرة وسائر المحافظات فيها . وعلى رأس كل وحدة رئيس عام بادارة محلية في نفس الاقليم . على ان يشرف على التعليم العام المحلي بجميع انواعه من ثانوي وحرفي وأولي وعلى ان يترك للمعاهد المحلية اكبر قسط ممكن من الحرية في وضع خططها ومنهجها ومقرراتها والتصرف في ميزانيتها وتوزيع



العمل فيها على ان يحكم اتصالها بالبيئة المحلية ، ويتحول التفتيش الى ارشاد وتعاون  
سادساً — يخفف عبء القيود المالية عن الطلبة. واذا ادر كننا ان التعليم العام بأنواعه في اميركا  
واليابان ومعظم بلاد اوربا اصبح مجانياً كان من التواضع ان يقصر في مصر على الاولي الجديد .  
وتقصر المجانية عامة على التفوق على ان يخصص للاحسان هيئات خاصة . ويؤخذ نظام  
ال Scholarships أي تسهيل سبيل التعليم من الناحية المالية للمتفوقين في امتحانات معينة  
سابعاً — انشاء صلة تعاونية صريحة بنص القانون الجديد بين الصحة والادارة من جهة  
والوحدات التربوية المحلية — ولا سيما في القرية — من جهة أخرى  
ثامناً — انصاف التربية في مجموع الموارد المخصصة لها في ميزانية الدولة عامة  
تاسعاً — العدول عن محاربة التعليم الثقافي النظري والاخذ بتشجيع العملي وخاصة فيما يتصل  
بالقضاء على الامية وسوء الحالة الصحية ومستوى الحياة المنخفضة للدهاء  
عاشرأ — العناية باعداد المعلمين وتوحيد انواع معاهد التربية ثم السماح بالتخصص بعد العام  
منه على ان يعنى بتوزيعه على الاقاليم واخذه بالناحية العملية  
حادي عشر — انصاف طائفة المعلمين مادياً وادبياً  
اثنا عشر — تشكيل نقابة للمعلمين تمثل الطائفة بصفة رسمية شأن المهن الراقية الاخرى

\*\*\*

والآن سيداتي وسادتي ها قد فرغت بعد ما اثقلت عليكم في الاطالة . ولكن لي العذر  
والمشكلة لقدما وتأصلها وتشعبها في الحياة بألوانها اصبحت تتطلب ثورة تكتسح هذا النظام البالي  
لتقيم بناءً جديداً لمصر في شخص نشأتها المقبلة . فهنا قد بلغنا أعلى مكانة في الثروة ، وأقوى منعة  
في السلاح بأنواعه وأرفع منزلة في الثقافة والفن . بينما النفوس كلها خور وطرارة ، والقلوب  
ضحلة في الثبات والايمان ، والشباب عاجز عن خوض معمعان الحياة . فماذا نجني من القوة  
والثروة والامة مقبلة على هذا الفقر المعنوي ؟ ألا يكون ذلك اشبه شيء بالغني يخلف لابنه  
قناطير الاموال ، ولكن مع فقر في الخلق ، فلا يلبث الابن ان يعين اسرافاً واتلافاً حتى  
يقضي على كل شيء

فالتربية هي كل شيء . بل هي اهم سلاح لا يتبقى به العدو الخارجي فحسب، بل العدو الداخلي  
وخاصة في اعماق النفس وشهواتها . فالى رجال الحكومة والمشرعين وقادة الرأي ألقا وكلمهم  
بنبض غيرة وحمية . والى المليك العظيم افزع وقد يبدأ عصر حكمه الميمون مردد الآية الكريمة  
« ان أريد الاصلاح ما استطعت وما توفيتي الا بالله عليه توكلت واليه انيب »



# تدريس الكيمياء

في المدارس الثانوية

لمحمود خليل راسر

المدرس الاول للرياضة والعلوم بمدرسة حلوان  
الثانوية للبنات

يرمي علماء التربية من اقرار الكيمياء في مناهج الدراسة الثانوية الى تربية ملكة الملاحظة الدقيقة في الطالب ، وتعويده دقة العمل وسداد الاستنباط . هذا فضلاً عن فائدة الكيمياء لاندائها ، واستخدامها في صناعة المنتجات التي تفيض بها الحياة اليومية فالكيمياء في المدارس يقصد بها اولاً تحقيق مثل علمي سام ، ولهذا لا يكون للنفقات التي تقتضيها التجارب كبير اعتبار في نظر المعلم والطالب . ولنضرب مثلاً لذلك تحضير نموذج نقي من كلورور الصوديوم ، فان هذه العملية التي تستغرق نحو ثلاث ساعات تنتج بضعة جرامات من الملح يكفي ما انفق على انتاجها من وقت ومال لشراء مائة الف جرام من ملح الطعام أما في الصناعة فان الاعتبار الاقتصادي مقدم على كل اعتبار آخر

لذا يكون من دواعي الدهشة والعجب ان ترى من بين رجال الكيمياء من لا يعنيه الا الجانب المالي فيما يقوم به الطلبة من التجارب ، جاهلاً او متجاهلاً ان السعي الى اقتصاد بضعة مليمات قد يدعوا الى اضاءة وقت ثمين أو تحول دون الحصول على نتيجة مرضية ، وفي هذا من زعزعة عقيدة الطالب فيما يتلقاه من المبادئ والنظريات ، واطاعة ثقته بنفسه ما يكون له اسوأ الآثار وأخطرها في التعلم واسوق مثلاً على هذا ان احدى التجارب تتطلب تعيين النسبة المئوية للعواد الغريبة في « عينه » من ملح النوشادر ( كلورور الامونيوم ) . والطريقة التي أوثرها لما تؤدي اليه من نتائج صحيحة في أقصر زمن ممكن ، هي أخذ مقدار صغير لا يتجاوز جراماً وثلاث جرام من ملح النوشادر واجراء التجارب عليه . وتستلزم هذه التجارب استخدام نحو ثلث لتر من محلول الصودا السكاوية العشر العياري . ولما كان اللتر من المحلول العياري يحتوي على اربعين جراماً من الصودا السكاوية الجافة فان ثلث اللتر من المحلول العشر العياري يحتوي على جرام وثلاث جرام من الصودا السكاوية ثمنها ( اذا كانت من أبقى نوع ) لا يزيد عن ثلث ملغم



ومن العجيب اني اعرف من المشتغلين بتدريس الكيمياء من لا ترضيه هذه الطريقة لان فيها، على ما يعتقد، تديراً! وهو يرى ان يذاب ملح النوشادر في ربع لتر من الماء ويؤخذ عشر المحلول الناتج، وتجري عليه التجارب اللازمة لاستخراج النسبة المئوية للمواد الغريبة. وأنا اقر صاحب هذا الرأي ومن على شاكلته على ان هذه الطريقة أدعى الى الاقتصاد وكيف لا تكون كذلك وفيها نستخدم خمسين سنتيمتراً مكعباً فقط من محلول الصودا، ومعنى هذا ان هذه الطريقة تتيح لنا فرصة اقتصاد مبلغ يررب قليلاً على ربع المليم!!!

ونحن نرى ان يكون الاقتصاد رائدنا في كل شيء لا من الوجهة المالية فقط. فالوقت كذلك له قيمته لا يعد المال بجانبها شيئاً مذكوراً. وليس من حسن التدبير اتلاف التجربة وتبديد الوقت في نظير اقتصاد بضعة مليات. ونحن في التجربة السابقة نضمن بتضحيتنا ثلث مليم الوصول الى نتيجة مرضية في زمن وجيز لا يتعدى نصف ساعة. أما في الطريقة التي يسوغ تفضيلها بالعامل الاقتصادي فان احتمال الخطأ فيها عشرة أمثاله في طريقتنا. وإذا أضفنا الى هذا ان الطريقة الاخرى تستدعي اجراء التجربة اربع مرات تستغرق نحو ساعتين ونصف ساعة اذا اريد الوصول الى نتيجة معقولة (أو شبه معقولة) فان ثلث المليم الذي ضحينا من أجله بكل هذا يضع كضاح الوقت الثمين نتيجة لرأى فطير. ولست بمحدثك عن خيبة الامل وسوء الاثر في نفس الطالب اذا كان الاخفاق حليفه بعد كل هذا العناء. واني أرى ان هذا كله نتيجة حتمية لعبوديتنا العلمية وأعني بهذا اعتمادنا الاعمى على المصادر الاجنبية دون أن يكون لنا رأي حر في كل ما يصل إلينا عن طريقها. فالطالب او غير الطالب اذا قرأ في كتاب وصفاً لطريقة اجراء تجربة من التجارب فانه لا يرى مندوحة عن نقلها بنصها وفصها دون أن يبحث الاحوال التي أجراها المؤلف فيها، من حيث فسحة الزمن ودقة الاجهزة ونقاء المواد الخ. ففي استنباط التجارب التي نكلف التلاميذ اجراءها يجب علينا حتماً ان نراعي أموراً عدة من بينها:

(١) الوقت — فالتجربة الواردة في كتاب اجنبي قد يتطلب اجراءها ثلاث ساعات أو أكثر، فمن العبث أن نفكر في تدريس مثل هذه التجربة بالمدارس الثانوية

(٢) الاجهزة — يجب في تقرير التجارب العملية للمدارس الثانوية مراعاة الاجهزة التي بها أو التي تسمح الميزانية بشرائها. فليس من الصواب ان نكلف الطالب ايجاد الوزن المكافئ للمغنسيوم بطريقة التسخين باستخدام خمس جرام من المغنسيوم لان الزيادة في الوزن ضئيلة لا يمكن تقديرها بالدقة بواسطة الموازين التي في المدارس لاسباب كثيرة لاحتل لسردها هنا

(٣) نقاء المواد — وهذه نقطة هامة جديرة بالاعتناء فمثلاً لا تستحسن محاولة اثبات ذوبان الراسب الذي يتكون باضافة كلورور الباريوم الى كبريت الصوديوم في الحمض الكاوريديريك اذا



لم تكن واثقين تماماً من نقائهما ومن عدم احتوائهما على كبريتات . وليس من المستحب كذلك ان نحاول ان نثبت عملياً ان الماء النقي لا يبيح مرور التيار الكهربائي فيه ، لان الماء ولو كان مقطراً يسمح بمرور التيار . فالماء « النقي » الذي يذكر في الكتب انه لا سبيل للتيار الى المرور فيه لا وجود له في مدارسنا الثانوية ولا في كليات الجامعة المصرية . ومن رأيي ان القاعدة التي مؤداها : « ان الماء لا يبيح مرور التيار الكهربائي الا اذا كان محتوياً على ملح او حمض » يجب ان تقلب رأساً على عقب وان توضع بالصورة الآتية « الماء يبيح مرور التيار الكهربائي الا اذا كان نقياً جداً » وهذه الصورة اقرب الى الواقع المحسوس اضف الى هذا ان القاعدة يجب ان تنطبق على الشائع لا على الشاذ

نحن في عصر تطور بليغ ، فواجب علينا ان نطلق عقولنا من عقالها ، وان نفكر دون ان نقنع بأن نلبث حالة على غيرنا في تفكيره . والا فقيم خلق الله لنا هذه العقول ؟ وما قيمتها اذا كنا لانحسن استخدامها ؟ ان كرامة العلم الحق توجب علينا ان لا نحول ثقتنا بالعلماء والمؤلفين دون تمحيص ما تلقاه عنهم . لهذا انظر نظر العجب الى كثير من التجارب التي تعطى في المدارس الثانوية على نهج واحد بغير تعديل او تنقيح . فاذا كان المدرس يرى ان للوقت قيمة لا تقل عن قيمة المال ، واذا كان يقدر لاثر التجربة في نفسية الطالب ماله من خطر ، فانه لا يجد بداً من تغيير عقيدته في التجارب التي ألف تدريسها

ومن التجارب التي تخطر ببالنا شاهداً على هذا تجربة ايجاد قابلية ذوبان ملح الطعام في الماء في درجة الحرارة المعتادة . والطريقة المألوفة ان يشبع مقدار من الماء بالملح ويرشح ثم يقدر وزن الملح المذاب فيه وطريقة تعيين وزن الملح ان يقدر حجم الراشح ثم يؤخذ مقدار صغير منه معلوم الحجم ويبخر ويعين وزن الملح الناتج ويعلم منه وزن الملح الذي ذاب في المحلول كله . وهذه الطريقة تتطلب ساعة وبعض ساعة ومن عيوبها صغر مقدار الناتج بحيث ان الخطأ الصغير في وزنه ( خطأ مطلق ) يكون كبيراً بالقياس الى وزن هذا المقدار . أضف الى هذا ان هذا الخطأ يتضاعف تبعاً للنسبة بين حجم المحلول الكلي والحجم الذي بخر . ويمكن تلافي هذا العيب بتبخير مقدار كبير من المحلول ، ولكن يعترض على هذا وهو اعتراض حق بأن التبخير في هذه الحالة يستغرق وقتاً طويلاً . ولعل هذا يبين لنا ضرورة التفكير العميق المستقل في التجارب التي انتشر الاعتماد عليها في التدريس . هذا واني اقترح اجراء هذه التجربة بالطريقة الآتية :  
تؤخذ مائة جرام من الماء ويوضع فيها مقدار من الملح يزيد على ما يلزم لاشباعها . ويرج المحلول بضعة دقائق ثم يرشح خلال ورقة ترشيح معلومة الوزن ويقسل الملح المتخلف عليها بقليل من الكحول ويحفف بالحرارة ثم يوزن . وبطرح وزنه من وزن الملح الكلي ينتج وزن الملح الذي شبع المائة جرام من الماء



أولاً — انها تستغرق أقل من نصف الوقت الذي تستغرقه الطريقة السابقة  
ثانياً — ان احتمال الخطأ فيها أقل جداً من احتمالها في الطريقة الاخرى  
ثالثاً — في الطريقة الاخرى يفقد جزء لا يسهان به من الملح اثناء التبخير ، وهو كبير  
بالقياس الى وزن الملح

رابعاً — هذه الطريقة يفهمها حتى الاطفال لبساطتها وسهولة اجرائها  
ومن النقط الجديرة بالاهتمام ان بعض الطلبة يعنون بدراسة اجزاء الاجهزة والاحتياطات  
الواجب اتخاذها في التجارب دون فهم الغرض منها فهماً صحيحاً . وما أذكره بهذا الصدد ان احد  
المفتشين سأل طالبة بأحدى المدارس عن طريقة تحضير كبريتات النحاس . فشرحت جهاز  
تحضير ثاني اكسيد الكبريت بتأثير الحمض الكبريتيك المركز في النحاس ذاكرة انبوبة التوصيل  
والخارج المعد لجمع الغاز ، مع ان هذا الجزء من الجهاز لا فائدة فيه اذا كان غرضنا تحضير كبريتات  
النحاس دون الاهتمام بجمع ثاني اكسيد الكبريت الناتج في ذات التفاعل . ولكن الطالبة أثبت الا  
ان تسرد ما حفظته عن ظهر قلب

وشاهدت استاذاً يشرف على تجربة لتعيين وزن كربونات الكلسيوم ( Iceland Spar )  
الذي يذوب مقدار معين من الحمض الكلوريدريك ، وكان يحتم تغطية الكأس المحتوية على  
الحمض والكربونات ، مع ان الغرض تقدير وزن الكربونات التي تبقى بدون ذوبان . ولعل  
الامر احتلط عليه فان هناك تجربة اخرى يقصد منها تعيين وزن ثاني اكسيد الكربون ، ويهم  
فيها الحيلولة دون انطلاق الرذاذ الناشئ عن التفاعل في الهواء حتى يمكن تقدير وزن ثاني اكسيد  
الكربون الصاعد تقديرأ دقيقاً . اما في التجربة التي نتكلم عنها فان تغطية الكأس ليست فقط  
عديمة الجدوى بل انها فوق ذلك تعرقل التفاعل لانها تؤدي الى حجز الغاز المتكون فيحدث  
تركيز في المنطقة التي تعلو السائل . ومن التقاليد الحبيبة الى رجال الكيمياء ان الملح الذي  
يخرج من زجاجة لا يعود اليها ، لاحتمال تلوثه بأملاح اخرى . وهذا حق ، ولكني اقترح جمع  
متخلفات التجارب في زجاجات خاصة يكتب على كل منها اسم الملح الذي تحتويه وكلمة «متخلفات» .  
والاملاح التي هذا شأنها تصلح للتجارب التي لا تتطلب املاحاً نقية كتجارب قابلية الذوبان  
والبور والتبلور الجزئي وايجاد نسبة الملح الى الرمل في خليط منهما وما جرى مجراها

ومن اطرف وسائل الاقتصاد في بعض المعامل أن تشعل المواقد الغازية جميعها معاً في اول  
الدرس العملي ، ولو كانت الحاجة لا تدعو الى استخدامها الا في الشطر الاخير من الدرس .  
والغرض من هذا اقتصاد الكبريت اذ يكفي ثقاب واحد وقطعة صغيرة من الخشب او الشمع  
لاشغال المواقد جميعها . وبهذا الاقتصاد المعكوس تستفد المدرسة في اليوم الواحد من غاز الاستصباح



ما يربي ثمنه على ثمن الكبريت الذي يكفي المدرسة شهراً . فاذا كانت المدارس تخشى الاسراف في استخدام الكبريت لغير الاغراض التعليمية أو تبغي اتقاء عبث الخدم به فلتطلب تزويد معاملها «بالولاعات» الكهربائية أو الميكانيكية . ومما يجدر ايراده على ذكر الاقتصاد ان كتب الكيمياء تنص في شرح توليد الأكسجين من كلورات البوتاسيوم على استخدام ثاني أكسيد المنجنيز عاملاً وسيطاً . ولكن الثابت علمياً ان هذا التفاعل يجعله أكسيد أخرى عديدة غير ثاني أكسيد المنجنيز . وقد جربت انال هذا الغرض بنجاح أكسيد النحاس ومسحوق الطوب الأحمر (وهو يحتوي على أكسيد الحديد) وجرب احداً لاسا تذه الرمل (أكسيد السليكون) . وليس استخدام هذه العوامل من وسائل الاقتصاد فحسب ، بل انه يوسع افق التفكير عند المتعلمين ويحدوهم الى فهم طبيعة مثل هذا التفاعل فهماً صحيحاً . واذا ما تحققتنا ان الوقت لا يقل قيمة عن المال وجب ان نعني بارشاد الطلبة الى الظروف المؤدية الى نجاح التجارب منعاً لاضاعة الوقت هباءً . ففي تحضير غاز النشادر مثلاً تنص الكتب على تسخين خليط من احد املاح الامونيوم والجير (المطفاً أو الحي) . ولما كان النشادر شديد القابلية للذوبان في الماء فانه يجمع فوق الزئبق أو بالازاحة العليا بعد تحجيفه بامراره في انبوبة محشوة بالجير الحي أو الصودا الكاوية . وهذا التحجيف يوحي الى الذهن ضرورة استخدام خليط ملح الامونيوم والجير جافاً . ولا خير في هذا اذا خلط خلطاً جيداً ، ولكنه من البديهي ان الخلط مهما اُجيد لا يبلغ مبلغ الاذابة ، فاضر المؤلف او المدرس لو انه اشار باضافة قليل من الماء الى المخلوط ، فبذا نحصل على مقدار وافر من الغاز في وقت وجيز . ويستنبط من هذا طبعاً فضل الجير المطفاً على الجير الحي في هذه الحال .

وتستخدم معامل الكيمياء في الصيدليات والمدارس للتمييز بين الاحماض والقلويات محلولاً اسمه صبغة عباد الشمس . وهذه التسمية خاطئة اذ لا علاقة بين هذه الصبغة والزهر المعروف بعباد الشمس على الاطلاق . وتستعمل المدارس والصيدليات من هذه الصبغة مقداراً لا يستهان به . وهذه الصبغة بنفسجية اللون فاذا اضيف اليها حمض احمرت واذا اضيف اليها قلوي تحولت زرقاء كما هو معلوم . وتأثير الاحماض في الصبغات النباتية يكاد يكون عاماً ، الا انه يكون بدرجات متفاوتة ، ومثل ذلك الشاي اذ يشحب لونه باضافة عصير الليمون (الحمض الليمونيك) اليه . وقد اُهتديت الى صبغة رخيصة يسهل الحصول عليها تقوم مقام عباد الشمس ، وتفتح امام الفلاح باباً جديداً من ابواب الرزق . وهذه الصبغة هي صبغة الجزر . ولاستخلاصها يقطع الجزر البنفسجي اللون قطعاً صغيرة تغلى في الماء طويلاً ثم تنزع ويغمس في المحلول مع استمرار غليانه ورق ترشيح قطع قطعاً صغيرة مستطيلة حتى يتم اصطبائه . او يغلى المحلول على حمام رملي حتى يجف تماماً وتتحول الصبغة الى مسحوق يسهل ادخاره واذابته في الماء عند الحاجة اليه .



# حيوانات مشهورة

وصحة أسماؤها

للفريق الركنور امين المعلوم

ولنذكر الآن حيوانات اخرى وصحة ترجمتها فابدأ بفصيلة السنابير

Felidae. The cats

فصيلة السنابير

وهي من اللواحم اي آكلات اللحوم سريعة الحركة مجدولة العضل . منها السنور وعناق الارض والوشق والاسد والنمر والبربر وقد تقدم ذكر هذه الحيوانات في جزء مضى . وقد قلت السنابير ولم اقل الهررة او القطاط لان الهرير والقطط هو الاهلي فقط فالسنور اكثر شمولاً

Cat.

سنور . ذكرته في ص ٥٢ وذكرت مرادفاته الكثيرة فلتراجع

قط . بس . هر . وهو السنور الاهلي ولا اعرف له غير هذه الاسماء Cat. domestic

Cat. Angora or Persian

قط انقره . قط شيرازي . قط حلي

نسبة الى حلب لانه يأتي منها . اما في بغداد فيسمونه شيراز او شيرازي نسبة الى شيراز .

ولا يقال عجمي فالعجمي خلاف العربي والاحسن اجتناب هذه الكلمة

Cat, jungle

تفه وأسفة

سنور وحشي عظيم وعامة اهل مصر يقولون تفاوة بكسر اوله . والتفه ايضاً عنق الارض

وقد ذكر

Cat, wild

ضينون . سنور البر . وهو اصل السنور الاهلي

وجميع هذه السنابير من جنس واحد ولكنها مختلفة في النوع وبعض الاحيان في الصنف .

قلت ولم اجد معجماً فرق بين هذه السنابير او كتب اسماءها على صحتها

Cat, Civet

زباد وزبادة . سنور الزباد

حيوان لاحم ليس من فصيلة السنابير بل من فصيلة اخرى سميها فصيلة الرباح



Genet

رَبَاح . زُرَيْقَاء

حيوان لاحم من فصيلة الرياح يشبه الزبادة يقال له في المغرب « جَرَّ نَيْط » ومنه اسمه الافرنججي والافضل اهماله لانه عامي او الاشارة الى عاميته

وقد سميت هذه الفصيلة بفصيلة الرياح لانها عشيران عشيرة النموس وعشيرة الزباد ولا بأس بتسميتها بفصيلة الزباديات كما قال السيد اسمعيل مظهر في الاهرام لان الزباد واحد منها لكنني فضلت الرياح لاسباب لا تخفى على الناقد البصير منها اننا نريد فصيلة تشمل النموس فالفصيلة والعشيرة المذكورتان في مطول وبستر وهما كما ذكرت . اما تسمية هذه الفصيلة بالسنانير او الحررة او الفيرتي عن احمد فارس فلا تصلح بتاتا لان احمد فارس اراد بالفيرتي الوحوش وقد ذكرتها في فصيلة السنانير وما فيرى الا تعريب كلمة لاتينية معناها الوحوش وهي واردة في تصنيف كوفيه الذي جرى عليه احمد فارس

ولنتقل الآن الى الخلد وهو معروف عند العرب وفي بلادهم وهو من رتبة القضم التي منها الفار ونحوه ومن فصيلة سميتها فصيلة المناجذ وهو جمع خلد من غير لفظه ذكرتها في ص ٢٣٢ فلما انتقل العرب الى اوربة رأوا خلداً آخر اعمى كالخلد الذي عندهم ولكنهم من رتبة آكلات الحشرات ومن فصيلة الطوايين فلم يخف عليهم انه من رتبة تختلف تمام الاختلاف عن الرتبة التي منها خلد هم فاضطروا ان يعربوه بالطويين كما يلي

Mole. Talpa europaea

طَوَوَيْن جمعها طوايين . تسلي . خلد اوربي

حيوان من آكلات الحشرات لا وجود له في البلاد العربية كنت سميت هذا الحيوان بالتلبا اي باسمه اللاتيني لانه خلاف الخلد المعروف عند العرب . ثم عثرت اخيراً في معجم دوزي عن بطرس القلعي ان اسمه طويين وهو تعريب اسمه بالاسبانية ففضلت التعريب القديم على ما ذكرته سابقاً لانه لا بد من استعمال اسم لهذا الحيوان للتفريق بينه وبين الخلد المعروف بهذا الاسم في البلاد العربية . فالطويين من آكلات الحشرات والخلد من القضم

Mole rat. Syn. Blind rat. Spalax typhlus

خلد

حيوان من القضم يعيش تحت الارض ليس له اذان ولا عينان في الظاهر اسمه عند العامة في مصر ابو اعمى اما في الشام فيعرف بالخلد . وجمع الخلد خلدان ومناجذ من غير لفظه ومن اسمائه الفارة العمياء

Badger.

غُرَيْرَ وغُرَيْرَاءَ وغُرَيْرَةٌ . زَبْزَب . زَبْزَبُ الْقُبُورِ

حيوان لاحم من فصيلة السمراعيب بين الكلب والسنور اغبر اللون اسود القوائم قصيرها



ايض الوجه وعلى جانبي وجهه جُددتان سوداوان . موطنه اوردية وجنوب آسية من الاناضول وسواحل الشام الى غرب ايران ولا وجود له في افريقية وجزيرة العرب وهو الحيوان الذي يصنع من شعره شعريات للحلاقة من اجود الاصناف . وليس هذا الحيوان عناق الارض فعناق الارض حيوان آخر من فصيلة السنور

قلت ولم تذكر المعاجم هذا الحيوان على صحته وهو حيوان معروف في الشام والعراق فلاحسن ان تحذف عناق الارض وغيره من الاسماء التي ذكرت . وقد اوردت هذا الحيوان في ص ٢٣ وما يليها

ولنأت الآن الى الغربان وقد قلت في فصيلتها انها طيور من الجواثم تشمل الغربان على انواعها كالغراب الاسحيم والغراب الاعصم والزاغ والغداف والعقق . ذكرت هذه الفصيلة في ص ٧٤ وما يأتي انواعها

Crow

غراب . زاغ . قاق وغاق

وهو انواع ذكرتها في ص ٧٤ و٧٦ ولا ذكر لهذه الغربان على صحتها الا في معجم الياس انطون الياس وقد اورد انواعها اما سائر المعاجم فتخطت فيها

Raven

غُراب . غراب حاتم . غراب اسحيم . غراب نوحى نسبة الى النبي نوح

ذكرته وذكرت انواعه في ص ٢٠١

Rook

غداف . غراب القيثظ

وهو غراب اسود يلع بجخرة وحمرة اسود المنقار . ذكرته في ص ٢٠٢

Chough. Syn. Red-legged crow

غراب اعصم . زُمّت

غراب صغير احمر الرجلين والذي في لبنان وجبل الشيخ احمر الرجلين وأصفر المنقار والذي في اوربا واليمن والهند والحبشة احمر الرجلين والمنقار . قلت ولا ذكر للغراب الاعصم على صحته الا في معجم الياس انطون الياس وانما فاته الزمّت

Jackdaw

غراب الزرع . غراب الزيتون

غراب صغير اسود المنقار والساقين سنجابي الرأس والعنق وسائر اسود بخالطة لمعان ارجواني اما عنقه في البلاد العربية فله لطخة بيضاء على كل من جانبيه . ذكرته في ص ١٣٥

Magpie

عَقَقَعَق . قَعَقَعَق . كَعَدَش . شَجَجَوَجِي

غراب ابقع طويل الذنب سُمّي بحكاية صوته . وزاد بعض المعاجم الفاظاً اخرى منها الشقراق وهو في هذا الجزء ومنها القراع الاخضر ذكرته في هذا الجزء ومنها العَقاق وقد ذكرت في مادة قيق الآتي ذكرها وهو الذي اراده جايكار في حاشيته على هذا الطائر وهو الشقراق



الاخضر على ما جاء في معجم الياس انطون الياس وليس القراع الاخضر على ما جاء في غيره  
فالقراع الاخضر ليس في البلاد العربية وهو خطأ وقع فيه لاين صاحب المعجم المشهور كما  
سيجيء في مادة قراع

Jay. Garrulus

قيق . زرباب (فارسية معربة) ابو زريق

طائر كالغراب اصداً اللون اسود الذنب مخطط الجناحين بزرقه وسواد وبياض كثير  
التصويت ومنه اسمه العلمي

ذكرته في ص ١٣٥ وذكرته بعض المعاجم على صحته وأخطأت في اسمه العلمي هذا . ثم  
ان هذا الطائر اورده جايكار في حاشية له على العقق كما تقدم

Roller

شقرق وفيه لغات . أخيل . ضوضو

طائر اصغر من الحمامة واعظم من القارية اي الوروار بين خضرة وحمرة وزرقه وسواد  
وعلى ان الخضرة غالبية فيه اسمه في الشام شقرق وشقراق وفي مصر غراب زيتوني وفي  
العراق خضار على انهم يطلقون الخضار اي القارية اي الوروار . ذكرت هذا الطائر  
في ص ٢١٠ واسهبته فيه وقد اصابته المعاجم التي وقفت عليها بعض الاصابة وفتها الضوضو

Woodpecker

قراع . نقار

طائر في عظم القارية اي الوروار يتسلق جذوع الاشجار وينقرها فيستخرج الدود منها اسمه  
في الشام والسودان نقار الحشب ونقار الشجر وفي الشام الناقوبة لانه ينقب الحشب . وقد اخطأ  
لاين صاحب المعجم المشهور في قوله انه يطلق ايضاً على الشقراق وتبعه في هذا الخطأ بادجر  
وجايكار وغيرهما فالتقار الاخضر موطنه اورية وليس في البلاد العربية . هذه صفة هذا الطائر  
على ما ذكره ابن سيده وصاحب التاج ولكن هذا منقاره اعقف اما القراع او النقار على ما نعرفه  
في الشام فنقاره مستقيم ولعل القراع الذي في جزيرة العرب اعقف المنقار . راجع معجم الحيوان  
ص ٣٦٥ ففيه نص ابن سيده في القراع . ولم يذكر اصحاب المعاجم هذا الطائر على صحته

Bee eater

قارية . خضيراء وخضار . وروار

طائر قصير الرجلين طويل المنقار اسوده في قمة رأسه وتحت خنكه طوق الى الصفرة وسائر  
اخضر وفي وسط ذنبه ريشان اطول من سائر ريش الذنب . اسمه في الشام والموصل وروار  
وهو حكاية صوته وفي بغداد خضار وفي عمان خضيراء وفي مصر تارة خضير وتارة  
وروار . ثم ان الخضار في بغداد اسم للشقراق ايضاً كما تقدم في الشقراق . ذكرت هذا  
الطائر في ص ٣٢ واسهبته فيه وقد اعدت القارية الآن وكنت قد حذفها مما كتبتة قبلاً في  
المقطف لان الاب الستاس اعترض عليها لمشايتها الكلمة يونانية واعدها الآن لان العرب لا بد انهم



وضعوا كلمة خاصة لهذا الطائر لشهرته فالخضراء والخضار للونه والوروار حكاية صوته وإيا  
وانق الآن أنه القارية ولا اظن الاب المحترم يقول الآن انها يونانية بل عربية قحطانية عدنانة  
ولانها واردة في الحديث الشريف فايام اليونانية واللاتينية قد مضت ولم يبق الا لغتنا الضادية  
كما يقول واني اشكر له اعتراضه علي ورددي الضعيف يومئذ والا كانت القارية اصيبت بما  
اصيب به غيرها او جعلت لها حاصرة كما وقع للضروع المسكين وقد تقدم ذكره في شهر ابريل  
فاذا راجعت الصفحة ٣٢ من معجم الحيوان يتضح لك كل شيء وان القارية هي الوروار بلا اقل شبهة  
وقواق طائر على قدر الحماة يشبه الباشق كثير الصوت وقواق

Cuckoo

وهو لا يحضن بيضه بل يلقيه خلسة في عش طائر آخر فاذا خرجت فراخه من البيض  
زقها الطائر الآخر صاحب العش اي انه يسرق تعب غيره  
ومن اسماء هذا الطائر وقوق وقوق في مصر وقيقب وقيقوبة في الشام وحمم قوال  
في حلب وهذه عن الدكتور رسل . وطكوك وهذه بررية عن بقطر وطاطوى عن بقطر  
وكوكو وهي حكاية صوته . وكككم عن الديري وككككر عن ياقوت الحموي واسماء اخرى  
غيرها . والوقواق اوردها ابن سيده وقال طائر وليس ثبت ٨: ١٤٤ فهو يشبه احد اسمائه  
المعروفة في مصر وفيه شبه من الفصاحة

اوردت هذا الطائر في ص ٧٧ وما يليها ولعل الوقواق خير هذه الاسماء لانه فصيح ويشبه  
احد الاسماء المعروفة في مصر

Sturnidae

فصيلة الزراير او السودانيات

طيور من رتبة الجوام يغلب فيها السواد وفي البلاد العربية ثلاثة اجناس منها الزرزور  
والسمرمر والسودادية [See Starling, & Grackle]

Starling

زرزور . وزرر

طائر من فصيلة السودانيات اكبر من الببل طويل الذنب اسود اللون مرقط يتلون الوانا  
سمرمر . طائر من السودانيات يأكل الجراد اكلا ذريعا Starling, rose coloured  
Grackle, Tristram's

سودادية

طائر من السودانيات اسود اللون لارقط فيه كالزرزور وهو يلعب بزرقة ولون ارجواني .  
موطنه شبه جزيرة سيناء وفلسطين من اريحا الى العقبة جنوباً والبادية الى الشرق من وادي موسى  
وهو آبد في الاماكن التي يألفها وليس من القواطع كالزرزور او السمرمر والكلمة فصيحة  
ذكرتها في ص ١١٨ ولم يذكرها احد من اصحاب المعاجم



# مفردات النبات

بين اللغة والاستعمال

لمحمود مصطفى الرميحاني

— ١٨ —

## الاسفندان<sup>(١)</sup> الشكري

ترتفع الشجرة منه في المناطق الباردة الى ٨٠ قدماً في الغالب والى ١٢٠ قدماً في النادر ويتفاوت محيط ساقها بين ثلاث اقدام وأربع . أوراقها غير دائمة الواحدة منها شبيهة بالقلب ذات خمسة فصوص كل منها حاد القمة وعلى وجهه السفلي شعيرات بيض كامل الحافة تقريباً وأزهارها صفر مجمعة في نورات مشطية متدلية تنشق قبل الاوراق

اسمها العلمي ( Acer saccharinum, Wangenh. ) ( آسر سكارينوم )

أو ( Acer saccharum, Marshali ) ( آسر سكاروم )<sup>(٢)</sup> وفصيلته الاسفندانية أو القيسية ( Aceraceae ) ( آسراسية ) وبالانجليزية ( sugar-maple; rock-maple )

والفرنسية ( érable à sucre ou du Canada; érable sucrier ) وهو شعار بلاد كندا وشائع في امريقة الشمالية الى ولاية اريزونا كثير الشبه بالاسفندان الجيلي أو الجيميز الكاذب الذي سيأتي الكلام عليه ولا سيما في حال صغره والخشب منه قوي متين صلب صفيق لونه وردي يدخل في صنع محاور العجلات وبساتيقها وعريش العربات والعمدان والاثاث وغلف آلات البيانو واخشاب السروج والقصاص والنماذج وارضية الغرف وهو ليس عرضة للالتواء ولذا تصنع منه قوالب الاحذية . ومن شجره يتخذ اهل امريقة الشمالية نوعاً جيداً من السكر

(١) ويقال للاسفندان في عمومهم ( القيقب )

(٢) آسر ( acer ) كلمة لاتينية معناها قوي او حاد وسبب هذه التسمية ان خشب الاسفندان كان يستعمل قديماً في صنع رؤوس الخراب وغيرها من الاسلحة



يَبْزَلُ الاشجار من أواخر فبراير الى أوائل ابريل حين يكون النهار دافئاً والليل شديد البرودة وذلك انهم يحزّون في الشجرة حزاً بواسطة فأس أو مثقاب ثم يولجون فيه ميزاباً من خشب الساق أو اليلسان فيسيل منه أولاً سائل سكريّ مدة أربعة اسابيع أو ستة فيجتمع هذا السائل في حوض وينقلونه كل يوم الى حوض اكبر ومنه ينقل بعد تصفيته الى دَسْت الغليان وعلى الاجمال يتبع فيه ما هو متبع في استخراج السكر من القصب في جزائر الهند الغربية وينتج من كل شجرة في الموسم من ١٢ جالوناً الى ٢٤ من ذلك السائل فيحصل على رطل من السكر من كل ٣ جالونات الى ٦ من السائل المذكور وفيما ندر من الاحوال تنتج الشجرة ١٠٠ جالوناً أو اكثر

أما بزل الشجرة لاستخراج ذلك السائل فلا يبدأ به الا اذا بلغت الشجرة ٢٠ سنة وربما استمر البزل ٤٠ سنة أو اكثر دون أن يلحق بالشجرة اي ضرر وروى انهم قد حصلوا من الشجرة الواحدة على ٣٣ رطلاً من السكر في الموسم الواحد وسكر الاسفندان غزير في البوتاسة ولذا يحصل منه في الولايات المتحدة الامريكية على كثير من مادة البوتاسة وقلف الشجرة مهم في عمل اصباغ امريكية عديدة وفي الولايات الشرقية من امريكة الشمالية تعتبر شجرة الاسفندان السكري افضل شجرة للاستغلال بها في الشوارع

الإِسْفَنْدَانُ الْأَسْوَدُ

ترفع الشجرة منه الى ٤٠ قدماً أوراقها غير دائمة الواحدة منها شبيهة بالقاب ذات خمسة فصوص على وجهها السفلي شعيرات بيض. أزهارها خضر مجتمعة في نورات مشطية منحنية عديمة الاعناق (جالسة) وثمرتها ملساء

اسمها العلمي (Acer nigrum, Mich.) (آسر نىغروم)  
أو (Acer saccharinum, var. nigrum, Mich.) (آسر سكارينوم نىغروم) من فصيلة  
سابقه وبالانجليزية (black maple) والفرنسية (érable noir)  
وهو شائع في امريكة الشمالية ينتفع بخشبها

### الإِسْفَنْدَانُ الْأَبْيَضُ

الشجرة منه جميلة المنظر جداً ساقها غليظة قد يبالغ محيطها تسع أقدام أحياناً وترفع الى ٥٠ قدماً وتجمع اغصانها فتكون كتاج فاخر أوراقها غير دائمة الواحدة منها قليلة الشكل ملساء تضرب من وجهها السفلي الى البياض ذات خمسة فصوص كل منها حاد القمة مقطّع الحافة مسنن وأزهارها خضر تضرب الى الصفرة مجتمعة في نورات كرية



اسمهُ العلمي (Acer dasycarpum, Ehrh.) (آسر داسيكارپوم)

أو (Acer Eriocarpum, Mich.) (آسر اريوكارپوم) من فصيلة سابقه

وبالانجليزية (Sir Charles Wager's maple; silver-leaved maple; white maple)

والفرنسية (érable blanc; érable à fruits cotonneux; érable de Charles Wager)

وهو شائع في أمريكا الشمالية محبوب للغرس في الشوارع سريع النمو يوجد على ضفاف الأنهار صافية الماء حصوية القاع فلا ينمو في أرض المستنقعات وهي التي ينمو مكانه فيها الاسفندان الأحمر الآتي ذكره . والخشب منه أصفر ليّن يكون أقل قوة ومقاومة من خشب أنواعه الأخرى الكثيرة ولكنه ينفع في صنع الفحم وقد يشق صفاً رقيقة جداً تستعمل في بطانة الجدران من الغرف وقد يحصل من هذا الشجر على سكر بمقدار أقل مما يحصل عليه من الاسفندان السكري السابق . وإذا أكلت النحل منه ومن بعض أنواعه الأخرى كان ذلك مما يؤدي إلى التبيك في جني عسلها

### الاسفندان الأحمر

ترتفع الشجرة منه إلى ١٠٠ قدم ويبلغ محيط ساقها خمس أقدام . أوراقها غير دائمة الواحدة منها شبيهة بالقلب تقريباً ملساء تضرب إلى الزرقة من وجهها السفلي ذات خمسة فصوص كل منها حاد القمة مقطّع الحافة مسنن ولها عنق طويل . وأزهارها حمر مجمعة في نوران صوانية كرية تنشق في الربيع قبل الأوراق

اسمهُ العلمي (Acer rubrum, L.) (آسر روبروم) من فصيلة سابقه

وبالانجليزية (red or swamp maple) والفرنسية (érable rouge ou érable de Virginie)

وهو شائع في أمريكا الشمالية يوجد نموه في أرض المستنقعات ولا سيما في بنسلفانيا إذ يستعمل أهلها خشبه الجميل في جميع أصناف التجارة من أخشاب السروج ونيرالجر (النفّاف) وفي الخراطة ومختلف الأثاث كما يستعملون قلف شجره في الصباغة للحصول على لون أزرق قائم أو يصنعون منه مداداً أسود جيداً

ومن شجره يستخرج أهل كندا سكرأ أو عسلأ كالاسفندان الأبيض بمقدار أقل مما يحصل عليه من الاسفندان السكري وقد يفرسونه في الشوارع



## الإِسْفِنْدَانُ الْجَبَلِيّ

ويقال له (الجُمَيْنَز الكاذب) ترتفع الشجرة منه إلى ٨٠ قدماً ويبلغ محيط ساقها ٣'/٢ قدماً أوراقها كبار كأوراق الجُمَيْنَز أو أكبر منها غير دائمة الواحدة منها قلبية الشكل ملساء لامعة ذات خمسة فصوص كل منها حاد القمة مسنن الحافة على نوع ما وأزهارها خضر مجتمعة في نورات مشطية قائمة تقريباً

اسمه العلمي (Acer Platanoides, L.) (آسر پلاتانويدس) من فصيلة سابقه وبالألمانية (Norway-maple) والفرنسية (érable plane ou faux sycomore; érable de Norwège) وهو كثير الشيوع في جبال المقاطعات الشمالية من أوروبا منتشراً في بعض الأماكن بالترويج إلى شاطئ البحر وفي شمال بولندا وليتوانيا وألمانيا وسويسرا وسافوي وتبلغ الشجرة منه حجماً كبيراً في تربة الأرض الخصبة فتكون من أحسن الأشجار لإيواء السكان وخشبها أبيض أملس تصنع منه (كرانيف) البنادق ويستعمل في الخراطة والتجارة الدقيقة ويمكن الحصول على سكر منه في الشتاء وعلى العموم فإن استعماله كاستعمال شجر الجُمَيْنَز

## الإِسْفِنْدَانُ الْجُمَيْنَزِيّ

ويقال له (الدُّلْبُ الكاذب) و (الصَّنَار الكاذب) ترتفع الشجرة منه إلى ٥٠ قدماً ساقها معتدلة . أوراقها غير دائمة الواحدة منها قلبية الشكل ملساء تضرب إلى الزرقة من وجهها السفلي ذات خمسة فصوص كل منها مسنن الحافة بغير انتظام . أزهارها خضر مجتمعة في عناقيد متدلية وثمرتها ملساء

اسمه العلمي (Acer Pseudo-Platanus, L.) (آسر پسود وپلاتانوس) من فصيلة سابقه وبالألمانية (sycamore - maple ; spurious plane)

والفرنسية (sycomore; érable sycomore; érable faux platane) وهو شائع في بريطانيا وينمو برياً في سويسرا وألمانيا والنمسا وإيطاليا ويورق في إبريل وأوراقه عند انبثاقها تبدو خضراء لفضة جميلة وخشبها كان كثير الاستعمال في الخراطة قديماً وما زال يصنع منه أخشاب السروج والطواحين وبالجزء في سوقه في الربيع أو الخريف يسيل منه عصير وافر يصنع منه نبيذ جيد أو يحصل منه بالتبخير على سكر

## الإِسْفِنْدَانُ الْمَلُون

ترتفع الشجرة منه إلى ٢٠ قدماً ساقها رفيعة ذات قلف أملس مخطط بخطوط جميلة خضر وبياض وفروعها كذلك . أوراقها غير دائمة الواحدة منها قلبية الشكل ملساء ذات ثلاثة فصوص



كل منها حاد القمة مسنن الحافة وأزهارها خضر مجتمعة في عناقيد بسيطة طويلة متدلية

اسمها العلمي ( *Acer pensylvanicum*, L. ) ( آسر بنسلفانيكوم )

أو ( *Acer striatum*, Lamk. ) ( آسر استرياتوم ) من فصيلة سابقة

وبالإنجليزية ( striped-barked maple; moosewood )

والفرنسية ( érable jaspé ou strié; érable de Pensylvanie )

وهو شائع في أمريكا الشمالية . في الشتاء تحمر اغصان الشجرة منه وتكون لامعة ويعتبر من

اشجار الزينة نظراً لظل شجرته الوافر وجمال قلفها ومناعتها دون فتك الحشرات

الإسفنداني العادي

ترتفع الشجرة منه الى ٢٥ قدماً وتكون جميلة المنظر جداً في الخريف أوراقها غير دائمة

ملساء لامعة من وجهها السفلي الواحدة منها قلبية الشكل ذات خمسة فصوص كل منها غير حاد

القمة كامل الحافة تقريباً . وأزهارها خضر مجتمعة في نورات مشطية قائمة وثمرتها ذات جناحين

اسمها العلمي ( *Acer campestre*, L. ) ( آسر كامبستري ) من فصيلة سابقة

وبالإنجليزية ( common maple ) والفرنسية ( érable champêtre ou commun )

وهو شائع في بريطانيا والنرويج وجنوب أوروبا ووسطها حتى شمال افريقية وأنحاء كثيرة من آسيا

قد يزرع سياجاً ويقال إن الحشب منه في الخراطة ارقى كثيراً من خشب الزان والجوز لكونه

مندججاً صفيقاً وهو مرغوب فيه لصنع الاثاث الفاخر والآلات الموسيقية ويستعمل به صانعو ادوات

الحساب والهندسة في الغالب عن خشب شُرابة الراعي والبقس

الإسفنداني الشبيه بالدردار في الأوراق

قد ترتفع الشجرة منه الى ٥٠ قدماً . أوراقها غير دائمة الواحدة منها ثلاثية الفصوص أو

ريشية فتميز بذلك عن ورقة الانواع السابقة وكل فص مقطع الحافة منشاري . وأزهارها

خضر نوعان الذكورية منها مجتمعة في نورات مشطية والأثوية في نورات عنقودية

اسمها العلمي ( *Negundium americanum*, Dec. ) ( نيفونديوم امريكانوم )

أو ( *Negundo fraxinifolium*, Nutt. ) ( نيفوندو فراسينيفوليوم ) أو ( *Acer Negundo*, L. )

( آسر نيفوندو ) أو ( *Negundo aceroides*, Moench ) ( نيفوندو آسرويدس ) من فصيلة

سابقه وبالإنجليزية ( box-elder; ash-leaved maple )

والفرنسية ( érable à feuilles de frêne ) وهو شائع في أمريكا الشمالية جميل المنظر

يفرس للزينة ويشتمل على عصير سكري وافر كالاسفنداني السكري تقريباً وكثيراً ما يفرس في

كليفورنيا للاستغلال به والخشب منه أصفر تتخلله عروق بنفسجية وأخرى وردية



# جَدِّيْقَةُ الْمُقْتَضِفِ

---

محمّدون الفيلسوف

عن فولنبر

تقلاها اسماعيل مظهر

---

أنا المسعال

لارثر سمونتر

---

الرحيل الاول

للشاعر الفرنسي جابه ربيبين

تقلاها احمد ابو الحضر منسي





# ممنون الفيلسوف

عن قول تير

[ نقلها اسماعيل مظهر ]

ذات مرة تخيل « ممنون » ان في مقدوره ان يصبح فيلسوفاً عظيماً . فقال في نفسه : « من اجل ان اكون كامل السعادة تام الحظ ، ينبغي عليّ ان لا افعل من شيء اكثر من ان اجرد نفسي من كل الشهوات . وما من شيء في هذه الحياة اهورن من هذا مطلباً ، او ايسر نوالاً ، على ما يعرف الناس جميعاً . وأول ما يجب عليّ ان انشد ، انما هو ان اظلّ بغير حُبِّ . فاذا رأيت حسناء فاتنة ، كان اول ما احدث به نفسي في شأنها ان اهمس الى وجداني بأن هذين الحدين الاثيلين سوف يحولان فيما بعد تنوعين صفراوين تكسوها التجاعيد وتشيع فيهما الاخاديد ، وهاتان العينان سوف يحيط بهما سواد الهرم ، وهذا الصدر البارز الجميل سوف يخسِفُ ويزول جماله ، وهذه الرأس التي يزينا الشعر الجميل سوف يصيبها الصلع ، فتصبح اشبه بكره من النحاس . ينبغي لي ان اخیل الفاتنة التي يقع عليها نظري في حاضرها ، على ما سوف تكون في مقبل ايامها . وبذلك لن يستطيع وجه جميل او قوام رشيق ، ان يملك عليّ نفسي او يأخذ بعنان قلبي »

« ثم يجب عليّ بعد هذا ان الزم الاعتدال ، فلا يغويني المديح ، ولا يستهويني الكأس بلذائذه ، ولا اطلع الى هو المجتمع ، وما عليّ الا ان اصور لنفسي عواقب الافراط — من رأس مصدع ، ومعدة متخومة ، وامعاء مسدودة ، وصدر ضيق ، ونفس يعلو ويهبط . عليّ ان اخیل ما في الافراط من ضياع العقل والصحة والوقت . وبذلك تكون صحتي على وتيرة واحدة فلا تتغير ، وتكون افكاري نقية كالغدير الساكن ، مضیئة كالنجم الثاقب . وكل هذا سهل هين ، لا يتطلب تنفيذه اعنائاً او ارهاقاً » قال ممنون محدثاً نفسه — « غير انه ينبغي عليّ ان افكر قليلاً كيف ادبر امر مالي . ولكن لم التفكير في هذا وأنا رجل محدود الحاجات ، وثرؤني في حصانة رئيس



الحزينة في مدينة « نينوى »؟ ما عليّ الا ان اعيش مستقلاً. وهذا أكبر النعم ونهاية الأرب. سوف لا أكون في حاجة الى ذرع الارض رواحاً وجيئة على ابواب اهل البلاط والمحاكم. سوف لا احسد احداً، وسوف لا يحسدني احد. وكل هذا سهل هين. سيكون لي اصدقاء، وسوف احافظ على صداقتهم، بأن لا اجمل سبياً للاختلاف معهم على شيء. سوف لا اواجه انتقاداً الى شيء يفعلونه او كلام يقولونه. وكذلك هم سوف يعاملوني. اية صعوبة في ان يلزم الانسان هذه الخطوة، وان يهيج هذا النهج؟

ولم يكد « ممنون » يرسم هذه الخريطة الجميلة في مخيلته، حتى أطل من النافذة فرأى امرأتين تمشيان تحت أشجار الشارع بمقربة من بيته. وكانت احداها عجوزاً تسير الهويناً بغير اكتراث، أما الاخرى فكانت شابة في عنفوانها، وعلى مظهرها ما ينم على كثير من الانفعال. فكانت ترسل التهنيدات. وتجوّد بالدمع الهتون، فكانت في حالها تلك، في نهدها ودموعها، أكثر جمالاً منها في سكونها وهذونها. غير ان الفيلسوف مُسَّسٌ مسيساً، لا بالمرأة، فانه كان قد عاهد نفسه على ان لا يكون فريسة لمثل هذه الخيالات، ولكن بحالة القنوط والهم التي بدت عليها. فانهج من السلم وتقدم الى « النينوية » الجميلة، على أمل ان يهدى روعها بالحكمة وبكبح جماح انفعالها بالفلسفة. فقصت عليه، بكل ما تتخيل من سذاجة وطيبة قلب، ما أصابها من المصائب على يد عمّ تخيلته تخيلاً، وكيف حرّمها من ثروة طائلة ما حلت بها يوماً، وروت له ما كان من قسوته وما لقيت من جبروته وهما وكذباً، وما كان لها من عم، وما كان لها من ثروة، وانما كان لها خيال خصب يصور الحوادث، فيرويها لسان كان تحته هاروت ينفث فيه السحر الحلال

قالت « أتخيل أنك رجلاً أصاب من الحكمة وأفاد من الفلسفة. فلو أنك تفضلت وقدمت الى منزلي، اذن تستطيع أن تتقذني من الورطة التي أجد نفسي فيها وتخلصني من المأزق الذي تردت فيه »

فلم يتردد ممنون في ان يتبعها، ليعيثر امرها من وجهة فلسفية صرفة، وان ينصحها بأقوم سبيل يمكن ان تحطه الفلسفة

وهناك في منزلها اقتادته تلك الفاتنة الى حجرة ينبعث منها الطيب ويشيع في



جنباتها العطر ، وطلبت اليه في ادب واحتشام ان يجلس بجانبها على اريكة مقبلة اياه بوجهها ، كما لو يكون قد تأهباً لمعركة سلاحها الكلام والنقاش . فهي في شوق لان تقص قصتها ، وهو في شوق لان يسمع منها تلك القصة . ومضت السيدة تتكلم غاضبة من بصرها ، مشيخة بوجهها نحو الارض ، رسالة بين آونة وأخرى بالدمعة في إثر الدمعة ، زافرة بالتهدة في إثر التهدة ، وكانت ترفع عينها الى من تكلم حيناً بعد حين ، فلا تقعان الا على عيني « ممنون » الفيلسوف مركوزتين في عينها . وكان حديثهما حديث الصديقين ملائ كل منهما الا شفاق والحب لصاحبه ، اما هذه الصداقة وذلك الحب فأخذوا يزيدان شيئاً بعد شيء ، كلما التقى الناظران ، وتخطبت العينان . ولقد اهتم « ممنون » بحديثها كل اهتمام ، وبدأ يشعر بأنه أكثر ميلاً الى الاخذ بيد هذه المخلوقة التي جمعت بين العفة والبؤس ، كلما مرّ الوقت على مجلسه واياها ، كان دقائق الزمن تدور في قلبه ، لا مع الأجرام

من ذا الذي يمكن ان يدخل الى الحجرة التي جلسا فيها يتبائنان : هي بالشكوى وهو بالنصيحة ؟ من تتخيل ان يقتحم باب ذلك المنسك المقدس ؟ من تتصوّر سوى العَمّ الذي كانت منه الشكوى . العَمّ الذي هو سبب البلوى وأصل المصيبة . وكان مدججاً بالسلاح من فوق رأسه الى أخمص قدميه ، وقال اول ما قال ان حقّه الآن ان يُضْحِي بكليهما ، بالفيلسوف ممنون ، وبابنة اخيه . اما هي ففرت هاربة ، ملقية في روع الفيلسوف ان عمّها من شأنه العفو ، ومن خلاقه الغفران ، تلقاء بدرّة من المال يعمر بها حبيبه . فاضطر « ممنون » ان يشتري نفسه بكل ما كان بين يديه . وكان من حسنات تلك الأيام ان الناس كان في مقدورهم ، بمثل هذه الوسائل ان ينجوا بأنفسهم من المعاطب . ولم تكن اميركا في زمن هذا الفيلسوف قد اكتشفت بعد ، ولم يكن النساء المعطوبات يبلايا الزمن قد أصبحن مبعث خطر على الرجال كما هنّ الآن

وعاد « ممنون » إلى منزله خجلاً ، مكسور الجناح ، منكس الرأس . وهناك وجد دَعْوَةً يدعوها مرسلها إلى مأدبة تضم بعض اصدقائه قال : « اما اذا ظلت في البيت منفرداً بنفسي ، فسوف تساورني ذكريات هذا الحادث المشين ، فلا استطيع أن آكل كسرة ، وما يدريني ، فلعلّي أمرض ، فمن حسن



التبصرة أن امضي الى اصدقائي الاعزاء ، فعلي أقضي في صحبتهم بعضاً من وقت الفراغ . سوف أنسى في عشرينهم الجميلة البريئة ، تلك الغواية التي وقعت فيها صبيحة اليوم » وعلى هذه الفكرة ذهب ليحضر الوليمة . وسرعان ما بان لاصدقائه أنه مهموم ، يريد ان يستقوى بالشرب على طرد هموم تساوره ، وذكريات لا تذهب الا لتعاوده « ان قليلاً من الخمر يُختسَى بهوادة وتودة ، لقمين بأن يذهب الهم من قلوب الآلهة ومن قلوب البشر » — ذلك ما قام في نفس ممنون الفيلسوف . واحتسَى الخمر ، وامعن في احتسائها ، حتى سكر وغلا في السكر . وبعد ذلك جاء دور اللعب — « ان قليلاً من اللعب مع اصدقائه اوفياء مخلصين ، لمن اجل الهيئات وقت الفراغ » — ولعب فحسر ، وخسر كل ما كان في كيسه ، وخسر اربعة اضعاف ما كان معه ، مقسماً بشرفه أغلظ الايمان انه سيدفع ما يخسر . وهناك يقوم جدل على خطأ لا تميزه شريعة القمار ، ويحمي وطيس الجدل ، وتقوم قيامة الكلام والأخذ والرد والجذب والدفع ، فيرميه احد اصدقائه الاوفياء المخلصين بعلبة من علب النرد فتصيب رأسه ، وتفقأ إحدى عينيه . ويحمل « ممنون الفيلسوف » الى بيته سكران معدماً ، لا عقل في راسه ، ولا درهم في جيبه ، وبعين واحدة

حتى اذا قضى وقت خُتماره نائماً يغط غطيظ البكر شد خنقه ، وبدأت سورة الخمر تبخر من رأسه الحكيمة وذكر ما كان منه ، اسرع بخادمه فارسل به الى رئيس الخزينة في مدينة « نينوى » ليسعفه ببعض المال ، عساه يقضي دينه ، دين الشرف ، الى اصدقائه الاوفياء المخلصين . فاذا عاد الخادم اخبره ان رئيس الخزينة قد اعلن إفلاسه صبيحة ذلك اليوم وانه وضع لاهل الحكم أنه مختلس محتمل ، وانه بذلك أصبحت مائة اسرة في اشد حالات الفقر والعوز . فما وسع « ممنون » الفيلسوف الا ان يحجب عنه المفقوعة بلفافة ، ويأخذ في جيبه عريضة دعوى ليتقدم بها الى الملك ، طالباً منه ان يقيم العدل بينه وبين المختلس المحتمل . وما ان يدلف الى دار العدل في البلاط الملكي حتى يلقي عدداً من السيدات ، وقد ملكتهن هزة الفرح والشُّرور ، فرحن يدرن ممسكات بمضن بأيدي بعض في حلقة ، وبأسرع ما يتصور العقل قفزاً ووثباً . وهناك تتقدم اليه احداهن وكان له بها علاقة وتصبح في وجهه — « ما أبشع هذا المسخ الخيف ! ثم تلوها اخرى وكانت به اكثر



معرفة من صاحبها الاولى فتقول له — « يالله — ايها الفيلسوف ممنون ! ارجو ان تكون بخير . وأسفاه ! كيف فقدت عينك يا ممنون » — ثم تلتفت برشاقة وتولييه ظهرها ، وتبتعد عنه في غير اكترات

هنالك لم يسع ممنون الا ان يتبذ بنفسه ركناً من الاركان ، بعيداً عن ان تأخذه فيه الاعين ، ويظل منتظراً ، حتى تتاح له فرصة يتراعى فيها على قدمي الملك ولقد أزف الوقت واتيحت الفرصة : فقبل الارض ثلاث مرات ، وتقدم بكتابه في يده ، فتقبله الملك بقبول حسن ، وامر احد رجال حاشيته ان يتسلم منه الكتاب ، فما كان من ذلك الرجل الا ان انتحى بممنون ناحية وقال له بخشونة وبذاءة :

« اسمع يا هذا ! أنت يا عور ! يا من لا يملك الا عيناً واحدة ! لاشك في أنك كلب نباح مُزِر . ذلك بأنك تتقدم الى الملك بكتابك ، في حين كان الواجب ان تتقدم به الي . أضف الى ذلك انك تطلب القصاص من مفلس امين شريف ، أحوطه بعنايتي وأظلمه بجمايتي ، وهو فوق ذلك من اقرباء الوصيعة التي تقوم بخدمة حظيتي . عليك ان لا تتقدم خطوة اخرى في هذا الامر ، ايها الصديق الطيب ، هذا اذا اردت ان تفوز بالعين الاخرى التي بقيت في وجهك »

هذا ممنون الفيلسوف . بممنون الذي تخيل بين جدران حجرته الاربعة ان في استطاعه ان يهجر النساء ، وان يقلع عن المائدة الخضراء وعن الشرب وعن الجدل والشجار ، واقسم فوق كل هذا ان لا يطرق للمحاكم باباً . ممنون هذا وفي رأسه كل هذه الاخيلة ، وفي فترة وجيزة ، لا تعدو اربع وعشرين ساعة استغوته امرأة ، ثم سرقتها ، ومن بعد ذلك سكر ولعب القمار وتشاجر ، وفقدت عينه ودخل المحكمة ، حيث امتن ، واهينت كرامته

ولقد اخذ ممنون العجب ، وملاً قلبه الهم والحزن ، فقفل الى بيته غضبان اسفاً . وما ان تأهب لدخول البيت ، حتى دوهم بعدد من رجال الشرطة شرعوا ينقلون اثاث بيته ليبيع وفاء لمطلوبات دائنيه . وتأخذ بتلايبه الهموم ، فيسقط إعياء تحت شجرة على رصيف الشارع ، وهنالك يقع بصره على تلك المرأة التي لقيها في صبيحة الامس ، تمشي الهويناً مع عمها العزيز . وما ان رآه حتى اغربا في الضحك ، واصبع العم مشيرة الى الضمادة التي تحجب عنه المفقوءة



واقبل الليل بويلاته ، فهيّا ممنون لنفسه فرأشاً من القش والبوص بجوار جدار من جدار بيته ، وهوّم برأسه النعاس ، فأخذ يخط غطيظاً . وبينما هو في غفوته ، اذ تجلّى له ملكٌ من ملائكة السماء ، مجلّ بالضياء مخفوف بالبهاء ، مهياً بأجنحة ستة ، ولكنه بلا رجلين وبلا رأس ، وما يشبهه من شيء : — « من أنت ؟ »  
فاجابه الملك — « انا شيطانك الطيب »

— « اذن فردّ اليّ عيني وصحتي ومالي وعقلي »  
ثم قصّ عليه ممنون كيف انه فقد كل هذه الاشياء بين صبيحة يوم ومساءله . !  
فاجابه الملك : « هذه احداث لن يقع مثلها في عالمنا الذي نعيش فيه »  
— « وايّ العوالم تسكن ؟ »

— « ان مأهلي يبعد عن الشمس خمسمائة مليون ميل ، في نجم صغير الى جانب الشمس ، على انه يمكنك ان تراه من مكانك الذي انت فيه »  
قال ممنون — « انه لموطن جميل ! اخاذ ! فاقن . ومما لاشك فيه انكم لاتعرفون فائنات يأسرن المقتونين امثالي ، ولا اصدقاء اوفياء يسلبون ما في جيبه من المال ، ويفقأون احدي عيني ، ولا مفلسين محتالين ، ولا رجال حاشية يهزؤون به عندما يتقدم اليهم طالباً العدل والانصاف »

فاجابه ساكن النجم — « كلا . لانا لف شيئاً من ذلك فائنا لن نفتن بالنساء ، لانهن لا يوجدن حيث نسكن . ولن نتشاجر على الموائد الخضراء ، لانا لا نأكل ولا نشرب ، وليس عندنا مفلسون محتالون ، اذ ليس عندنا ذهب او فضة . وأعيننا لن تفقأ ، ذلك بان اجسامنا ليست كاجسامكم ورجال الحاشية لن يستطيعوا ان يسومونا خسفاً . ذلك باننا جميعاً متساوون في عالمنا القصي البعيد »

قال ممنون — « اتوسل اليك يا سيدي ان تخبرني : كيف تقطعون الوقت وتقتلون الزمن ، بغير نساء وبغير اكل او شرب ؟ »

— « انما نقطع الوقت في مراقبة العوالم الاخرى التي يعهد الينا في تدير امورها وما اتيت الى عالمك هذا الا لاهديء من روعك واسليك عما انت فيه من الغم »  
فتأوه ممنون وقال — « وأسفاه ! ولم لم تأت يوم امس لتكفيني الوقوع في الكثير مما وقعت فيه من الخازي ، وتمنع عني ما ترديت فيه من الاخطاء ؟ »



فاجابه الكائن السماوي — « كنت مع اخيك حسن ، فانه لا حق بالشفقة منك . فان صاحب الجلالة ملك جزر الهند ، الذي كان لايك حظوة الخدمة في بلاطه ، قد امر بان تقف عيناه الاثنتان ، جزاء هنة هينة . وهو الآن في اعماق السجن ، وقد اثقلت يديه ورجليه الاصفاد »

— « انه لمن الصدف الحسنة ان يكون في اسرة من الاسر شيطان طيب مثلك . فيكون من أثره فيها ان يصبح احد الاخوين اعور ، والاخر اعمى . احدهما يتمطى على فراش من البوص والقش بجوار جدار ، والاخر يتلظى في غيابات السجن ! » فاجابه الملك — « ان حظك سوف يتغير سريعاً . من الحق انك سوف لاتحظى بعينك مرة اخرى ، ولكنك سوف تكون سعيداً محظوظاً ، اذا لم يدر في رأسك مرة اخرى انه من الممكن ان تكون فيلسوفاً تام الفلسفة » . — « امستحيل ذلك إذن ؟ » — « نعم مستحيل . كما يستحيل عليك ان تكون تام العقل . تام القوة . تام القدرة . تام السعادة . اتنا نحن بأنفسنا بعينين عن ان نفكر في ان نكون كما اردت أنت ان تكون . ولكن هنالك عالم يمكن ان تتحقق فيه كل هذه الاشياء . ففي تلك العوالم العديدة التي يبلغ عددها مائة الف مليون عالم تخضع كل الاشياء لسنة التدرج . ففي العالم الثاني تجد ان الفلسفة والمتعة معاً ، اقل منهما في العالم الذي يسبقه في ترتيب التدرج . وهي اقل في الثالث منها في الثاني ، وهكذا ، حتى اذا بلغت العالم الاخير ، وجدت ان اهله جميعاً حتى اغبياء »

قال ممنون — « اخشى ان تكون ارضنا هذه المكونة من طين وماء ، هي بذاتها مباءة المائة الف مليون من العوالم التي تشرفني فخامتك بالكلام عنها » — « ليس الامر كما تقول تماماً ، وانما قولك قريب من الحق . ان كل شيء يجب ان يوضع حيث يجب ان يكون »

— « ولكنني أسألك أخطئون اولئك الشعراء والفلاسفة الذين يلقون في روعنا دائماً ان كل شيء حسن ، وعلى اتم ما يكون في النظام » ؟

قال الملك — « لا . ليسوا على حق تماماً ، وانما يكونون على حق اذا ما نظروا في الاشياء من ناحية صلتها بنظام التدرج الذي يشمل قانون الكون كله » قال ممنون — « كلا . لن أو من لك ، حتى استرد عيني المفقوءة »



## أنا المشعال

لـ رَئِيسِ سَمِيرِ

أنا المشعال وليس يعني ان الفراش يموت في ضوئي .  
أنا اللهب ، لهب الجمال ، احترق لكي يرى الجمال جميع الناس  
لست اغتبط ولا اخجل ، بل اعيش بالضوء الباهر  
ضوء النار المتأججة التي يرى فيها الرجال موت رغائبهم .

أنا ازولت وهيلانة ، لقد رأيت طروادة تحترق  
وشاهدت أشد الفرسان حباً وهو مجندل . كانت الدنيا  
مرآتي ، وكان الزمان نَفْسِي على المرأة . وطالما همس الرجال  
عصراً بعد عصر بكلمات الحب المسكينة امام شبحي فيها !

أنا احيا لانني خالد ، في عيني آلام العالم  
وعلى شفقي مباهج الحياة ، تمزج فتمنحني الحكمة .  
ولكن الكسوف حوّل يومي قتاماً . ان من يحيا للجمال ؟  
ما زلت ذلك المشعال القديم ، ولكن أين الفراش الذي يجروء على الموت ؟



# الرحيل الاول

للساعر الفرنسي هبانه ريشيين

[ نقلها احمد ابو الحضر مندي ]

١ اذا عيون زهور اللؤلؤ البيض تَفَقَّحَتْ<sup>(١)</sup>  
واذا البرعوم المتزلزل اهتز في اطراف الغصون  
واذا الارانب التي لا طاقة لها بالبرد همَّت في البُكر<sup>(٢)</sup>  
تخرج من مَكْوِها<sup>(٣)</sup> ترتع بين تبت السعتر  
واذا طلائع الطير غنت اغانيها وشدت  
فأطلقت اصواتها في كبد السماء احلى شجواً وأصفي رنيناً  
واذا الدنيا اخذت زينتها من أنف<sup>(٤)</sup> وجددت السنين  
غادر السائلون الصغار مأواهم صاغرين

٢ يخرجون من خُصمهم الذي فيه ثووا طول الشتاء  
كالمراميط<sup>(٥)</sup> لدى نار او قدوها بالمَدَر  
بينما امهم تَوْجِج وقود النار ،  
وتَضْفِير وهي تفني سلالاً من خلاف<sup>(٦)</sup>

(١) تَفَقَّح تفتح واخرج زهره (٢) جمع بكرة الصباح الباكر (٣) حجر الارنب  
(٤) من جديد (٥) جمع مرموط تعريب العلامة احمد فارس الشدياق وهو حيوان قارض من  
جبال الالب ينام الشتاء اجمع (٦) غصون عدة انواع من شجر الصفصاف صفر لينة تصنع منها السلال



انما يكسب هؤلاء الصغار المساكين ذوو الطهر  
قوتهم من بيع هذه « الشخاشيخ » ذوات المعينات<sup>(١)</sup> الخضر

٣ مات ابوهم منذ شهر اربعة

فالييت مرتفع الايجار وامهم

لذلك ستشتغل لدى الناس خادمة

فلا لقاء بينهم الا في الفصل المقبل

متى رجوا هذا الصيف بعض الدراهم

٤ والى ان يحل ذلك الاجل كل له وجهة هو مويلها

فالصغار يحملون كراتهم<sup>(٢)</sup> فوق اكتافهم

ويحتذون قباقيهم تغشى رؤوسها قطع الصاج

واذ قبلت الام في شهقات عويلها

آخر بنها لاخر مرة

انطلقوا وايديهم بأيدي بعض في وقار

يُنغم الاكبر لحناً ليبدو اربطهم جاشاً

ولكنه شعر بالدمع الغزير من ماقيه ينهمر

يبد أنه لا يبكي لانه هو اعلاهم سناً

ولانهم هاهم يضربون في الارض ويسعون

وابن الاثنى عشر حولاً قد صار رب بيت ورب هموم

(١) جمع معين الشكل الهندسي المعروف الذي تصنع على هيئته قطع « البقلاوة » (٢) جمع  
كرة اضمامة من ثياب تحمل ، كالصرة او « البقجة »



# سِيرُ الزَّمَانِ

---

حفلة تتويج  
الملك جورج السادس  
وما فيها من المغايز الدينية والروحية

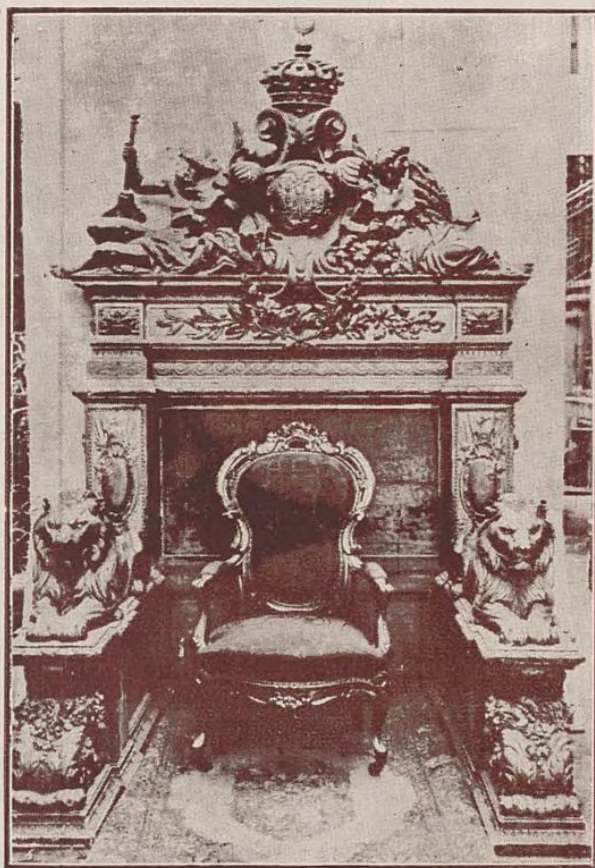
---

العروش في التاريخ  
والعروش المصرية الثلاثة

---







عرش محمد علي رأس البيت المالك





# حفلة تتويج الملك

جورج السادس

وما فيها من المغازي الدينية والروحية

لبس النيجان عادة قديمة جداً عرفت قبل زمن التاريخ كما يستدل من النقوش القديمة في مصر وبابل وبلاد اليونان . وقد تنوعت الآن فأبطل الملوك لبس تيجانهم الا نادراً وقد يقلعون عن لبسها بتاتاً في مستقبل الازمان اذا بقي للناس ملوك يملكون عليهم . والانكليز سبقوا غيرهم من امم هذا العصر الى الحكم الدستوري وتزع السلطة من ملوكهم واعطائها لنواب الامة ، ولكنهم لا يزالون متمسكين بكثير من عاداتهم القديمة كتتويج ملوكهم والباس قضاتهم الشعور العارية وحراسهم الثياب المقصبة التي كانت تلبس منذ مئات من السنين ونحو ذلك مما افلقت عنه امم كثيرة تأخرت عنهم في اقتباس الحكم الثيابي

الا ان احتفال البريطانيين بتتويج ملوكهم ، ينطوي على شعار دينية من شأنها ان توجه النفس والعقل الى الفضائل السامية التي يجب ان يتصف بها الملوك كالايمان وحماية الدين وخدمة الشعب واجراء العدل والحكم بالرحمة . فالاحتفال يقام في كنيسة ويرأسه رئيس اساقفة كمبري وتخلله صلوات وابتهاالات وترانيم روحية وتقرأ فصول من الانجيل . وحفلة التتويج تسير في فصول متسقة مترابطة المعنى والمعزى من المبايعة الى حلف اليمين الى مسح الملك بالزيت المقدس الى تسليم الملك ادوات الملك الى وضع التاج على رأسه فاجلاس على العرش فتقبله خضوع شعبه وولاءه

وفي كل هذا يشترك رجال الكنيسة مع اقطاب الشعب ، فليس للملك ان يقيم احد هذه الشعائر وحده ، فالتاج يلبسه اياه رئيس اساقفة كمبري ، والعرش يصعد اليه وحده ولكنه عند ما يصل الى الدرجة العليا يرفعه اربعة من مقدمي اعيان المملكة الزننين والروحيين ويجلسونه عليه ، فالحفلة اعتراف من الناحية الدينية بما للدين من مقام في حياة الدولة ، ومن الناحية المدنية تجديد للتقاليد التي جرى عليها الامراء والاعيان في عهود الاقطاع في مبايعتهم الملك الجديد وتسليمهم اياه رموز السلطة والحكم

\*\*\*

يتوج ملك الانكليز في الكنيسة القديمة المعروفة بكنيسة دير وستمنستر القائمة الى جانب دار البرلمان وهي كنيسة شيدها ادورد المعترف في القرن الحادي عشر ، ولا يعلم هل توج فيها ولكن من التايت ان وليم الفاتح توج فيها يوم عيد الميلاد سنة ١٠٦٦ م



بدأت حفلة تتويج الملك جورج السادس بالمبايعة، فوقف رئيس اساقفة كمبربري وحواله اربعة من كبار اعيان المملكة، ونادى الجمع المحتشد في الكنيسة قائلاً: ايها السادة اقدم اليكم الملك جورج ملككم الذي لا شبهة فيه وقد جئتم جميعاً لتقدموا له الطاعة والخدمة فهل انتم راغبون في ذلك فتهف الجمهور « احفظ اللهم الملك جورج » وقد اعاد رئيس الاساقفة هذا النداء اربع مرات متجهاً كل مرة الى فريق من الجمهور المحتشد حول منبر الكنيسة، فواجه الواقفين جنوبه أولاً ثم الواقفين غربه فشماله فشرقه، وفي كل مرة كان الجمهور يحجب احفظ اللهم الملك جورج. هذا الملك واقف قرب وسط المنبر بحيث يراه الجمهور. ثم نقخت الابواق وهذا الجانب من حفلة التتويج رتد الى العصور القديمة، لأن للشعب الحق في معاينة الملك والمواقفة عليه، على الرغم من ان الملك وراثي، وبنداء الشعب « اللهم احفظ الملك جورج » يعرب عن موافقته ورغبته في ان تمضي الكنيسة في حفلة التكريس الدينية وبعد ذلك جلس الملك على كرسيه، وقدمت أدوات الحكم أداة الى رئيس الاساقفة دليلاً على ان الدولة قد تنازلت عن رموز الملك الزماني لوضعها في حفظ الكنيسة، فسلمها رئيس الكهنة للملك واحدة واحدة دليلاً على انها معطاة له على سبيل الوديعة من قبل الرب. ولا يبقى في أيدي ممثلي الدولة الا السيوف الاربعة وهذه تسلم للملك بعده وعقب ذلك تلاوة قانون الايمان فتقدم رئيس الاساقفة الى الملك وقال له هل انت مستعد يا مولاي ان تقسم اليمين فقال الملك نعم واقسم ان يحكم البلدان التي تتألف منها الامبراطورية البريطانية وفقاً لعاداتها وتقاليدها وان يجري العدل. ولاول مرة في تاريخ بريطانيا ذكرت البلدان التي تتألف منها الامبراطورية ذكر كل منها على حدة لانها أصبحت منذ حفلة تتويج جورج الخامس في سنة ١٩١١ مستقلة ومتساوية وهي المملكة المتحدة وارلندة وكندا واستراليا وزيلندا الجديدة واتحاد جنوب افريقية وامبراطورية الهند. وتلا ذلك أسئلة وجهها رئيس الاساقفة الى الملك تدور حول احترام القانون واقامة العدل والحكم بالرحمة وحماية الدين وكلها مفرغة في قالب « هل تعد » و « هل تفعل » فأجاب الملك « كل هذا أعد به ». ثم قبل الملك التوراة ووقع اليمين ان المبايعة عمل دينوي، واليمين عمل ديني، وبهما يرتبط الشعب بالكنيسة بقبول الملك وعند ذلك رفع الحفلة من مستوى التعاقد بين الملك والشعب من جهة، والكنيسة والملك من جهة، الى مستوى التقديس. فابتهل رئيس الاساقفة الى الله ان يمنح « خادماً جورج ملكنا الحكمة » ثم قرأ اسقف لندن فصلاً من رسالة القديس بطرس ومن آياتها « أكرموا الجميع. أحبوا الاخوة. خافوا الله. أكرموا الملك » ثم قرأ رئيس اساقفة يورك فصلاً من انجيل القديس متى ومن اقواله: « فقال لهم اعطوا



إذا ما لقيصر لقيصر وما لله لله . وهذا الجزء من الحلقة لا يزال كما كان سنة ٩٧٣ عندما توج الملك ادجار المسالم لم ينله أي تغيير  
ثم وقف الجمع المحتشد وكذلك الملك والملكة وانشد الجميع قانون الايمان . ثم رنمت ترنيمة اخرى ركع الملك في خلالها

ثم نهض الملك وتقدم اليه كبير الامناء ونزع عنه ثوب الخمل القرمزي وجردته من جميع شارات المجد الارضي لكي يتقدم بخضوع ووداعة الى المسح بالزيت المقدس، وهو مرتد قميصا قرمزيا بسيطاً . ثم تقدم اربعة من كبار الاعيان ورفعوا فوق رأس الملك سرادقاً من النسيج المذهب . وقد كانت العادة ان يحجب هذا السرادق الملك عن الجمهور اثناء المسح بالزيت المقدس لان هذا العمل سر من اسرار الكنيسة، ولكنهم لم يفعلوا ذلك في هذه الحلقة فشاهد الجمع كيف مسح رئيس اساقفة كنتبري راحتي الملك وصدره وقمة رأسه بالزيت وهو يقول لتمسح راحتك بالزيت المقدس . او ليمسح صدرك . ثم لما مسح رأسه قال ليمسح رأسك بالزيت المقدس كما مسح الملوك والكهنة والانبياء

وتلا ذلك تقديم المهراز والسيف وصلى رئيس الاساقفة ضارعاً الى الله ان لا يتقلد سيفه عبثاً بل يستعمله لخدمة الله بارهاب الاشرار وحماية الاخيار . ثم ناوله اياه قائلاً اجر بهذا السيف العدل وواقف نمو الشر واحم كنيسة الله وأعن الارامل والايتام وجدد ما عتق واحفظ ما مجدد واصالح الاثيم وايد الصالح حتى تنمو كل فضيلة . ثم ناول رئيس الاساقفة رداء الملك والكرة والصليب قائلاً تقبل هذا الرداء الامبراطوري والكرة وليحبك الله مع المعرفة والحكمة بالمجد والقوة من لدنه وليحطك بنعمته من كل جانب وليلبسك الرب رداء الصلاح وثوب الخلاص . واذا رأيت هذه الكرة موضوعة تحت الصليب فتذكر ان العالم كله خاضع لقوة المسيح فادينا

وبعد ذلك دفع الملك بالكرة الى « دين » دير وستمنستر ليضعه على المذبح ثم ألبسه خاتم الملك وناوله الصولجان قائلاً تناول صولجان العدل والرحمة وليعنك الله في اجراء كل ما وهبك من السلطة وكن رحيماً ولكن لا تتناه في الحلم وعادلاً ولكن لا تنس الرحمة وعاقب الشرير واحم الصالح وقد شعبك في السبيل الذي يجب ان يسير فيه  
ثم رفع رئيس الاساقفة التاج وهو واقف امام المذبح وتضرع الى الله ليبارك الملك ويتوجه بكل فضيلة ويضع التاج على رأسه قائلاً يتوجك الله بتاج المجد آمين . وللحال رفع الاعيان تيجانهم من تحت مقاعدهم ووضعوها على رؤوسهم وهتفوا الملك  
ثم رفع « دين » وستمنستر الكتاب المقدس عن المذبح ودفع به الى رئيس الاساقفة فقدمه للملك



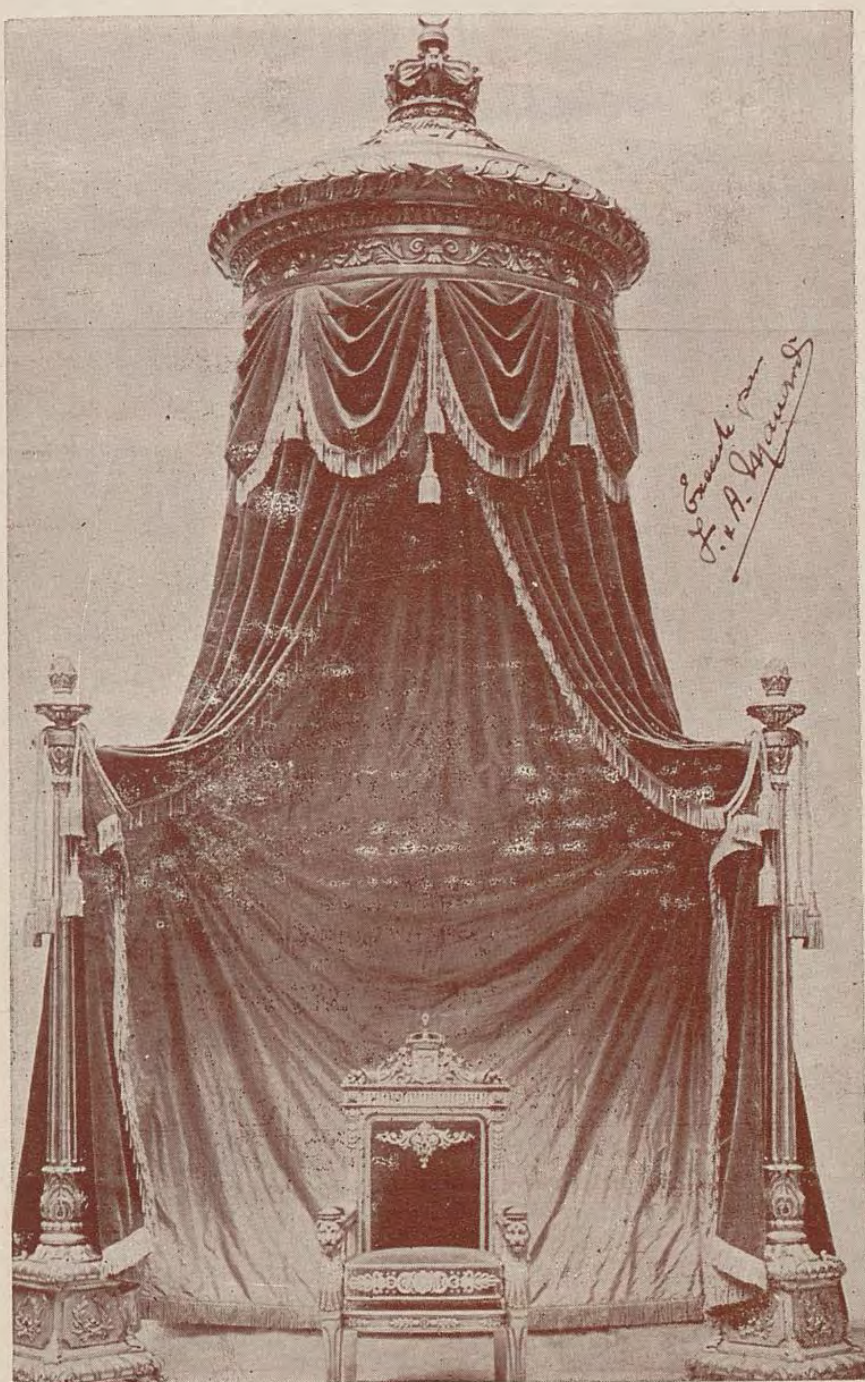
قائلاً تقدم لك هذا الكتاب اثنى ما في العالم . هنا الحكمة . هذا هو القانون الملكي . هنا السنة الله . فأخذه الملك من رئيس الاساقفة ثم اعاده اليه فاعطاه الى «دين» وستمنستر فيضعه على المذبح وكما ان المسح بالزيت المقدس ذروة ما تبلغه حفلة التتويج من الناحية الدينية ، كذلك وضع التاج فرفع الملك الى العرش ذروة ما تبلغه الحفلة من الناحية الدنيوية . لقد وضع التاج ، وها هو هذا الملك يتقدم الى العرش ، القائم على منبر مرتفع قليلاً فيرتقي درجاته الخمس فعندما بلغ اعلاها اتجه الى المذبح فتقدم رئيس الاساقفة وبعض كبار الاعيان ووضعوا ايديهم تحت ذراعيه ورفعوه الى العرش رامزين بذلك الى ان سلطتي الكنيسة والشعب اشتركت في رفعه اليه فجلس الملك عليه وجعل رجال المملكة يملكون امامه يسجدون له واولهم رئيس اساقفة كنتربري فسجد امامه وسجد الاساقفة الآخرون حيث هم واقفون ثم امره البيت المالكة فرفع كل منهم تاجه عن رأسه وركع امامه وقال اخدمك بحياتي واكون اميناً لك حتى الموت فليساعدني الله ثم لمس تاج الملك بيده وقبله على خده اليسر . وفعل مثلهم رؤساء فرق الاعيان ، اما اعضاء تلك الفرق فكانوا يركعون في مجالسهم وهم حاسرو الرؤوس عند ما يركع مقدمهم امام الملك ثم احتفل بتتويج الملكة

ولهذا التتويج في نظر الانكليز وجهان وجه ديني ووجه سياسي فالاحتفال به من الوجه الديني هو كما قال فيه بعض واصفيه اعظم احتفال ديني لهم . ولو انعم الانسان نظره في الصلوات والاقوال التي تقال فيه لوجد جوهرها التضرع من المخلوق الى الخالق والتقدم اليه بروح البساطة التي يتقدم بها الولد الى أبيه ليطلب منه له وللمسكة ما يريد وبشبهه والاحتفال به من الوجه السياسي اعظم احتفال دنيوي لهم . ولو انعم الانسان نظره في الاقوال التي تقال فيه ايضاً لوجد انها تعظم قدر الملك وتعلي شأن وظيفته الى اسمى الغايات وتذكره في كل حركة وسكنة مما هو واجب عليه لشعبه وبالعهود التي يعاهد شعبه عليها وبكونه خادماً للقانون مؤيداً ومنفذاً له

\*\*\*

وقد يعترض البعض ان الملك لا يكون بعد التتويج اكثر صلاحاً وعدلاً منه قبل التتويج وانه اذا اجاب الله دعاء رئيس الاساقفة في حفلة مثل هذه فعلى ما لا يحجب دعاءه من غير احتفال ولا اتفاق اموال . ولكن تاريخ الانسان يدل على ان الحفلات الدينية الوقورة تؤثر في نفسه تأثيراً شديداً حتى لقد تحملته على اصلاح سيرته والتفاني في عمل ما يجب عليه اما فائدها السياسية فما لا شبهة فيه





عرش المغفور له جلالة الملك فؤاد الاول في البرلمان



# العرش في التاريخ

والعروش المصرية القديمة

العرش قديم في نظام الاجتماع البشري قديم الملوك . والظاهر انه كان في أول عهده دكة يقف الملك أو يجلس عليها لكي يكون فوق شعبه يراهم ويرونه فيشعرون بتفوقه عليهم بدليل ما في العربية وغيرها من اللغات من ألفاظ الصعود والارتقاء الى العرش . وشيئاً يخص بالملوك ويرتبط به مقامهم وجاههم لا بد من ان يعنوا بتسميته وتعظيمه أو يعنى بذلك المنزليون اليهم من رعاياهم . ولا مشاحة في ان المشاركة سبقوا أم الارض في مبادئ الحضارة واتقان الفنون فلا عجب اذا سبقوهم ايضاً في صنع العروش للملوكهم والبلوغ بها الى اسمى ما بلغت اليه فنونهم كما ثبت من العرشين او الكرسيين الذين وجدا في قبر الملك توت عنخ آمون فان احدهما وهو المرسوم في صدر هذا العدد مصنوع من الخشب على شكل بديع أفرغ الصناعات فيه مهارتهم وجمعوا بين الدقة في تمثيل الطبيعة والابداع في التعبير عن العقائد الدينية . فرأس الاسدين اللذان تنتهي بهما ذراعا الكرسي والاحفاف الاربعة التي تنتهي بها قوائمها من أدق ما يكون . وعلى الظهر واليدين أمثلة وكتابات مما تتطوي عليه ديانة المصريين . ثم ان نوع الخشب وصفائح الذهب والمسامير الذهبية التي تربط اجزاء الكرسي والاصباغ التي طلي الخشب بها كل ذلك جامع بين الابهة والبهاء وشاهد بتفوق الصناعة المصرية في ذلك العصر

وقد جاء في التوراة وصف عرش سليمان حيث قيل « وعمل الملك ( سليمان ) كرسيًا عظيمًا من عاج وغشاهُ بذهب ابريز . ولكرسي ست درجات ورأس مستدير من ورائه ويدان من هنا ومن هناك على مكان الجلوس وأسدان واقفان بجانب اليدين . واثناعشر أسدًا واقفة هناك على الدرجات الست من هنا ومن هناك لم يعمل مثله في جميع الممالك » ( ملوك الاول ١٠ : ١٨ ) . وقد عثر المنقبون على بقايا عرش من صخر متبلور في انقاض قصر سنحاريب الملك الاشوري . وكان العرش الذي بناه شاه عباس ملك الفرس من الرخام . والظاهر ان هذا الملك كان مولعاً بالعروش الفخمة فأهدى الى قيصر روسيا سنة ١٦٠٥ عرشاً مصفحاً برقائق الذهب ومرصعاً بالآلىء والاحجار الكريمة . وصنع القيصر فيودوروفتش جد بطرس الاكبر عرشاً من الذهب مرصعاً بثمانية آلاف حجر من الفيروز والفضة وخمسمائة حجر من الياقوت واربعة احجار كبيرة من الجشت وحجرين كبيرين من الياقوت الاصفر . ومن مفاخر دهلي قبل ان اقتحمها نادر شاه عرش الطاووس الذي قدّر ثمنه باثني عشر مليوناً من الجنيهات وكانت درجاته من الفضة وقوائمها من الذهب المرصع بالحجارة الكريمة . وسمي بعرش الطاووس لان فيه ذلي طاووس منتشرين



ومرصعين بالالاس والياقوت ونحوها من الحجارة الكريمة . والظاهر انه صنع لشاه جاهان  
صنعه المهندس الفرنسي الذي رسم المدفن الشهير المعروف باسم تاز محال  
ويقول المؤرخ المدقق السر يوحنا مودفيل ان الملك برستر يوحنا كان له عرش يصعد  
اليه بسبع درجات اولاهها من الجزع والثانية من البلور والثالثة من الیصب الاخضر والرابعة من  
الجمشت والخامسة من الجزع العقيق والسادسة من العقيق والسابعة من نوع من الزبرجد . وكانت  
هذه الدرجات مطوقة بالذهب ومرصعة بالجواهر والعرش نفسه كان من الذهب المرصع  
بالاحجار الكريمة . وكان لاحد امراء الهند المعروف برانجت سنج عرش من الخشب مصفح  
بالذهب وهو الآن عند الحكومة الانكليزية

أما العروش الاوربية فلم تبلغ من الابهة والفضامة ما بلغت العروش الشرقية القديمة . على  
ان امبراطرة الروم كانوا قد أخذوا شيئاً من أبهة الشرق وجبه لههارج فبنوا عرشهم المشهور  
الذي قيل انه يماثل عرش سليمان وعلى جانبيه أسدان صنعت لهما آلة اذا تحركت وقف الاسدان  
وجعلا يزاران . ومن العروش المشهورة عرش داجوير أحد ملوك فرنسا في أواخر القرن  
السادس للميلاد وأوائل القرن السابع . وأول ما يذكر عن هذا العرش ان نبوليون جلس  
فيه حين وزع اوسمة الشرف في معسكره ببولون . اما العرش الذي صنعه نبوليون فكان  
كرسيًا مغشًى بالذهب وتكثر عليه الرسوم المصرية ورؤوس الاسود والنسور

وحينما يتوفى البابا وتجتمع الكرادلة لا تتخاب خلف له يجلس كل منهم في عرش والعروش  
كلها على مستوى واحد حتى اذا تم الانتخاب تخفض كل العروش الا عرش الكردينال المنتخب  
وعرش البابا كرسي من البروز القديم قائم في كنيسة القديس بطرس وليس للملك الانكليز عرش  
خاص والكرسي الذي في دير وستمنستر ليس عرشاً لانه لا يجلس عليه الا في جانب من  
حفلات التتويج والحقيقة ان العرش الانكليزي هو الكرسي الذي في مجلس اللوردات ويجلس  
عليه الملك حين افتتاح البرلمان وهو مصنوع من خشب السنديان

وصفنا في صدر هذه المقالة اقدم العروش المصرية التي وصلت البنا ونصف الآن أحدثها  
وهما عرش محمد علي رأس البيت المالك والعرش الذي صنع المغفور له الملك فؤاد الاول  
اما عرش محمد علي فقد صنع في باريس من خشب رزين وطلا بالذهب وأفرغ الصناعات  
الفرنسيون مهارتهم في صنعه ويظهر من وطوء الاسدين اللذين على جانبيه انه صنع لتوضع فيه  
مرتبة يجلس عليها عزيز مصر كما كانت عاداته في جلوسه وهذا العرش محفوظ الآن في دار القنون  
والصنائع المصرية . ولا ندري لماذا لا يتباعه الحكومة وتحفظه في دار آثارها . والعرش المرسوم  
هنا أقيم في دار البرلمان وكان الملك فؤاد الاول يجلس عليه عند افتتاحه البرلمان



# بَابُ الْإِخْبَارِ عَنِ الْعِلْمِ الْعِلْمِيَّةِ

## الكيمياء الصناعية

ما تم تركيبه وما يتوقعه العلماء من ثمارها

الباب كليت

في الغبراء مادة تحوي هذه الخصائص جمعاء . فلا  
يبعد ان يبتدعها في وقت ما احد السحّار او  
بالاحرى يولدها عالم كيمياوي في الخبار  
ولقد نبغ فعلاً عالم كيمياوي ألماني وهو  
باير Baeyer ، وهذا كان مجهول الاسم في  
في جُلِّ تراجم علماء الكيمياء اذ شرع في  
سنة ١٨٧٢ يعالج غير عابى ، المواد التي تولد من  
تكثيف الحامض الكاربولىك والفورمالدهيد .  
فاذا ما سُخِّضَتْ تانك المادتان المتبدلتان ،  
بعضهما مع بعض ، كوتنا مادة عجينة راتينجية  
يتسنى صوغها . ومتى سلطت عليها الحرارة  
والضغط ، تصلبت فصارت كتلة برّاقة . فلم يسع  
باير الاّ بذل قصارى جهده في درس ذلك التفاعل  
الكيميائي ولكنه لم يحسّنه الى درجة صنع  
راتينج تجاري منه . وحذا حذوه بعض العلماء  
فجرب تجارب شتى غير انه لم يتيسر لاحدهم  
صنع مادة جيدة تشبه كل الشبه الراتينج الطبيعي  
أي الكهرباء « الكهرمان » أو أرخص منه  
ثمناً . ولعلّ علماء الكيمياء العضوية الاقحاح (١)  
لم يرغبوا في قدح قرائحهم في مسألة تنحصر

في العالم مواد شتى ، مألوفة ، مركبة  
ركباً صناعياً . وهي ثمرة مزج مواد كيميائية  
— محلبة او مذيبة لغيرها — بعضها مع بعض  
مزجاً مدققاً فيه . وسنفصل فيما يلي بعض ما تم  
تركيبه منها نقلاً عن كتاب « مائة السنة المقبلة »  
لمؤلفه الاستاذ فرانس ، الذي اشرنا اليه في  
مقتطف اكتوبر سنة ١٩٣٦ ، وذلك تمهيداً  
لل كلام على ما يرجى تركيبه في المستقبل : —  
تبين لنا ان الحليقة قد قصرت بعض  
التقصير في خلق المعجائن الكيماوية . وثبت  
من قدّم لعلماء الكيمياء ان هذه البلاد  
« بقصد المؤلف الولايات المتحدة ، وطنه » انما  
تفوزها مادة عجينة ، يتاح افراغها في كل  
قالب ، بحرارة غير مرتفعة . ثم تجمدها تجميداً  
حيثاً ، على اشكال مختلفة تبقى الى الابد .  
على ان تكون العجينة المذشودة ، متينة ذات  
رواء ، تقاوم عوامل الصدأ والاحتكاك  
والذوبان والحرارة . ويفضل ان تكون رخيصة  
ولكن ما من شجرة من الاشجار ثمر ثمرة  
تسم بتلك الصفات كافة . ولما توجد على وجه



فوائدها في التجارة. فوفقت أبحاثهم عند ذلك الحد  
وظلت أنواع الراتينج الصناعية غير  
موثوق بها، غالية ملاء بالعيوب  
وكان اصطلاح باير بعمله ذلك، في السنة  
التالية لوقوف سمارك في ردهة المرايا الفرنسية  
مملياً على فرنسا المقهورة وقتئذ، شروط  
الصلح المذلة مشفوعة بطلب غرامة حرية فادحة  
ولم يتقدم الراتينج الصناعي تقدماً محسوساً  
حتى ظهر في أوروبا جيل جديد من «غذاء  
المدافع» وأوشك ذلك الجيل الذي لم ينس  
الخصام القديم، يتأهب للانفجار، وحينئذ  
جعل علمنا الوضعي والتطبيقي يتقدم تقدماً  
وثيداً فما حلت سنة ١٩٠٩ حتى نبغ كيميائي  
أمريكي اسمه بايكلند Baekland وهو عالم فاضل  
جداً (أصبح فيما بعد رئيساً للجمعية الاميركية  
الكيميائية) فتم طريفة باير وسمى المادة باكليت  
Bakelite فاشتهرت شهرة واسعة اذ تكاد تستعمل  
في كل تركيب يقتضي عزل الكهرباء. وتصنع  
من الباكليت الصواني والالواح والاقلام  
الحازنة للعداد «اقلام الحبر» وأغطية المناضد  
الاميركية، ومقابض المظلات وعلب الجواهر  
والسجائر. ويدخل في صنع ادوات الطائرات  
وفي المناجم. ولا يبعد ان يكون مستعملاً في  
ادغال افريقية. وفي البلاد الاميركية في هذا  
الزمن مئات من انواع الراتينج الصناعي  
المختلفة. وقد بلغ عددها بحسب احداث  
الاحصاءات ١٢٠٠ نوع وكثير منها من نوع  
الدهيد فينول (phenol-aldehyde) حاصل

من انحلال الالدهيد بفعل القلويات والهواء  
المشابه للباكليت، وغيرها من جوامد اليوربا.  
وبعضها مركب من الفرفال الذي يستخرج  
من قوالب الذرة وقشور الزمير. واخرى مركبة  
من الجينين الذي يريح الفلاحين من اللب الزائد  
عندهم فينتفعون به بهذه الوسيلة. ومنها راتينج  
الفينيل vinyl الذي يدخل في تركيبه الغاز الحثي  
كمادة أولية. وبعضها يصنع من النفط. وغيرها  
من الجليسرين. والاخر قوامه الصنع المرن  
(الكاوتشوك الطبيعي) فيتولد منه مادة اكتر  
رواجاً من كاوتشوك العصر الحالي الصلب  
ومع ذلك فما من عجينة قد بلغت أوج  
الكمال، اذ جميعها أغلى مما يجب. لان المواد  
الاولية الداخلة في تركيبها ليست رخيصة.  
ونحن انما نحتاج الى مادة رخيصة يتسنى لنا بها  
تغطية حيطان الحمامات والمطابخ المتوسطة

\*\*\*

وقد ذكرنا الباكليت في كتابنا (الصناعات  
والصناع) المطبوع في القاهرة في مارس ١٩٢٧  
فقلنا في باب (منتجات الفحم الحجري) ما يلي:  
«ومن الفينول والكريزول والفتالين  
وغیرها من منتجات قطران الفحم الحجري  
يحضر الكيميائيون في هذا العصر مواد كثيرة  
عجيبة نافعة واعظمها الباكليت الذي سمي  
باسم مستحدثه الاستاذ ل. ه. بيكلاند  
L. H. Baekland الاستاذ السابق بجامعة  
غنت. والباكليت يستحضر من الحامض  
الكربولييك والفورمالدهيد. وباتحاد الباكليت



مع هاتيك المواد الراتنجية يسهل صوغه واحماؤه حتى يتصلب جداً بحيث يحتمل تأثير الحرارة والماء والغازات والاحماض والكهربائية. ولهذا السبب كثيراً ما يستعمل في صنع الآلات الكهربائية. ومن وجهة أخرى يتيسر تحويل البالكيت الى مادة شفافة تضارع الكهرباء الطبيعي (الكهرمان). وقد تفضله منانة وطلاوة ولما كانت هذه المادة عديمة الرائحة والطعم غير قابلة للاشتعال، استعملت بديلاً للكهرمان في صنع مباسم التدخين والخرز وما إليها من أشياء شتى. وكثير من المركبات التي ركبت حديثاً ومنها ما ذكرناه آنفاً، هي تحسينات للبالكيت من جهة الثمن وقد جربت في صنع اطر النوافذ والابواب، فبين انها لا تحتمل شدة الحرارة، اذ تلتوي في فصل الصيف. اذن لا توجد

عجينة من عجائن الراتنج الصناعي بلغت المتانة التي نفيها. فبعضها شفاف شفافاً يذكر، غير انه لا يصلح بديلاً للزجاج. وربما يحل احدها محله في مستقبل الزمن فتكون هي الزجاج المرن الذي تحدثت بشأنه الملا منذ عهد حديث ولم يتمكنوا من اختراعه<sup>(١)</sup> وربما لا يوجد البتة عجينة راتنجية مركبة مستوفاة الشروط المبتغاة ولكن لا بد من ايجاد عجائن، تكاد تستوعب مطالبنا. وحتى هبط الثمن وجاد الصنف، دنونا خطوة من بيئة التركيب الكيميائي الكاملة التي تشمل كل شيء من شعارنا<sup>(٢)</sup> الى السقوف التي نسقف بها بيوتنا. وهذا قد يصحبه بعض الانقلاب، بيد انه ليس الانقلاب المنشود. ولا نستطيع معرفة مبلغه الا اذا جربناه

عوض جندي

### مادة عجينة

#### تحتم على تناولها الاقامة في الظلام

ان البحث عن طريقة لصنع مادة تشبه اليخضور (وهو اللفظ العربي المقترح لترجمة كلوروفل اسم المادة الخضراء التي في النبات) في تركيبها وفعالها افضى بالعلماء الى تركيب نحو سبعين مادة مختلفة لا تحقق الغرض ولكنها على كل حال متصفة بخواص غريبة جداً ومنها مادة حقن مقدار عشرة مليغرامات منها في حيوانات مختلفة فقصت على تلك الحيوانات ما زالت هذه المادة في دمها ان تلتزم

الظلام وتبتعد عن الضوء فاذا اخرجت من الظلام وعرضت للضوء الباهر قضى عليها في بضع ساعات ومن اغرب ما يذكر عن هذه المادة ان كيمواوياً المانيّاً لم يحجم عن تجربتها في نفسه فأصيب بما اصاب به الحيوانات التي جربت فيها من حيث اضطرابه الى التزام الظلام فظل عشرة اشهر على هذه الحال اذا تعرض قليلاً للضوء تورم وجهه واصيب بالمشديد وسقط شعره ثم ضعف أثرها وأصبحت حياته سوية

(١) صدر مؤلف الاستاذ فرناس (مائة السنة القادمة) قبل ظهور الزجاج المرن — أو اللين وقد وصفناه في مقالنا على الكيمياء الصناعية في مقتطف يناير سنة ١٩٣٧ (٢) الشعار — ما يمس الجسد من اللباس



## عزقة عنصر البوتاسيوم بالحياة والنمو

أزل البوتاسيوم من مجرى الدم يوقف القلب عن الخفقان

النظرين يسير جداً ولكن ثبت ان في كل جرام من البوتاسيوم الذي في جسم الانسان يوجد ٢٢٥ ذرة تتحل بقذفها الاشعاعات المتقدمة الذكر

وهذا يعني انه لو حول ما يقذف من ذرات البوتاسيوم الذي في اوقية من لحم الجسم الى ضوء اخضر لكان اقوى خمسمائة ضعف من اضال ضوء تستطيع ان تبينه العين البشرية اي انه لو تحول ما يطلق من بوتاسيوم الجسم من الاشعاعات الى ضوء اخضر لكنا نرى جسم الانسان وهو اشبه ما يكون بالهيكل المضيء. والذي لا يعلم حق الآن هل لهذه الاشعاعات اية صلة بتأثير البوتاسيوم الحيوي

\*\*\*

ففي الاجتماع الذي عقدته الجمعية الكيميائية الاميركية التي الدكتور كيث برور Breuer احد علماء مكتب الكيمياء والتربية بوشنطن محاضرة في بحث جديد قام به هو واعوانه وغرضه معرفة وزن البوتاسيوم الذري في انساج الحيوانات لعل ذلك يقضي الى فهم صلة هذا العنصر بالحياة كان العالم الالماني « زوارد ماكر » قد كشف انه اذا ازيل البوتاسيوم من مجرى الدم توقف القلب عن الخفقان. ثم وجد انه اذا وضع محل البوتاسيوم المزال من الدم مادة مشعة عاد القلب الى الخفقان. ثم وجد علاوة

النظار في علم الطبيعة لفظ يطلق على اشكال مختلفة من عنصر واحد تتشابه في خواصها وتختلف في وزنها الذري واذا تختلف في تركيب نواتها وهي ترجمة اللفظ الاعجمي Isotopes فالرصاص المألوف يشبه الرصاص الذي ينتهي اليه تحول الراديوم بالاشعاع ولكنها يختلفان في وزنها الذري فرصاص الراديوم يعرف بأنه « نظير الرصاص اى ايسوتوبه »

ولعنصر البوتاسيوم غير نظير واحد. وأحد هذه النظائر يعرف باسم بوتاسيوم ٤١ له على ما يظهر من المباحث الكيميائية والحيوية الجديدة صلة اية صلة بالحياة والنمو حتى لقد اثبت أحدهم انه اذا ازيل البوتاسيوم من مجرى الدم توقف القلب عن الخفقان

\*\*\*

وعنصر البوتاسيوم من اعجب العناصر المعدنية التي لها صلة بالحياة ولا سيما بنمو انساج الاجنة الا ان البوتاسيوم المضوي الذي يوجد في الجسم قوامه ثلاثة نظائر البوتاسيوم الموسومة بالارقام ٣٩ و ٤٠ و ٤١. ومن المؤكد ان النظير ٤٠ ومن المرجح ان النظير ٤١ يقذفان « الكترونات » وهي اشعة بيتا و « جمات » او اشعة اكس نعم ان الاشعاع الذي تقذفه ذرات هذين



بإضافة نظير البوتاسيوم ٤١ الى المحلول الذي تروى به . وانه اذا أخذت مائة بذرة وظهر ان متوسط ما ينتش منها هو ٢٠ بذرة ثم أضيف النظير ٤١ من البوتاسيوم او ذلك العدد زيادة كبيرة لا يسوغها الاحمال الرياضي

ويؤخذ من مباحث الدكتور برور نفسه انه يلوح له ان الجانب الاكبر من مقدار النظير ٤١ الذي في جسم مجتمع في انساج الجنين . وهو في نخاع العظم اكثر منه في سائر انساج الجسم ويقل بتقدم سن الحيوان ومما يستوقف النظر ان الحيوان اذا أصيب بنوام سرطانية ظهر فيه مقدار من هذا النظير يزيد على المقدار السوي المألوف

على ذلك انه اذا عرض القلب لاشعاع مادة مشعة عاد الى الخفقان . ثم ايد الدكتور جاك لوب في معهد ركفلر الطبي هذه النتائج . ووجد في خلال بحثه ان وضع قدر من عنصر الكيزيوم في الدم بدل البوتاسيوم يعيد القلب الى الخفقان

\*\*\*

بعد هذا اتجه التفكير الى التكن . فقال الباحثون اذا كان للاشعاع هذا الشأن الكبير في خفقان القلب فاعل الشأن الاول في ما يخص البوتاسيوم انما هو لنظيره المشع أي للنظير ٤١ ومما عزز هذا الاتجاه تجارب جربت في مدينة راج عاصمة تشكوسلوفاكيا . فقد ثبت من هذه التجارب ان انتشار البزور يزداد

### سفن الهواء في المستقبل

#### رأي سيكورسكي

جانبا من حياتها في الماء والجانب الآخر على اليابسة كالضفادع وقد اعرب سيكورسكي عن رأيه حديثا في مجلة مهندسي الطيران فقال انه يتوقع ان تكون طائرات الركاب سنة ١٩٥٠ ضخمة الحجم وزن الطائرة منها مليون رطل وتتسع لالف راكب . اما في السنوات الخمس المقبلة فينتظر ان تبلغ طائرات الركاب خمس الحجم الذي يتوقعه لها سنة ١٩٥٠ اي يبلغ وزن الطائرات نحو ٢٠٠ الف رطل وتبلغ سرعتها ٢٥٠ ميلا في الساعة وهي تطير طيرا نامتواصلا على علو ٢٥ الف قدم فوق سطح الارض

اجبر سيكورسكي روسي الاصل فر من روسيا عند وقوع الانقلاب البلشفي ورحل الى اميركا . وكان منذ صغره معنيا بصناعة الطائرات وصنع طائفة منها لحكومة روسيا القيصرية في اثناء الحرب الكبرى . ولكنه بعد كفاح عنيف في اميركا اصبح في مقدمة صانعي الطائرات في العالم وهو على ما نذكر اول من صنع الطائرة « الامفيبية » اي التي تستطيع ان تحط على الماء او اليابسة وقد دعت بالامفيبية تشبيها لها بالحيوانات الامفيبية ( البرنية كما ترجمت في بيروت والقواذب كما يقترح الاب انستاس تسميتها ) وهي التي تعيش



## العناصر في الشمس

بعد ما اكتشف العلماء المطياف تمكنوا بواسطته ان يعرفوا ما في الشمس من العناصر التي كُشفت على الارض . وعدد العناصر الارضية كما هو معلوم اثنان وتسعون عنصراً . وقد كشف منها في مادة الشمس حتى الآن واحد وستون عنصراً هي كما يلي :

ايدروجين	منجنيس	انتيوم
هليوم	حديد	باريوم
ليثيوم	كوبلت	لاتالوم
بريليوم	نيكل	ساماريوم
بور	نحاس	برازيليوم
كربون	خارصيني	نيوديليوم
نيتروجين	جاليوم	سيريوم
او كسجين	جرمانيوم	اوربيوم
فلور	روبيديوم	جادولينيوم
صوديوم	سترونتيوم	دسبروزيوم
مغنيزيوم	كولومبيوم	اريوم
الومينيوم	مولبدنيوم	توليوم
سليكون	روثينيوم	اتريوم
فسفور	اتريوم	لوتيسيوم
كبريت	زركونيوم	هفنيوم
بوتاسيوم	روديوم	تنجستن
كاسيوم	بالاديوم	اوسميوم
سكانديوم	فضة	اربيديوم
تيتانيوم	كاديوم	بلاتين
فناديوم	انديوم	رصاص
كروم		

## طائرة «الزيج الالهى»

من عجائب الطيران في العهد الاخير فوز الطائرة اليابانية المعروفة باسم «الزيج الالهى» بالطيران من طوكيو الى لندن في ٩٥ ساعة والمسافة نحو عشرة آلاف ميل وهو من معجزات الطيران البعيد المدى . لانه يعني ان متوسط السرعة خلال اربعة ايام بلياليها بما فيها ساعات الوقوف زاد على مائة ميل في الساعة

\*

## هل تعلم

ان الفيلسوف ارسطوطاليس وصف مائة وسبعين طائراً في كتاباته العلمية  
ان في جسم الطفل احدى عشرة عظمة  
أكثر مما تجده في جسم البالغ وذلك لان  
بعض العظام في الجمجمة والسلسلة الفقرية  
تكون منفصلة فيه ثم تلتحم  
ان في جبال الالب نحو الفى نهر جليدي  
( ثلاثيات )

ان ازدحام السكان في مصر كان في تعداد سنة ١٩٢٧ ألفاً وخمسة وأربعين نسمة في الميل المربع  
ان على سواحل البحار المختلفة ٢٧٩ منارة  
لاسلكية ترشد السفن  
ان الانسولين جرب في تخفيف حالة  
المصابين بالآزما فأفاد  
ان الرومان القدماء كانوا يعتقدون ان  
الاكتار من أكل الكرنب يطرد المرض على  
نحو ما يعتقد الانكليز وغيرهم في هذا العصر  
من ان أكل قفاحة كل يوم يقضي الطيب



## الالوان واقبال الدم عليها

أو نفورها منها

جاء من مقال نشر في مجلة هاربرز الاميركية ان الامم تختلف في ميلها الى مختلف الالوان . فمن البعث ان يسعى البائع الى بيع سيارة في اليابان مدهونة باللون الاحمر لان ذلك مناف للذوق الياباني . وقلما نرى في انكلترا سيارة مدهونة باللون الاخضر لان العامة تتوهم ان سيارة بهذا اللون شؤم على صاحبها ومن يركبها . وفي الصين يعتبر اللون الابيض لون الحداد . وتروى رواية عن شركة لبيع البنزين في الصين جمعت لون محطاتها ايض فافلست

\*

## تسمم الدم

بعد حرق شديد

يؤخذ من بحث القاه الدكتور هدل روي روزنتال في مؤتمر جمعية علماء المناعة الاميركيين ان تسمم الدم الذي يحدث على اثر حرق شديد، يحدث في بعض الاحيان صدمة قوية قد تقضي الى الوفاة . وان هذا التسمم سببه تولد مادة سامة في الجسم على اثر الحرق وقد تمكن من عزلها في اجسام المحروقين ووجد كذلك في اجسام المصابين الذين شفيوا مواد مضادة للتسمم بها وفعل المادة السامة ياتي عن طريق تأثيرها في جدران الاوعية الدموية فتجعلها قابلة لاختراق سائل الدم لها فيتسرب من الاوعية الى خارجها فيبطيء انسياب الدم في الاوعية الدموية الدقيقة

## غرائب الحمام الزاجل

٧٢٠٠ ميل في ٢٤ يوماً

في ١٥ اغسطس سنة ١٩٣١ اطلقت في آراس بشمال فرنسا حمامة من الحمام الزاجل وكان الغرض من اطلاقها امتحان قدرتها على الرجوع الى بلدة سايجون في بلاد الهند الصينية والمسافة بين آراس وسايجون ٧٢٠٠ ميل . فوصلت هذه الحمامة الى سايجون في ٩ سبتمبر سنة ١٩٣١ اي بعد انقضاء اربعة وعشرين يوماً على اطلاقها في آراس ففاقت بذلك كل ما عرف عن الحمام الزاجل من هذا القليل . ذلك ان قصب السبق في هذا المضمار كان لحمامة اطلقت في بلدة كاراكاس بفنزويلا فعادت الى بروكلين بنيويورك والمسافة بينهما ٢٢٠٠ ميل . واطلقت حمامة اخرى من فالنسيبورو بولاية ماين الاميركية فعادت الى عشها في بلدة سانت انطونيو بولاية تكساس والمسافة بينهما ٢١٠٠ ميل

\*

## اكتشاف مقاومة الجسم

للميكروبات بين الشتاء والصيف

قرىء تقرير في اجتماع جمعية الباثولوجيين والبيكتريولوجيين الاميركيين وضعه الدكتور للي درابر وارمسترونغ وباسترنالك من اطباء المعهد القومي الصحي الاميركي جاء فيه انه ثبت لهم من تجارب جربوها في الفترة ان الجسم انشط في مقاومة الميكروبات في فصل الشتاء منه في فصل الصيف



## مصل للنزلة الرئوية

افعل من المصل المستعمل الآن وأرخص  
وصف الدكتور روفوس كول أحد اطباء  
المستشفى في معهد روكفلر الطبي بنيويورك  
في مؤتمر عقده القائمون على شؤون الصحة  
العامة في اميركا الشمالية طريقة جديدة لصنع  
مصل للنزلة الرئوية (النومونيا) أفعل من  
المصل المستعمل الآن وأرخص

ولباب هذه الطريقة استعمال الارانب  
بدلاً من الخيل لتوليد المصل في دمها  
وعنده ان المصل الجديد المولد في دماء  
الارانب أفعل من المصل المولد في دماء  
الخيول لان جزيئات المواد الكيميائية المعروفة  
باسم الاجسام المضادة أصغر في مصل الارانب  
منها في مصل الخيل . وهي بذلك اقدر على  
التغلغل في انساج الجسم ومكافحة ميكروبات  
النزلة الرئوية

ولا يخفى ان القدرة على مكافحة ميكروب  
النزلة الرئوية ( نوموكوكوس ) يتوقف على  
وصول مقدار كاف من هذه « الاجسام المضادة »  
الى الجسم لتمد بالمعونة « الاجسام المضادة »  
المتولدة في الجسم نفسه

\*

## تثليث الزوايا

أكد الرياضيون من اقدم الازمان ان  
تثليث الزوايا مستحيل . ومع ذلك عرضت  
طريقة على احد اساتذة الرياضيات بجامعة

كولومبيا لتثليث الزاوية ، وكان عارض هذا  
الحل فتى في الحادية عشرة من العمر فاضطر  
الاستاذ ان يشتغل ثلاثة اسابيع قبل ان يتبين  
موقع الخطأ في الحل المعروض عليه

\*

## قياس سبيل اللعاب

جربت تجارب من عهد قريب غرضها  
فهم البواعث التي تحمل غدد اللعاب على افراز  
لعابها . فصنع جهاز لقياس مقدار اللعاب الذي  
يفرز في احوال مختلفة ، وتقدم احد المتطوعين  
لتجربة التجارب فيه . فلفظت امامه اولاً كلمة  
« كعكة » فسجل الجهاز افراز مقدار يسير من  
اللعاب . ثم عرضت عليه صورة فوتوغرافية  
سوداء وبيضاء لكعكة فزاد مقدار ما افرز من  
اللعاب . ثم عرضت عليه صورة فوتوغرافية  
ملونة لكعكة فزاد مقدار ما افرز من اللعاب  
على ما تقدم . ثم عرضت عليه كعكة حقيقية ،  
فاذا الجهاز يسجل سيل مقدار كبير جداً من  
اللعاب في الفم

\*

## تعليم الزراعة بالقروة

تجري الهند الآن على خطة رشيدة في  
تعليم الزراعة للجمهير الشعب وذلك باقطاع اراض  
لحريجي الكليات الزراعية بها يحرثونها  
ويستغلونها فينشروا بالقذوة القواعد الزراعية  
العصرية بين طبقات الزراع الهنود



# مكتبة المقتطف

## الثورة العراقية والاضطراب الاجتماعي

تأليف الاستاذ عبد الرحمن الراجحي بك

مطبعة النهضة : سنة ١٣٥٥ و سنة ١٩٣٧ : عدد الصفحات ٥٨٣

اعلمي احد الافراد القلائل الذين أتيح لهم استيعاب أغلب ما كتب عن الثورة العراقية . حتى لقد بلغ من فرط شغفي بذلك وشدة حرصي عليه أنني مرضت من بضعة سنين مرضاً — ظنن أنه مرض الموت — فكان آخر ما فكرت في أن أتزود به بعد كتاب الله الكريم ، هو قراءة محاضر التحقيق مع الثوار للمرة الثانية قراءة تحقيق وتدقيق كأنها ستكون بعض سؤال الملمكين

لقد كانت الثورة العراقية حركة قومية ونهضة وطنية — ما في ذلك أقل شك ولا أدنى ريب — ولعل قلب مصر لم يخفق في القرن التاسع عشر من عهد محمد علي إلا عند ما بلغت تلك الثورة أشدها، واستوت على سوقها، وأوشكت أن تؤني أكلاها . فقد تبهت الخواطر ، وازدهر الشعور الوطني . وامت الحركة الفكرية . وسادت الحمية المصرية ، واستثيرت الهمم الفائرة ، واستحثت الغرائم الحائرة . فتحررت النخوة في النفوس ، وذكت الحماسة في الصدور ، وعلم من لم يعلم أن مصر قد عرفت ما لها من الحقوق الى جانب ما عليها من الواجبات . وانها كادت تنبوء مكانها اللائق بها بعد ان سلبته مراراً بغيّاً وظلماً . فبعد ان كان السبب المباشر للثورة تدمير الضباط الوطنيين من سوء معاملة رؤسائهم من الشراكسة والأتراك ، وعدم مساواتهم بهم في الترفي الى المناصب الرئيسية تطورت الى المطالبة بتحسين حالة الجيش ، وزيادة عدده ، وتأليف مجلس نيابي على أحدث النظم ، ثم انقلبت الى شعور مرير من التدخل الاجنبي في شؤون البلاد ، وضرورة وضع حد لذلك . ومن يدري ما كان يكون لو تحققت هذه الآمال ولم تقف انكفراً — بمؤازرة فرنسا وتردد تركيا وضعف الحديوي — حجر عثرة في سبيلها . فأغلب الظن انهم كانوا يطالبون بالانفصال عن تركيا وتحقيق الاستقلال التام لمصر والسودان

ولو قيضت الاقدار النجاح لتلك الثورة ولم تتألب عليها جميع العوامل الداخلية والخارجية لبقي عرابي زعيم الزعماء الى أبد الآبدين — ولكننا اليوم بصدد الاحتفال بالعيد الذهبي لاقامة تمثيله في مختلف الانحاء — ولكنه أخفق وبالإلحاف وأخفقت معه أمانيه



والناس، من يلقَ خيراً، قائلون له ما يشتهي، ولأُمّ الخطأ الهبلُ  
ومن ثم أصبحت الثورة وبالأعلى مصر وعلى السودان، وعلى القومية والوطنية والاخلاق  
جميعاً. وكان وما يزال المؤرخ المصري يتخرج من الكتابة عنها بشجاعة وحرية وصراحة لعدة  
اسباب، ليس اقلها شأنها كونها تتعلق بأسلاف الكثيرين من كرام المواطنين — جلهم أعزة  
على المصريين — على ما سلف من آباءهم، فحسبهم انهم في موقفهم يتشبهون الى حد ما بالخير  
من الصحابة الذين انحدروا من اصلااب أمة الكفر

ولكن المؤرخ المحقق والوطني العامل الاستاذ الجليل عبد الرحمن بك الرافعي، فرع  
الدوحة الرافعية النبيلة ورث فيما ورث عن جده الاكبر — عمر الفاروق — أنه لا يخشى في  
الحق لومة لائم — فوفق الى أبعد حدود التوفيق في تاريخ الحركة القومية بعد ان درسها  
درس العالم الخبير وألم بموضوعاتها المأماً ما انبغى لاحد من قبله — وبلغ الغاية في كتابه الاخير  
( الثورة العرابية والاحتلال الانجليزي ) حيث ابرزه في مجلد ضخم بلغت صفحاته نحو الستمائة  
وضمنه مقدمة وتسعة عشر فصلاً هي خير ما أخرج للناس في موضوعها، فقد احاط بمقدمات الثورة  
واسبابها واشخاصها ووقائعها ونتائجها، بحيث اصبح سفره سجلاً تاريخياً وافياً لجميع الحوادث  
والاحداث التي تلت بمصر من ٢٦ يونيه سنة ١٨٧٩ الى يوم ٢ يناير سنة ١٨٨٣، وبعبارة أخرى  
من أول عهد الحديوي توفيق الى ان صدر آخر حكم على آخر من حوكم من الثوار

ولقد عني الاستاذ الكبير بترتيب الحوادث وتسلسل التواريخ وتنسيق الوقائع، عناية من  
شأنها أن تيسر لقل الناس ادراكاً تفهم هذا الدور الدقيق من تاريخ البلاد. فذكر أن عوامل  
الثورة ترجع الى اسباب خاصة وأخرى عامة. وقسم هذه الاخيرة الى سياسية واقتصادية  
 واجتماعية — وهذه وتلك أصدق ما كتب في هذا الصدد — وأسهب في التكلم عن ميلاد  
الثورة وطفولتها وشبابها وشيوخها، ومختلف الوزارات التي عاصرتها، وما قامت به كل منها من  
ضروب الاصلاح والافساد. مبيناً في انصاف المؤرخ ما لها وما عليها دون ان يغادر صغرة  
ولا كبيرة الا احصاها. وتناول الكلام — اثناء ذلك — على دستور سنة ١٨٨٢، وتدخل  
الدولتين الانجليزية والفرنسية في شأنه وما ترتب على هذا التدخل. وشرح ما قام به مجلس  
النواب في دورته القصيرة — الاولى والاخيرة — من جلائل الاعمال. ثم ما تلا انفضاضه  
من ظهور الفتن، وتتابع الاحداث من اغراء العداوة والبغضاء بين الحديوي والثوار، الى  
( مذبح ١١ يونيه )، وعقد مؤتمر الاستانة، وضرب الاسكندرية، وانضمام الحديوي الى  
الانجليز، وعزل عرابي، واعلان هذا الاخير بدوره عزل الحديوي وعدم طاعة أوامره.  
والمعارك الحربية التي دارت من ذلك التاريخ حتى انهزام الجيش المصري في موقعة التل الكبير،



وما كان من موقف الأمة من كل ذلك التاريخ بالتفصيل والايضاح . وتسليم العربيين ومحاكمتهم والحكم عليهم وما عقب ذلك من الانحلال الخلقى الشأن المروع ، حيث ساد البلاد جو قائم من الدس والسعاية والوشاية مما يعف القلم عن الخوض فيه . ثم تناول في أدب العطاء ودقة العلماء ولباقة الزعماء تحليل شخصيات زعماء الثورة ، وأنصفهم غاية الانصاف ، فلم يستشهد على رأيه فيهم إلا بأقوال أصدقائهم . وهذا هو منتهى العدالة . وأخيراً تكلم عن اسباب اخفاق الثورة كلاماً أوتي فيه الحكمة وفصل الخطاب

والخلاصة ان الاستاذ المؤرخ قد افتن في بسط الاسباب ، واستخلاص النتائج ، وتحليل الشخصيات ، والتعليق على الحوادث ، وإيراد أصدق الشواهد ، وأعدل المصادر وأنصح الآراء . كل هذا بأساس عبارة وأبلغ بيان وأصدق برهان بحيث لم يدع محلاً لنقد الناقد أو زيادة لمستزيد ومن عجب أنني حاولت أن أقتبس بعض ما أعجبت به من آرائه القيمة كتعليقه على موقف زكي ( ص ١٦٦ و ٣٢٤ ) ، ومؤامرة الضباط الشراكسة ( ص ٦٦٢ ) ، وموقف الحديو ( ص ٢٧٠ ) ، ومذبحة الاسكندرية ( ص ٢٩٨ ) والوطنية المصرية ( ص ٢٦٢ ) ، وجهل عرابي ( ص ٤٣٢ ) ، وشرعت في ذلك بالفعل ولكن لم أجدها خيراً من باقي الكتاب والقيمتي بعدمضطراً أن أنقل الكتاب كله للقراء ، والأقل أن أستطيع أن أوفيه حقه ولا بعض حقه وبعد فقد أحسن عبد الرحمن بك الرافعي الى الأمة والى التاريخ بتلك السلسلة الرائعة عن الحركة القومية وأخصها كتاب الثورة العرابية . ولا أدري هل يجدر بالمصري الذي لا يقنئها باعتبارها أدق المواقف في ماضي بلاده القريب ، وأكثرها خطورة وحساسية ، ان يفاخر بمصريته !! في الحق انه من العار ان يعيش مصري مثقف في هذا العصر وهو مجهل المآسي التي مثلت على مسرح البلاد في القرن الماضي

وفي الحق ايضاً ان اطالب الاستاذ الجليل بأن يتفضل باعادة طبع تلك السلسلة الثمينة طبعة متواضعة لتكون في متناول ايدي المتوسطين والفقراء الذين يريدون ان يطلعوا على كل شيء وهم لا يكادون يملكون شيئاً

بقي انني لم اعرف الا من هذا الكتاب ان رفات شهدائنا في موقعة التل الكبير لم توضع مقبرة ظاهرة حتى اليوم ، في حين ان الانجليز قد كرموا قتلاهم بها . وذكرني ذلك بما علمته وأنا بكردفان بالسودان ان رفات شهدائنا في مذبحة هكس باشا لا تزال اكداً مكدسة في شبه تلول لم يكن يدفن فيها احد للآن . وأظن انه قد آن الاوان لان تعني الامة في عهدها الجديد

حامد القرضاوي

بهؤلاء وأولئك

مؤلف (ضحايا مصر في السودان)



## الفن في مصر في عصر البطالسة

للدكتور ابراهيم نصحي

The Arts in Ptolemaic Egypt. by Dr. Ibrahim Noshy.

كتاب جديد ، ولكنه ليس كغيره من الكتب . فموضوعه طريف لم يؤلف فيه مصري قبل اليوم . وطبعه أنيق يشعر بما للقايمين على مطبعة جامعة اكسفورد Oxford University Press من ذوق جميل وخبرة واسعة . اما المؤلف الدكتور ابراهيم نصحي فن خيرة شبابنا المثقف ومن هيئة التدريس في كلية الآداب . وقد كان كتابه الذي نحن بصدد الان الرسالة التي تقدم بها للحصول على شهادة الدكتوراه من جامعة لندن . وحسبك تزكية لهذا المؤلف ان يرحب به ناشرو جامعة اكسفورد ويأخذوا على عاتقهم اصداره في هذه الحلة القشبية ولا ريب في ان الدكتور نصحي كان موفقاً كل التوفيق في اختيار هذا الموضوع ، لاتصاله بثقافتنا الفنية اولاً ، ولان علماء الآثار ومؤرخي الفنون اقبلوا على دراسة الفن الفرعوني او الفن الاغريقي ، ولكن ندر من بينهم من وقف جهوده على بحث نتائج الجوار بين اساليب هذين الفنين على يد البطالسة في وادي النيل

فكلنا نعرف ان تقسيم امبراطورية الاسكندر بعد وفاته كان من نتائج ان آلت مصر الى بطليموس احد قواده يحكمها معترفاً بوريثي الاسكندر وها اخوه غير الشقيق وابنه الصغير . وتولى بطليموس حكم مصر سنة ٣٢٣ ق . م فعمل على الاستقلال بامرها حتى استطاع ان يتخذ لقب الملك سنة ٣٠٥ ق م فأسس بذلك أسرة البطالسة المقدونية الاصل وهي التي ظلت تحكم مصر حتى هزم الرومان كليوباترة في واقعة اكتيوم سنة ٣١ ق . م فأصبح وادي النيل جزءاً من الامبراطورية الرومانية

ومع ان البطالسة كانوا اغريقاً في حياتهم الخاصة ، وظلت الصبغة الاغريقية تسود بلاطهم في الاسكندرية ، فقد عملوا على التقرب الى المصريين بتقليد فراعنتهم القدماء والاخلاص لآلهتهم الوطنية وتشديد ما هدمه الفرس او تطرق اليه الدمار من المعابد القديمة ، مقلدين في اصلاحاتهم او عمارتهم اساليب الطراز المصري القديم في العمارة والنحت والزخرفة كما تشهد بذلك معابد فيلة وادفو ودندرة واسنا وكوم امبو وقصارى القول ان حضارة البطالسة كانت اغريقية الاصل ولكن سياستهم الدينية كانت تتطلب احياء الفن الفرعوني القديم بوصف كونه اداة الديانة القديمة واكبر ممثل لها . ومن ثم فان الجمع بين اساليب الفنين الاغريقي والفرعوني جمعاً يعتبر صدى للاتحاد السياسي الذي كادت تحققه احلام الاسكندر وامبراطوريته ، نقول ان هذا الجمع لم يسع



إليه البطالسة دائماً بل أنهم كانوا لا يرحبون به ، رغبة منهم في ان يثبتوا بأساليب الفن الفرعوني القديم أنهم ملوك شرعيون لدولة عريقة في القدم والحضارة وليسوا حكام اقليم يخضع لبلاد الاغريق ويتخذها قدوةً واماماً . وهكذا نرى ان سياسة البطالسة الخارجية وسياساتهم الدينية تأزرتا في نهج منهاج المصريين القدماء واحياء الاساليب الفنية التي كانت سائدة في عصر النهضة المصرية قبل ان يغزو الفرس وادي النيل

ولكن على الرغم من ارادة البطالسة أنفسهم فان تيار الثقافة الاغريقية غمر مصر كما غمر سائر اقطار الشرق الأدنى فأصبح الفن في عصر البطالسة مزيجاً من الاساليب الفرعونية والاساليب الاغريقية ، وأثر فيه كل التأثير ما عرف عن الفن الاغريقي في النحت من حرص على دقة تصوير أجزاء الجسم وعناية بأظهارها على حقيقتها

والدكتور نصحي يبسط لنا في كتابه التأثيرات الاغريقية والتأثيرات الفرعونية في عمارة البطالسة وفي نحتهم . فيبدأ بمقدمة عامة يدرس فيها حالة سكان مصر في عصر البطالسة وهم الذين يعتبر الفن في هذا العصر مرآة لهم ومعبراً عن حضارتهم . ويبين المؤلف أن تغير الظروف السياسية منذ نهاية القرن الثالث قبل الميلاد أضعف الروح الاغريقية في مصر الى درجة محدودة ويرى ان هذا لم يكن نتيجة امتزاجهم بمصر او تأثرهم بشيء منها بل نتيجة تحول الروح الاغريقية في وسط جديد وتحت ظروف جديدة (ص ١٤) . ويستخدم المؤلف في التعبير عن هذا القول عبارة للاستاذ روستوفتسيف Rostovtzeff . ونحن لا نرى رأياً في هذا الميدان لاننا نقول بأن ذلك الوسط الجديد وتلك الظروف الجديدة ترادف تماماً امتزاج الاغريق بمصر وتأثرهم بها . وعلى كل حال فان الدكتور نصحي يشرح من ناحية أخرى تأثير الاغريق في المصريين ويبين ان بعض المصريين تعلم الاغريقية واتخذوا اسماء الاغريق وملابسهم وغير هذا من المظاهر ولكن ظلت الاكثية الساحقة من الشعب مصرية حتى الصميم

\*\*\*

وينتقل المؤلف بعد ذلك الى الكلام عن العمارة بادئاً بالقبور عند الاغريق وعند الفراعنة وعند البطالسة فنراه يدرس خصائص كل منها في دقة علمية كبيرة ثم يقارن بينها ليصل الى النتائج التي يثبتها في آخر هذا القسم من كتابه وهي ان قبور المصريين في عصر البطالسة كانت مصرية الطراز غير متأثرة بالفن الاغريقي ولكنها كانت فقيرة بندر وجود المعابد فيها ولا يعنى بنائها ولا ترخرف منها الا الاضرحة والتوابيت ويكثر فيها دفن عدد من الموتى في مقبرة واحدة . غير انه من الصعب ان تقابل هذه القبور بمدافن المصريين القدماء الذين كانوا اكثر مالا واعظم قوة وكانوا السادة الحقيقيين في بلادهم



ويتبع الاستاذ نصحي نفس الطريقة العلمية السديدة في درس المساكن عند الاغريق وعند  
الفراعنة وعند البطالسة فيظهر اطلاعه الواسع والملمه الوافي بأطراف الموضوع ويصل الى ان  
اليوت في عصر البطالسة ظلت اما اغريقية ولما فرعونية ، فأهل الاسكندرية كانت لهم بيوت من  
طرازين : الاول يشبه البيوت التي عرفت في القرن الثالث قبل الميلاد بمدينة Priene والثاني  
يشبه البيوت التي عرفت في القرن الثاني قبل الميلاد بجزيرة ديلوس . ويظهر انه كانت هناك بيوت  
اغريقية في مدينة بطوليميس بمصر العليا وفي بعض مدن الفيوم وفي نقراطيس . بينما كان المصريون  
والاغريق يتخذون في سائر المدن المصرية بيوتاً مصرية تشبه التي عثر على انقاضها في تل الحمارنة

\*\*\*

ثم يأتي دور المعابد فيذكر الدكتور نصحي ان البطالسة شيدوا بعضها لآلهة الاغريق كما شيدوا  
لآلهة المصريين القدماء ، ولكن لسوء الحظ لم تصل اليها اي آثار خطيرة لمعبد اغريقي الطراز  
وان تكن قد وصلنا بقايا معبد من الطراز الدوري Doric ويظهر انه كان اغريقياً بمحتأ كما  
وصلنا ايضاً بقايا عناصر معمارية عليها طابع مدينة الاسكندرية المحلي ولكنها رغم ذلك من شتى  
الطرز اليونانية

ويبين المؤلف ان المعابد المصرية في عصر البطالسة كانت مصرية التصميم والحارة والزخرفة  
وانها تمتاز بظاهرتين : الاولى نوع الاعمدة ذو الطراز المركب ويرى الدكتور نصحي انه  
طراز قديم اهتمدى اليه المصريون انفسهم في عصر سايس اي في عصر النهضة التي تلت سقوط  
الدولة الحديثة . والظاهرة الثانية هي الجدران التي يسمونها الحاجزة او الساترة screen-walls  
or curtain walls وقد اظهر المؤلف انها ليست من اختراع البطالسة بل عرفت قبلهم الدولة  
الحديثة في الكرنك ومدينة حابو كما عرفت الاسرة الثلاثون في مدينة حابو وفيلة . ويمكن  
تفسير استخدام هذه الجدران الحاجزة ذات النوافذ بالرغبة في ادخال قدر كبير من الضوء  
والهواء الى داخل المعبد

ويصل المؤلف في هذا الفصل الى نتيجة هامة جداً . وهي ان الحارة الدينية في عصر  
البطالسة كانت في الغالب اما اغريقية بمحتة ولما مصرية بمحتة وان المزج بين الطرازين لم يتجاوز  
بعض تفاصيل الزخرفة . وهذا يخالف المعروف حتى الآن . وعلى الرغم من الادلة القوية التي  
يسوقها الدكتور نصحي فاننا لا نسمعنا ان نسلم بها على طول الخط قبل ان يتاح لنا درس  
الكتاب كله درساً وافياً والاطلاع على الاثر الذي يحدثه في اوساط علماء الآثار ومؤرخي الفن  
من هم اوثق منا اتصالاً بهذا العصر من تاريخ الفن المصري



أما عن النحت فقد ضمن المؤلف كتابه دراسة ممتعة أظهر فيها الصبغة الاغريقية التي سادت أكثر منتجات المثاليين في الاسكندرية كما سادت نقوش العملة في عصر البطالسة بينما كانت التماثيل المصرية في سائر انحاء البلاد مصرية الطراز. وان تكن هناك حالات يلاحظ فيها محاولة المزج بين الطرازين الاغريقي والفرعوني. ثم أظهر الزميل الفاضل ما أصاب النحت في الاسكندرية منذ ابتداء القرن الثاني قبل الميلاد حين انقطع سيل المهاجرين الاغريق وحين تعصب البطالسة للمصريين وازدادوا في التقرب منهم بل وذهبوا الى حد اضطهاد الاغريق فقلَّ طلب التماثيل الاغريقية وانحطت صناعتها

وهكذا نرى ان الدكتور نصحي يبشر في كتابه الجديد بآراء لها خطرها ويمكن تلخيصها في ان الفنين الاغريقي والفرعوني احتفظ كلاهما بذاتيته في عصر البطالسة وان محاولات المزج بين هذين الطرازين كانت قليلة وغير موفقة حتى ليكننا اعتبارها انعكاس اهواء فردية او ذوقاً قسياً غير ناضج. ولسنا اليوم بصدد مناقشة هذه الآراء فائتاً — وان كنا نهم بكل ما يمس تاريخ الفنون المصرية — لا نملك حق الحكم على البحوث احد الاختصاصيين في عصر من العصور قبل ان نلّم بأطراف الموضوع ونستشير باقوال غيره من الاختصاصيين

ولكن الدكتور نصحي يستحق على هذا المؤلف الثمين وعلى صوره البديعة وآرائه الخطيرة وطريقته في البحث والتدليل كل الحمد والثناء وحسبنا أنه مصري يساجل علماء الآثار بالحجة بالحجة ويدفع ما تهتم به من اتنا قوم لا تقاليد فنية لنا ولا يمكن ان تجذبنا دراسة الفنون والآثار

زكي محمد حسن

أمين دار الآثار العربية

### كتاب الوراثة

تأليف الدكتور احمد فاضل الحشن — مدرس الوراثة وتربية الحيوان بكلية الزراعة  
٣٥٠ صفحة قطع المقتطف — دار النشر الحديث

من الامور المسلم بصحتها ان الأولاد يشبهون والديهم ، ولكن هذا الشبه لا يتناول جميع الخواص والصفات ، بل هناك تباين كبير ، يصدق هذا القول على النبات والحيوان صدقه على الانسان . والعلماء الذين انقطعوا لدراسة الوراثة غرضهم الوقوف على الأسلوب الذي تجري عليه الطبيعة في احداث هذا التشابه العام وهذا التباين الخاص ، وهو موضوع يستهوي العقل من ناحيته النظرية ، لان العقل الانساني يتطاع أبداً الى كشف المجهول . وكل كائن حي اذا



نظرنا إليه من حيث مشابهته لوالديه أو تباينه عنهما لغرض يمضُّ العقل ويستتقرُّه إلى البحث والفهم . ثم أنه موضوع له نواحيه العملية في تحسين النبات والحيوان . إذ ليس هناك ما يحول دون تجربة التجارب وتطبيق المكتشفات عليهما . وأما في ما يخص الإنسان فسبق هذا التطبيق متعذراً إلى أن تبيحه طبيعة الاجتماع البشري

حاول الباحثون في القرون السابقة محاولات عديدة غرضها إزاحة الستار قليلاً عن أسرار الوراثة ، ولا سيما وراثته بعض الصفات الظاهرة ، كلون العين ، والنزف الوراثي ، وما يعرف « بشفة هبسبرج » . وبعد ما قضى دارون سنين في دراسة ناحية واحدة من الموضوع قال : « إن جهلنا بقوانين الوراثة وأصل الأنواع جهل بالغ » ومات وأسرار الوراثة لا تزال محجبة عنه ولسنا نقول إن أسرارها قد أصبحت جميعاً لعلماء اليوم . ولكننا بدأنا نفهم الأساليب التي تجري عليها الطبيعة في أحداث التشابه والتباين بعض الفهم ، وذلك بفضل البحوث التي قام بها عشرات بل مئات من العلماء . يتبادر إلى الذهن منهم مندل وقيسمن وده فريز ومورغن

كان الرأي الغالب إلى مطلع القرن العشرين أن البيئة مردُّ التحول البطيء المتدرج في الاجسام الحية ، الذي يفضي على مر الزمن إلى خلق أنواع جديدة من الكائنات الحية . ولكن هذا التفسير لم يكن مقنعاً كل الاقناع . فقد عرف من أقدم عصور التاريخ أن الصينيين كانوا يضعون اقدام اناثهم في قوالب لابقائها صغيرة . ولكن ذلك لم يفض بعد إبطال هذه العادة إلى توريث الاجيال الجديدة من الصينيين اقداماً صغيرة

ثم عثر العلامة الهولندي ده فريز على نوع جديد من زهر الربيع نامياً نمواً برياً في حقل خارج امستردام . فأخذه وجرب تجاربه فيه فوجده يتناسل تناسلاً صريحاً . فقال هو ذا دليل على أن النوع الواحد من نبات يستطيع أن يخلف فجأة نوعاً جديداً قائماً بذاته فدا ذلك بالتحول الفجائي mutation

فكان القول بالتحول الفجائي الحافز إلى أسلوب جديد من البحث في الوراثة . وهو أسلوب مناسبة الاحياء ومراقبة ما يحدث فيها من التحولات الفجائية . فانتقل التطور والوراثة ، بهذا الاكتشاف إلى ميدان البحث التجريبي الخاضع للقياس والاحصاء والمراقبة

فلما اقبل توماس هنت مورغان الاميركي ، على هذا الاسلوب سنة ١٩٠٩ وكان في الثالثة والاربعين من عمره ، انفتح امام علم الوراثة باب واسع ، دخل منه إلى باحة النظرية « الصبغية » ( الصبغيات جمع صبغي هي الكلمة العربية التي وضعها مجمع اللغة العربية الملكي للفظ كروموسوم الاعجمي ) ، والنظرية الجريشمية ( جريشمة وجمعها جريشيمات كلمة مقترحة لتأدية معنى genes وهي



عوامل الوراثة التي تتألف منها الصبغيات بحسب نظرية مورغن ) والنظريتان معاً هما الأساس الذي يقوم عليه علم الوراثة في حالته الحاضرة

وليس النظريتان مما يسهل وصفه او تلخيصه في كلمات ، وقد نشرنا في مقتطف ١٩٣٢ سلسلة من المقالات للدكتور شريف عسيان بسّط قواعدهما ونواحي تطبيقهما . ومع ذلك لم يكن البحث بسيطاً إلا في نظر من كان ملماً بعلوم الاحياء الاساسية ومن بضع سنوات ، دخل بحث الوراثة اسلوباً جديداً ، لسنا نعلم ما يكون اثره ، ولكننا نعلم ان الأثر لن يكون يسيراً . وهذا الاسلوب ، هو الكشف عن ان اشعة اكس تكثر حدوث التحولات الفجائية ، فيتاح كذلك للمباحث اخضاع البحث في التحولات الفجائية لسيطرتيه ، وهي التي كانت لا يؤثر فيها لا ضغط ولا برد ولا حر

هذه المباحث العلمية الدقيقة الطريفة ، هي مدار هذا الكتاب العلمي النفيس الذي عني بوضعه عالم مصري طلب علم الوراثة على احد اساطينه المعاصرين ونعني الاستاذ كرو واليه اهدي الكتاب . وقد بدأ بمقدمة تاريخية اجمل فيها اهم التعاريف في علم الوراثة وأساليب دراسة الموضوع وما له من الشأن العلمي . ثم وقف الابواب الثلاثة التالية على مباحث مندل في الوراثة وملاسلها ، ومندل هو الراهب التشكوسلوفي الذي اكتشف قانوناً من قوانين انتقال الصفات الوراثية في العقد السابع من القرن الماضي وطواه في رسالة ، لم ينتبه لها إلا في مطلع القرن العشرين . ثم شرع المؤلف بعد ذلك في بحث الأساس المادي للوراثة ، أي الصبغيات والجسيمات وكيف تجتمع وكيف تفرق . وكيف يحدث في اجتماعها وافتراقها الصفات الوراثية المختلفة او التحولات الفجائية التي تحدث التباين

والموضوع من اوله الى آخره علمي دقيق ، ولذلك عني المؤلف باكتثار الرسوم والصور والجداول مبالغة في ايضاح المعاني ، ومع ذلك لا يمكن ان يقال ان هذا الكتاب في متناول كل احد يريد ان يفهم ما الوراثة وما اساليبها وما تفسيرها ، ولكنه وضع خاصة على ما يظهر لطالب هذا العلم

الآن ان فيه بعض فصول اقرب الى تناول الجمهور من غيرها كوراثة الصفات المكتسبة (١٢) ووراثة الامراض والعيوب الجسمية (١٣) والفصل الاخير الخاص بموضوع العلاقة بين الآباء وتأثيرها في الابناء ... الخ

ولسنا ندري لماذا استعمل المؤلف لفظ « التصنيف » ترجمة لفظ Variation الانكليزي ، وقد سبق استعمال تباين وتغاير وهما أدل على المعنى . واما تصنيف فقد استعمل في اللغة العربية ترجمة



## المختار

للاستاذ الشيخ عبد العزيز البشري

ليس بين قراء الصحف والمجلات وطلاب الادب العربي وعشاق الفصحى من يجهل اسم الاستاذ الشيخ عبد العزيز البشري أو من لم يقرأ له مقالاً أو فصلاً من الفصول المعروفة « بأما لي رمضان » و « اليوميات » أو من لم يسمعه محاضراً في المحافل أو في محطة الاذاعة . وليس بينهم الا كل معجب به كاتباً مجيداً طويل الباع ومداعباً ظريفاً خفيف الروح فكاهة الحديث بارع النكتة في عبارة مهذبة كريمة . وقد قلنا في مقتطف ديسمبر ١٩٣٥ عند صدور الجزء الاول من المختار « فالفصول التي يحتوي عليها هذا الكتاب من الآيات الادبية . فهي تمت من ناحية الى أعرق الاصول في ادبنا العربي المجيد ، ومن ناحية اخرى الى حياة الذهن المصري الحافل في هذا العصر بضروب المعاني المستحدثة والآراء الطريفة »

وهذا الجزء الثاني من المختار الذي اتحف به الاستاذ البشري عشاق البلاغة يضم بين دفتيه طائفة حسنة من البحوث في الفنون وعلوم البلاغة والموسيقى والاغاني المصرية والمغنين المصريين واذا كانت الفنون الجميلة ترقق العاطفة وتصلق الذوق وتسمو بالخيال وتلطف الحس فان في تخصيصه هذه الفصول بالموضوعات المتصلة بالفن لدليلاً يبيناً على رقة هذا الكاتب وما في أدبه من حلاوة وقد أعجبنا منه عرفانه لجميل كبار رجال الفن الموسيقي كعبده الجولي وسلامة حجازي وسيد درويش كما اكبرنا فيه حملته على « الطقاطيق » الجديدة الفاجرة وما فيها من مبانة للوقار والحشمة ولكن هذا الجزء ينطوي على طائفة أخرى من النقدرات اللطيفة التي تشيع في خلالها النكتة المرححة وقد تناول بها كثيراً من الاخلاق كالطفل والبخل والغرور والغباوة وغرابة الطباع والمباهاة الفارغة كما انه قرع بها ظهور بعض من فئات البشر كالشحاذين والشعراء ومساحي الاحذية والجمالين وعشاق الوظائف وسواهم . « فسلخ جلودهم » جميعاً بأسلوبه الطريف الذي اختص به وداعبهم بعبارة الرقيقة الحلوة التي يلتذ بها حتى الذين انتقدهم وأشار الى عيوبهم مع ما فيها من طعم حريف لا ذع

ومزية أدب الاستاذ البشري انه ثمة خبرة شخصية بهذه الاخلاق والجماعات التي وضعها على المشرحة وساعده على وضعها لغة طيبة وقلم مسعف وبيان ناصع وفكر عميق واحساس رقيق ومما زاد هذا البيان حلاوة ما تخلله من الكلمات العامة الشائعة وما عرفه من الاسماء والنعوت . وحسب القارئ ان يقرأ فصول « التطفل والمتطفلين » و « شعراؤنا والندابات » وغيرها ليضحك ملء شديقه ولكنه ضحك كالبكاء على هذه الاخلاق التي قصد الكاتب بالاشارة اليها ونقدها مداواتها



## صور من الحياة في جبل القلمون (سوريا)

تأليف يوسف موسى خنشت — هدية مجلة المسرة

لعل من أهم ما تحتاج اليه الدراسات الاجتماعية في الشرق العربي هو تلك المجموعة التي يسميها علماء الأنثوغرافيا (فوكلور) والتي تتألف من وصف عادات أبناء كل قطر من الاقطار وأخلاقهم وتقاليدهم وطرز حياتهم في مختلف أشكالها وأنماطها ، لأنه لا يمكن درس الأوضاع الاجتماعية في جماعة من الجماعات وأصلاحيها إلا بعد معرفة هذه الأوضاع ووصفها وصفاً علمياً يفيق مع الواقع ، وهي حقيقة أقرها علماء الاجتماع وأجمعوا عليها ، وأنه من المؤلم ما اعتاده أكثر الكتاب والادباء في أنحاء الشرق العربي من حرصهم على وصف ما هو بعيد عن الحس وألصق ما يكون بالخيال وترفعهم عن الاهتمام بالواقع ووصف مشاهدته ومظاهره حتى كان من جراء ذلك أن توارى في طبقات العدم كثير من صور حياتنا الاجتماعية دون أن يبعد أحد من الكتاب الى وصفه وتسجيله لتحفظ به الامة كتالدين يذكرها بالماضي ويفسر لها الحاضر ويعينها على فهم الطريقة التي يجب اتباعها في الإصلاح الاجتماعي الذي هي احوج ما تكون اليه لقد بسطنا ذلك لنبيين مقدار ما يستحقه من الثناء مؤلف كتاب صور من الحياة في جبل القلمون على عمله ، فلقد جمع في مؤلفه نماذج كثيرة من صور الواقع في هذه البقعة الواسعة من بقاع سورية على الطريقة العلمية الأنثوغرافية بعد أن استشار الكثيرين ممن خبروا هذه الطريقة ودرسوها ابتداءً المؤلف بوصف منطقة القلمون ثم تطرق الى وصف عادات أهلها وتقاليدهم وطرز معاشهم وأنواع أغذيتهم والمراسم المتبعة في زياراتهم وولائمهم وأعيادهم ومراسم الزواج لديهم والتقاليد التي ما برحت متبعة في أفراح الولادة والختان وما يتبع ذلك من ألعاب ومهرجانات وحفلات راقصة ثم مراسم المآتم وتقاليدها ، وقد ختم المؤلف كتابه بفصل خصصه لمجموعة من الأناشيد الشعبية التي ما برح يرددها سكان تلك المنطقة ويتغنون بها رجالاً ونساءً ويتخلل مباحث الكتاب كلها رسوم شمسية كثيرة تمثل جبال القلمون وسكانها في مختلف حالاتهم وأوضاعهم ولقد قدم الكتاب للقراء كل من الاستاذين عيسى اسكندر المعلوف ورشيد نخلة كما قدمه للمستشرقين من الأوربيين الاستاذ جان لوسيرف أحد أعضاء المعهد الفرنسي في دمشق بعد أن درج خلاصة ما جاء فيه من أبحاث باللغة الفرنسية . ورغم ما في هذا من بعض النواقص التي يبررها أنه من الكتب الاولى من نوعه التي نشرت باللغة العربية في سورية فهو كتاب نفيس جذاب لو عمد كثير من الكتاب في مناطق الشرق العربي الى النسيج على منواله في جمع عادات مناطقهم وتقاليدها وتدوين تلك الصور المحلية الثمينة قبل أن تذهب بها الايام وتطوئها مراحل التطور فلا يبقى منها ما يمثلها او يعيد ذكرها للخاطر دمشق الدكتور كاظم الداغستاني



## قصص من مصر ولبنان

« الوثبة الاولى » لمحمود تيمور — « عشر قصص » لحليل تقي الدين —

« الصبي الاعرج وقصص أخرى » لتوفيق ي. عواد

القصة ، فنٌ جديد في الادب العربي ، وجد من الاقبال عليه والعناية به ما يستحقه ، فاحتل مكانته سريعاً ، وبرز من رجاله كتّاب بارعون استطاعوا ان يكشفوا عن العلل الاجتماعية المتفشية في الشرق ويضعوا المصلحين اصابعهم على موضع الداء بأسلوب قصصي بديع ، وليس كالقصة او الرواية بأمثلتها وحوادثها المجسمة سبيل الى كشف المساوئ ومعرفة المحاسن . وقد أخرج ثلاثة من رجال هذا الفن في مصر والشام ثلاث مجموعات ضمت روائعهم . ويظهر تأثر بعض كتّاب هذه القصص بالادب الروسي بعض التأثير ، وقد اتخذوا من الحياة المستسلمة للقدرية ، والغارقة في المعتقدات الدينية والاجتماعية الساذجة ومن الاشباح التي تضفر لنفسها اكاليل من القداسة الزائفة على مسرح هذه المعتقدات مادةً لقصصهم فجاءت تنبض فيها الحياة وتشيع في جنباتها

فأما الكتاب الاول منها فهو مجموعة اطلق عليها الاستاذ محمود تيمور « الوثبة الاولى » لأنها جمعت اولى قصصه التي اصدرها منذ سنوات ثم عاد اليها كما يعود الفنان القدير الى مثاله الحبوب مغيراً وجملاً حتى يجلوه صورة فائقة خالدة . وأسلوب تيمور محبب الى النفس ، مصور للواقع ، رسام قدير للبيئة المصرية . ألفاظه تأتي على قدر الفكرة مجلوة المعنى فلا زيادة مملة ولا قصر محل . وانك لتتجسّد الحياة وهي تدب في قصصه وعلى الاخص « عم متولي » و « ضريح الاربعين » و « الشيخ جمعة » و « مهزلة الموت »

وأما الكتاب الثاني وهو « عشر قصص » فهو مجموعة طيبة للاستاذ تقي الدين ، ويمتاز هذا القصص بروح عذبة مشرقة وأسلوب شعري هادئ جميل ، وله سخيرية طريفة ناعمة تتجلى في قصته التي اسمها « في مهب الغرام » . على ان أروع قصة في مجموعته هي « نداء الارض » وأشهد انها ستخلد في عالم الادب القصصي . وقد ختم مجموعته بقصة مترجمة هي « السجين » لمكسيم غوركي

أما الكتاب الثالث في مجموعة الاستاذ توفيق عواد اسمها « الصبي الاعرج وقصص أخرى » . وهذا الكاتب تنوافر لديه المادة القصصية التي يستمدّها من محيطه الذي يعيش فيه « فتها ما يغلب عليها التوجيه ، ومنها ما يغلب عليها التحليل ، ومنها ما يغلب عليها وصف الاخلاق والتقاليد ، ومنها ما لا يحتوي الا على العبث ولذة الفن المجردة » وهو قادر على تناول ذلك كقاص بارع الا أنه لا يعنى في كثير من الاحوال بالاسلوب كما في قوله : « وكان خليل يخاف منهم كثيراً ما يكاد



برام عن بعد حتى يأخذ في الركض يا لها من ركضة على رجله العوجاء . رأسه يخلع على صدره .  
وصدوقته ترقص على خصره وتصد وتبهط ، والحلويات يخالط بعضها ببعض وتتحطم وتسيل  
تصير أشبه ما يكون بالوحل »

ولو عني الاستاذ توفيق بأسلوبه في جميع قصصه كما عني به في قصتيه « الشاعر » و « الرسائل  
المحروقة » خلق لقصصه روحاً آخر يبعث على الشوة ، فان للأسلوب يدأ في اجتذاب القارئ  
وفي سكب شعاع رائق من الروح الشعرية الحاملة التي يأنس اليها المطالع ويتابع القاص في حديثه  
« ص »

### صاحب مجزة « العالم الاسلامي »

توفي جورج كامفماير Georg Kampffmeyer في ٥ سبتمبر ١٩٣٦ وكان عالماً مستشرقاً  
المانيّاً من الطبقة الاولى . ولد في ٨ يولييه ١٨٦٤ في برلين ودرس في المانيا اللغات الشرقية ثم  
طلبها في باريس ولندن . واهتم باللغة العربية ولهجاتها خاصة . وانشأ الجمعية الالمانية لمعرفة الاسلام  
الحاضر وأسس مجلة لها اسمها « العالم الاسلامي » Die Welt des Islams وقد اشرنا اليها في مقتطف  
اكتوبر ١٩٣٥ وكان هذا المستشرق من المياليين للشرق العربي القادرين جهوده في العصر الحاضر

### تموز وبعلة

تموز وبعلة . أو « أدونيس وعشثروت » رواية شعرية تمثيلية نظمها الاستاذ وديع ابو فاضل  
وجعل من هذه الاسطورة التاريخية القديمة درساً في الوطنية والاخلاص والسعي الى الاتحاد  
والتضحية في سبيل القومية مما يجدر أن يكون مثلاً للشباب الكامل وللرجل الحر العامل في  
سبيل اعلاء وطنه ورفع شأنه وجمع الكلمة وضم الصفوف

وقد صور فيها حب تموز ابن ملك جبيل لبعلة ابنة ملك صيدا التي شبت معه صغيرة فأحبته  
وأحبها حتى تولى ابن عمها « بعلون » الملك بعد وفاة ابها ورغب في الزواج منها حتى حدث ان  
زار « تموز » صديقه « بعلون » فلقينته بعلة وبُعث في قلبها حبها القديم فتواعدت واياه على اللقاء  
عند عودته من الصيد ولكن بعلون علم بذلك فأمر احد اخصائه بالتربص لتموز وإطلاق خنزير  
من شعب الشباب عليه ليفترسه الا ان هذا الرسول رأى فيما قصد اليه كل الهول فعمل على نجاة  
تموز اشفاقاً على بعلة ثم اخبر الملك بذلك فعفا عنه وتم لبعلة ما كانت تتوق اليه وزوجها ابن  
عمها من حبيها تموز

وقد وضع المؤلف هذه القصة في اسلوب من النظم رقيق عذب فيا حبذا لو قامت فرقة من  
الفرق التمثيلية باخراج هذه الرواية لبث الروح الوطنية في نفوس الشباب واعلاء كلمة الوطن



# فهرس الجزء الاول

من المجلد الحادي والتسعين

١	قبل البردي . . . بعد الحرير
٨	العشرة المقدمون في تاريخ الفكر الانساني : للكاتب ول دورانت
٢٠	ارتجال الصديق مصطفى صادق الرافعي : لاسماعيل مظهر
٢٣	كلمات للرافعي
٢٥	المرأة في مصر على بمر العصور من محاضرة للسيدة إيمي خير : نقلها عادل الغضبان
٣٢	شاعر المنى ! ! . . . ( قصيدة ) : لمحمد فهمي
٣٣	الفيثامينات وأثرها في الصحة والمرض والنمو
٤١	عمر بن أبي ربيعة : لجبرائيل جبور
٤٨	أنا وابني ( قصيدة ) : لايلى أبو ماضي
٤٩	خزان جيل أولياء : لحنا خباز
٦٢	بين سينفوزا وابن جبرول : لفليمون خوري
٦٦	وكانت الذئاب تعوي : للكاتب التركي حسين جاهد : نقلها نقولا شكري
٧٢	مهمة الحكومة في التربية : لعلي حسن الهاكع
٧٦	تدريس الكيمياء في المدارس الثانوية : لمحمود خليل راشد
٨١	حيوانات مشهورة : للفريق الدكتور أمين المعلوف
٨٦	مفردات النبات : لمحمود مصطفى الدمياطي
٩١	حديقة المقتطف * ممنون الفيلسوف عن فولتير : نقلها اسماعيل مظهر . انا المشعال :
	لآرثر سيمنز . الرحيل الاول للشاعر جان ريشين : نقلها احمد ابو الخضر منسي
١٠١	سير الزمان * حفلة تتويج الملك جورج الخامس . العرش في التاريخ والعرش المصرية الثلاثة

١٠٧	باب الاخبار العالمية * الكيمياء الصناعية : لعوض جندي . مادة عجيبية . علاقة عنصر البوتاسيوم بالحياة والنمو . سفن الهواء في المستقبل . العناصر في الشمس . طائفة الريح الالهي . الالوان واقبال الامم عليها . تسمم الدم . غرائب الحمام الزاجل . اختلاف مقاومة الجسم للبكتيريا . معمل النزلة الرئوية . تثليث الزوايا . قياس سيل اللعاب . تعليم الزراعة بالقدوة
١١٣	مكتبة المقتطف * ثورة العرابية . الفن في مصر . كتاب الوراثة . المختار . صور من الحياة في القلمون . قصص من مصر ولبنان . صاحب العالم الاسلامي . تموز وبعلة